مصطفى أمين

من فكرة لفكرة

الجزء الثاني



الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم



الناشر
تهامة
ص.ب ٥٤٥٥
جدة ٢١٤٢٢
هاتف ٦٤٤٤٤٤٤
المملكة العربية السعودية

من فكرة لفكرة



الرسّام الضاحك

اتصل بي الرسام (صاروخان) في صباح الأربعاء الماضي تليفونيا وقال لي انه متعب لا يستطيع الحضور إلى «أخبار اليوم» كعادته ظهر الأربعاء ليطلعني على الصورة الكاريكاتورية التي رسمها، وقال انه سيرسل لنا الصورة يوم الخميس.

فقلت له إذا كنت مريضا فلا تتعب نفسك، ولا ترسم هذا الأسبوع...

وقال (صاروخان) انه مصمم أن يرسم الصورة..

ورسم الصورة، وأرسلها لنا يوم الخميس، وصدرت «أخبار اليوم» يوم السبت وفيها الصورة... وكانت آخر صورة رسمها!

وفي ظهر السبت اطلع (صاروخان) على الصورة وأسلم الروح!

وقصة (صاروخان) هي قصة أرمني شاب، هرب من تركيا أثناء مذابح الأرمن، ثم جاء إلى مصر في عام ١٩٢٧ وتعرف ببريان صاحب ورشة الزنكوغراف وهو أرمني مثله، وكان يصنع الكليشيهات للمجلات المصرية في تلك الأيام. وكان (صاروخان) يرسم الصور الكاريكاتورية ويضع الأستاذ التابعي النكت تحتها. وكان يتقاضى ٥٠ قرشا ثمنا للرسم الكاريكاتوري! ثم أصبح (صاروخان) يرسم الصور الكاريكاتورية السياسية واستطاع بعد وقت قصير أن يقتلع الرسام الأسباني (سانتيس) من العرش الذي كان يجلس عليه. وكان (سانتيس) هو الرسام الأول في مصر، وكان يرسم لمجلة الكشكول التي تهاجم سعد زغلول.

وأصبحت صور (صاروخان) حديث مصر كلها. وكانت صوره تسخر من الزعماء والقادة، وتهزأ من الطغاة ورؤساء الوزارات. وكانت صورة كاريكاتورية في بعض الأحيان أشد قسوة من سلسلة من المقالات!

ثم انتقلت صور (صاروخان) من مجلة روز اليوسف إلى آخر ساعة إلى أخبار اليوم، واستمر الرسام الموهوب في فنه وإبداعه وسخريته وصوره التي تتكلم وتتحرك وتصرخ وتصيح!

وجاء وقت من الأوقات قرر فيه (صاروخان) أن يهاجر إلى الاتحاد السوفيتي مع جميع الأرمن الذين دعوا إلى هناك. وعبثا حاولت اقناعه أن يبقى في مصر. وأخيرا اقتنع أن يكلف صديقا له أن يسافر إلى هناك مع المهاجرين فاذا سر بالحياة في الاتحاد السوفيتي أيام ستالين كتب له خطابا بالحبر الأحمر أما إذا كانت حياة المهاجرين الأرمن سيئة هناك فيكتب إليه بالحبر الأسود!

وبعد شهور تلقى (صاروخان) خطابا من قريبه في أرمينيا بالاتحاد السوفيتي يقول فيه: إن الأرمن سعداء كل السعادة باقامتهم، وان كل الذين هاجروا يأسفون أنهم لم يسافروا منذ سنوات طويلة إلى الجنة، وانهم يعيشون في نعيم مقيم.. وفي نهاية الخطاب حاشية صغيرة مكتوب فيها «نأسف للكتابة بالحبر الأسود.. لأن الحبر الأحمر قد نفذ»!

وفهم (صاروخان) وبقي في مصر ولم يهاجر إلى الاتحاد السوفيتي.

ولكنه عاش يحب مصر وطنه الثاني، ويعشق أرمينيا وطنه الأول.

لا تيأسي أيتها العانس

أخشى ما تخشاه الفتاة أن تصبح عانسا! وأعرف فتاة في العشرين من عمرها كانت تقول لي انها وصلت إلى العشرين من عمرها ولم يتقدم أحد للزواج منها وذكرت أنها أصبحت ترى الدنيا سوادا في سواد، لا أمل لها ولا مستقبل وانها تفكر جديا في الانتحار!

وغضبت الفتاة عندما رأتني أهزأ من أوهامها. وأقول لها انني لم أعرف في حياتي امرأة عانسا واحدة. كل من توهمت أنها عانس تزوجت بعد ذلك، وعاشت سعيدة، وكثيرات من اللاتي تزوجن في سن متأخرة أسعد ألف مرة من بنات تزوجن في السابعة عشرة من عمرهن، فالتأخير في الزواج لا يعيب المرأة، بل هو أحيانا يرفع من قيمتها. أعرف فتاة رفضت أن تتزوج إلى أن يحصل آخر شقيق لها على شهادته الجامعية.

كانت تطهو لاخوتها السبعة، وتغسل ملابسهم، وتنظف البيت، وتذهب إلى عملها وتنفق كل مليم من مرتبها على اخوتها، كانت لهم جميعا الأم والأب بعد أن فقدوا الأم والأب، وكانت الخادم والطاهي بعد أن عجزوا عن دفع أجور الخدم. وكانت الصديق والقريب عندما اختفى الأصدقاء والأقرباء. وبعد أن انتهت هذه الفتاة من مهمتها كانت قد بلغت التاسعة والثلاثين من عمرها وتصورت أن لا أمل لها في الزواج، وإذا بأستاذ في الجامعة يتقدم لخطبتها، أستاذ مغمور غير معروف. وله أربعة أبناء ماتت أمهم. وكان الرجل أكبر منها بعشر سنوات. وقبلت الزواج على مضض.. وقال بعض الناس انها دفنت نفسها. وانها لم تدخل دنيا وإنما دخلت «آخرة». وإذا بالدنيا تقبل على هذا الأستاذ فجأة. كأن هذه العروس هي خرزة زرقاء تجلب الحظ. لقد عين وزيرا في الشهر التالي للزواج، ثم تولى بعد ذلك عدة مناصب، واستطاعت العروس العانس أن تملأ مركزها كزوجة رجل كبير، كانت ابتسامتها تجمع له الأصدقاء، وكانت طيبتها تجند له الأعوان، وكان حسن لقائها للناس يجعل من بيته مجتمعا للمفكرين والعلماء.. ولولا أنها انتظرت لتزوجت شابا تافها، ولعاشت حياة ضحلة مملة كالتي يعيشها غيرها من اللائي يسارعن إلى الزواج من أول عريس!

لا تيأسي أيتها العانس.. سوف يجيء يوم يدق عليك الباب!



المدير مشغول!

رفض المدير أن يستقبل السيدة التي طلبت مقابلته، صرخ بأعلى صوته أن لديه اجتماعا ولا يستطيع أن يرى أحدا. كان باب مكتبه مفتوحا واستطاعت السيدة أن ترى المكتب الخالي الذي ليس فيه أحد سوى هذا المدير الذي يصرخ و يقول: «أن لديه اجتماعاً...»

شتم المدير السيدة وهو يتحدث إلى السكرتيرة. قال انه ليس فاضيا لكي يستقبل كل من هب ودب. وان أعماله الضخمة تمنعه من استقبال كل هلفوت وصعلوك يريد أن يقابله!

وخرج الموظفون والموظفات من مكاتبهم على صوت صراخ المدير، وقد تصوروا أن حادثا جللا قد وقع، أو أن قنبلة سقطت فوق المؤسسة وحولتها إلى أنقاض!

وأنا أعلم أن بعض المديرين مشغولون، ولا وقت لديهم لاستقبال كل الناس، ولو أنهم قابلوا كل من طلب مقابلتهم لما أمكنهم أن يؤدوا أعمالهم، بل ربما توقف العمل في المؤسسة كلها. هذا كله صحيح. ولكن كان من الممكن الاعتذار للسيدة طالبة المقابلة بأدب.

كان من الممكن أن تحمل السكرتيرة أسف المدير للسيدة مشفوعا بكلمة رقيقة. كان من الممكن أن يدخل المدير إلى دورة المياه و يقفل عليه الباب و يصرخ و يزأر كما يشاء، ثم يخرج و يتحدث إلى سكرتيرته بصوت لا يجلجل في أنحاء المكان.

السيدة التي تطلب مقابلة المدير هي بطبيعة ظرفها امرأة حساسة، تقدم قدما وتؤخر قدما، تشعر بخجل وهي تسأل عن مكتب سكرتيرة المدير. تقرأ الفاتحة على الباب وتقرأ آية الكرسي لكي يفتح الله لها الأ بواب المغلقة. فاذا قوبلت بالسباب والصراخ نزل عليها هذا اللقاء كالصاعقة.

أعرف سيدة محترمة أصيبت بانهيار عصبي بعد أن سمعت بأذنيها شتائم وسباب المدير العام وهو يعتذر لسكرتيرته عن عدم استطاعته مقابلتها! وخرجت بعد أن مزقت الخطاب الذي أصرت أن تقدمه بيدها للمدير! ولم يكن الخطاب طلب استخدام، ولا طلب استرحام للتبرع لأسرة بائسة، وانما كان مشروعا تكسب منه المؤسسة مئات الألوف من الجنيهات تعرضه مؤسسة أجنبية..

أعرف أن سكرتيرات في مؤسسات يشكين من زوار ثقلاء، أو من طالب مقابلة لحوح، أو من حامل شكوى يتحدث بوقاحة أو بلهجة التحدي أو بطريقة تجعل السكرتيرة تتمنى لو استطاعت أن تفتح النافذة وتلقيه من الطابق العشرين. ولكني أعرف أيضا أن المظلوم هو جريح يتأوه، ولا يصح أن نطالب الرجل المطعون بالسكاكين أن يتأوه بصوت موسيقي هادىء رقيق!

يجب أن يتعلم الرؤساء والسكرتيرون الصبر على الناس فاذا اعتذروا عن عدم مقابلة المواطن اكتفوا بهذه الصفعة المؤلمة دون أن يصحبوها بأن يلعنوا أباه! ولنذكر أن أغلبيتنا جرحى وأقليتنا أصحاء!

فلنحذر أن نلعب بالسكاكين في الجروح المفتوحة..

هموم طلبة الجامعة

عشت أياما في هموم بعض طلبة وطالبات الجامعة، عشت أحزانهم ومآسيهم ودموعهم وتأوهاتهم. كنت أحرص على أن أقرأ كل خطاب، كأنني أعيش مع كل واحد منهم في كوخ متاعبه وآلامه.

كوخ يعصف به البرد والصقيع، و يدخل ريح الشتاء القارص من نوافذه المفتوحة كأنه الاعصار يقتلع كل ما فيه. أحيانا أجد ما فيه لا يزيد على حصيرة ممزقة وكتب مبعثرة وحذاء قديم يستعمل وسادة! وأكذب إذا قلت انني أمضيت وقتا ممتعا. بل اعترف أنه كان وقتا تعسا.

أكثر ما يؤلم النفس أن ترى جروحا ولا تستطيع أن تضمدها كلها. وأن تسمع أنينا ولا تستطيع أن تخففه إلا باسبرين مؤقت. وأن ترى عجائز في سن الشباب أو على الأصح شبانا حولهم الفقر والحرمان إلى عجائز. وأن تواجه مشاكل تحلها بضعة قروش، وليس معك كل القروش التي تحول بها اليائسين إلى مهللين.

رأيت في قصص هؤلاء الشبان صورة البلد الحقيقية. فقراء وشامخين. جوعى يحلمون. مسحوقين ولكنهم مؤمنون! بعضهم يرتدي البلوفر الممزق تحت القميص، و بعضهم لا يجد القميص ولا البلوفر فيقترض جاكتة يرتديها أثناء اللقاء. لا يجدون ثمن الملابس الداخلية فاذا وجدوها فضلوا أن يشتروا بها الكتاب الذي يحاربون به معركة المستقبل. تماما كما تفعل مصر عندما تقتطع من قوتها لتشتري المدفع الذي تدافع به معركة الشعب العربي كله..

أحسست أن هؤلاء الأبطال المجهولين الذين يحاربون معركة العلم، و يستشهدون فيها، يستحقون أن نحني رؤوسنا لهم، أن نقول لهم اننا نقدر الضنى والتعب والعذاب والحرمان والجوع الذي يعيشون فيه، واننا نشعر بأسى لأننا لا نقدم لهم بعض ما يستحقون من رعاية وعناية واهتمام.

قابلت طالبة جامعية تقول إن أمنيتها أن تتخرج في الجامعة لترد بعض الجميل لأمها! أمها التي تتقاضى سبعة جنيهات في الشهر وأوصلتها هي وأخاها إلى الجامعة وشقيقتها إلى التعليم الثانوي! أمها التي تمشي إلى مقر عملها كل يوم ٤ كيلو مترات في الصباح، وتعود ٤ كيلو مترات في المساء إلى بيتها، وتحمد الله أنه لا توجد مواصلات حتى توفر ثمن المواصلات لاطعام الأولاد، أي معجزة تصنعها هذه الأم عندما تطعم أربعة أفواه بسبعة جنيهات في الشهر؟.

وقابلت طالبا يعمل عاملا في مخبز. يسهر طول الليل في المخبز إلى الصباح، ثم يذهب إلى الجامعة مباشرة، ومع ذلك استطاع أن يحصل على مرتبة الامتياز!

وقابلت طالبا يعد رسالة الدكتوراة على مصباح كهربائي في شارع الكورنيش، لا يشكو من زمهرير الشتاء، وانما يشكو من أن انقطاع الكهرباء في الشارع أحيانا يمنعه من اتمام الرسالة!

بلد فيه أمثال هؤلاء الشباب لن يركع على ركبتيه أبدا!

البلد فيه سلاحف !

الذين يعانون من اختناق المرور في شوارع القاهرة يجب أن يعرفوا أن المسؤول عن هذه الأزمة هو وجود عدد من السلاحف يجلس في بعض المناصب الكبيرة، وأنه في عهد الصاروخ لا يجوز أبدا أن نفكر بعقلية السلاحف!

لا يوجد بلد في العالم يحتقر الماشي على قدميه كما يحدث في بلادنا على الرغم من أننا نقول إننا بلد اشتراكي!

انظر إلى أرصفة الشوارع المخصصة للمشاة تجد فوقها كل شيء إلا المشاة! تجد بضائع وزكائب وكراسي ومتاجر وعربات كارو وسيارات، ولا توجد إلا سنتيمترات قليلة للمشاة!

في ميدان رمسيس مشروع لانشاء كوبري علوي للمشاة، يوفر على المشاة عذاب المرور ويحفظهم من الدهس تحت السيارات واللوريات.

بدأنا في إنشاء هذا المشروع في أول يناير سنة ١٩٧٤ ومشى بالفعل بطيئا، فكنت ترى خمسة عمال فقط يعملون في هذا المشروع الحيوي.. وفي باريس رأيت ألف عامل يعملون ليل نهار للانتهاء من شارع في ليلة واحدة.

وأوتواستراد مصر حلوان، الذي سيوفر المسافة بين حلوان ومصر الجديدة ساعتين ويجعلها في ٣٠ دقيقة بدأ العمل فيه سنة ١٩٦٥، و بعد أن انتهى ٢٥ كيلو مترا منه توقف العمل في ١٩٦٧ ولا يزال العمل متوقفا لمدة عشر سنوات!

وتوجد مشروعات كبيرة في المدينة، والذين يشرفون على تنفيذها يشغلون مسطحات كبيرة في أعمال التشوين.. أنظر إلى مصلحة التليفونات مضى عليها ١٠ سنوات تبني ملحقا لمبناها، وسدت الشارع بلا إذن، كأنها مالكة الملك، ولم تفتح كل الشارع حتى الآن! ومصالح كثيرة تفعل هذا! لا يهم المصلحة إلا نفسها.. تبني وتترك الطوب والأحجار تسد جزءاً كبيراً من شوارع المدينة، ولا نجد موظفا مسؤولا يمسك مدير إحدى هذه المصالح من أذنه و يطلب إليه أن يحمل هذه الأحجار بعيدا ليوسع الطريق لملايين المواطنين.

البلد فيه سلاحف. وفيه أرانب تهرب من مواجهة الحقائق! وفيه أيضا أنواع من البشر لا يريدون حلولا سريعة.. وإنما عباقرة في اختلاق الأعذار وفي وضع البيانات المسهبة لتبرير كل خطأ.. وتغطية كل عبث!

إننا نرغب في أن تضع كل مصلحة أو مشروع خاص لافتة أمام البناء عن المدة الزمنية التي سينفذ فيها المشروع، واسم المسؤول، حتى يعرف الشعب أسماء الفاشلين في بلادنا!

يعيش حلاق الصحة ويسقط الطبيب العالمي

ذهب صاحبي إلى حلاق الصحة في قريتهم فأكد له أن صحته عال العال!

ثم عرض نفسه على طبيب عالمي فما كاد يراه حتى انكب عليه وكأنه كتاب يقلب صفحاته، صفحة بعد صفحة، يفحص القلب والعين والرأس والقدمين، و يطلب عشرات التحليلات، وتفرغ الطبيب للمريض و بقي معه ثلاث ساعات ثم ثلاثة أيام، ثم ثلاثة أسابيع! ثم واجهه بالحقيقة المرة وهي أن مرضه عضال، وأنه لن يعيش أكثر من ستة أشهر إلا إذا اتبع نظاما معينا بكل دقة.

والناس بطبيعتهم يكرهون هذه المصارحة القاسية، و يفضلون حلاق الصحة الذي يخدعهم و يقول لهم انهم سيعيشون مائة سنة حتى ولو ماتوا بعد خمس دقائق، و يوهمهم أن المرض زكام بينما هو سرطان.. ومن الغريب أن صاحبي قال لي ان حلاق الصحة هو الذي يفهم في الطب وان الطبيب العالمي حمار لا يفهم شيئا!

وكان الدليل على أن الطبيب العالمي حمار أنه حذر صاحبي من ألوان معينة من الطعام وقال له انها بالنسبة لمرضه أشبه بالسم الزعاف.. بينما حلاق الصحة قال له ان يأكل كل ما يشتهي وما يريد. وأكل صاحبي كل ما نهاه عنه الأستاذ العالمي فلم يمت، ولم يشعر بمغص ولم يتلوّ من الألم! بل انه أكد لي أنه شعر فعلا بمغص وتلوى من الألم عندما تناول الأدوية التي نصحه بها الطبيب العالمي الكبير!

ان بعضنا يستريح لحلاق الصحة الذي يخدعه، و يتعب من العالم الذي يصارحه بالحقيقة البشعة! الطبيب الذي يغشنا يريحنا مؤقتا، والطبيب الذي يصدق معنا يتعبنا كثيرا. ان الدواء مر.. والسم يمكن أن يكون حلوا كالرحيق!

و بعض الناس يفضلون أن نداويهم بابر الأفيون، و يلعنون الذين يوقظونهم من الغيبوبة التي عاشوا فيها..

و بعضنا يكره الطبيب الوقح قليل الأدب الذي يقول له ان في عينيه رمدا و يبدأ في علاجه.. بينما هو يحب حلاق الصحة الذي يطمئنه أن في عينيه سحر هاروت وماروت، و يتركه بلا علاج، حتى يتم العمى الكامل!

يا بخت .. حلاق الصحة!

* * *

يجب ألا نيأس إذا عرفنا حقيقة أمراضنا.. الدنيا علمتني أن الشدة هي أحد أبواب الفرج، وأنه كلما زادت قسوة الآلام اقترب الشفاء. وكلما زاد الظلام من حولي كان ذلك علامة على أن أول خيوط الفجر قادم في الطريق. ولا أذكر أنني لعنت الدنيا في أحلك الأوقات، فالدنيا ليست مسؤولة عما يصيبنا، وهي مظلومة، ربما نحن الذين أسأنا إلى أنفسنا من حيث لا ندري.

ولكي نتحمل عذاب معرفة حقيقة أمراضنا يجب أن نؤمن أن الليل لا يمكن أن يطول، وأن الأيام الصعبة هي الطريق الوحيد لأيام الرخاء..

الله معنا!

الوحدة هي النصر!

الشجاعة الحقيقية أن نواجه أخطاءنا، ونعترف بها، ونبدأ طريقنا من جديد متجنبين هذه الأخطاء.

ولا يوجد في هذه الدنيا انسان فوق الخطأ، فالصواب ليس احتكارا لأحد، والفرق بين العاقل وغير العاقل، أن العاقل يكتشف الخطأ في نفسه، وغير العاقل يغمض عينيه حتى لا يرى الخطأ.

وليست الفروسية أن أدافع عن أخطاء أصدقائي، وإنما الفروسية أن أمنعهم من ارتكاب الأخطاء، وأن أحاسب النصير بأقسى مما أحاسب الخصم.

إن الوحدة هي النصر، والفرقة هي الهزيمة، أنصاف المهرة من لاعبي الكرة إذا لعبوا بروح الفريق الواحد ينتصرون و يسجلون أهدافا، والعباقرة المتنافرون غير المتجانسين سوف يخسرون كل مباراة. الفريق الذي يختلف أفراده أمام الهدف لا يحقق أهدافا.

في وقت الشدة يجب أن ينسى كل واحد منا خلافاته الشخصية وآلامه الشخصية، و يذكر أن المطلوب منا اليوم أن ننسى أشخاصنا، ونذكر أن هذا البلد في حاجة إلى كل واحد منا.. والذي يتوهم أنه قادر وحده أن ينقذ مصر، إنما يحسب عليها ولا يحسب لها.

مصر اليوم تحتاج إلى جهد مضاعف إلى عمل مضاعف. إلى عقول تفكر وتبتكر. إلى حلول عملية تحقق بالعرق والدم لا بالكلمات والشعارات.

مصر قادرة على أن تصنع المعجزات لو أن كل واحد منا قام بواجبه، واقتنع أن مصر في حاجة إلى ضعف ما نقدم لها.

إذا استطاع كل واحد منا أن يجعل من الجهد الواحد جهدين، ومن العمل الواحد عملين، ومن يوم العمل يوم عمل بمعنى الكلمة إذا استطاع كل واحد أن يجيد ما يصنع، وأن يعشق عمله.. وأن يحافظ على الآلة التي يعمل عليها. إذا أحس كل واحد منا أنه جندي في معركة، وأننا في طريقنا إلى أكتوبر جديد.. أكتوبر من الإيمان والإنتاج والتعمير والابتكار والتضحية والحرية والديمقراطية والعدالة.. فإننا نكون في طريقنا إلى نصر عظيم!

الحياة بدون أم كلثوم

الحياة بغير أم كلثوم ينقصها شيء.. وهو شيء كثير..

أم كلثوم كانت في مصر أشبه بالهرم أو بنهر النيل، أى شعور يحس به الواحد منا إذا جاء إلى مصر ولم يجد فيها الهرم أو نهر النيل؟

وقد بدأنا نفكر في احتمال موت أم كلثوم عندما مرضت بالغدة الدرقية في عام ١٩٤٦ وعندما قال لي الأطباء الذين رأوها ان حياتها في خطر، وانه يمكن أن تموت بعد بضعة شهور، ولكنها عاشت بعد هذه النبوءة السوداء ٢٨ عاما!

وبعد ذلك سافرت إلى انجلترا، وقال الأطباء انه لابد من إجراء عملية جراحية، وعلمت وزارة الخارجية البريطانية أن من المحتمل أن تفقد أم كلثوم صوتها بعد هذه الجراحة فتدخلت الحكومة البريطانية وأقنعت الأطباء البريطانيين بالامتناع عن إجراء الجراحة لأنه لو فقدت أم كلثوم صوتها فسيعتبر العرب أن هذا عمل عدائي مدبر قصده الانجليز للانتقام من الشعب العربي أو كما قال أحد الوزراء الانجليز يومئذ لسفير عربي: ان فقد أم كلثوم لصوتها سيعتبره العرب «فلسطين جديدة»!

وفي سنة ١٩٥٣ دعت حكومة الولايات المتحدة أم كلثوم لتعالج في مستشفى البحرية في أمريكا، وتقرر معاملتها كأنها رئيسة وزارة.. وعولجت بالذرة، وكانت من أوائل الذين عولجوا بهذا العلاج الحديث وقتئذ.

وبعد أن نجح العلاج، رفض المستشفى أن يتقاضى مليما، ثم جاءت محطة صوت أمريكا تطلب من أم كلثوم أن تغني أغنية واحدة للمحطة الأمريكية، ورفضت أم كلثوم وقالت: سأغني أولا في محطة القاهرة. وذكرت للمشرفين على المحطة أنها مستعدة أن تدفع كل مصاريف علاجها، ولكنها لن تغني إلا في إذاعة بلادها!

إن الحياة تغيرت بعد وفاة أم كلثوم.. فقدت ضحكتها الحلوة.. فقدت كلماتها الساخرة.. فقدت اهتمامها بأن تعرف آخر نكتة. فقدت جزعها لكل جرح يصيب مصر، وسعادتها لكل نصر تحققه بلادنا. ولكن هذا أمر شخصي. ولكن الملايين فقدت ليلة جميلة في كل شهر. ليلة يتساوى فيها الجالس في القصر والقاعد في الكوخ.. عالم الذرة والكناس في الشارع. الراهبة والراقصة. الذين يقاتلون فوق قمم الجبال، والذين يسهرون في صناديق الليل الحمراء. الرجال ذوو اللحى الطويلة والشبان الذين يرقصون على أنغام الجاز باند المجنون. كل هؤلاء يتوقفون في ليلة أم كلثوم و يتحولون إلى نوع واحد من البشر، ويجمعهم حب امرأة واحدة، ويتمايلون على نغمة واحدة، و يشعرون أنهم جميعا أصدقاء ومعارف وأقرباء أم كلثوم!

كل واحد من هؤلاء فقد من عمره ليلة جميلة كل شهر. هذه الليلة التي كانت تغني فيها أم كلثوم!

كثرة الأيدي تفسد الطعام!

ذهب أحد الأثرياء العرب إلى بلد أسيوي صغير ليمضي فيه بضعة أيام للراحة والاستجمام. وسمع رئيس الجمهورية بهذه الزيارة، فذهب بنفسه إلى المطار ليكون في استقبال الزائر الذي لا يعرفه، وصحب معه فرقة موسيقى لتعزف النشيد الرسمي لبلد الزائر، وصحب معه كتيبة من الجيش ليستعرضها الزائر!

وفوجىء الثري العربي بهذا الاستقبال الحار والتكريم الرسمي فقرر أن يقوم بمشروع اقتصادي في هذا البلد الصغير يتكلف عدة ملايين من الدولارات!

ونحن لا نريد أن نستقبل المستثمرين الأجانب بالطبل والزمر، وإنما نطمع ألا نقيم في طريقهم العقبات، وألا ننكد عليهم الحياة، وألاّ نرغمهم على العدول عن مشروعاتهم في مصر بأسرع ما يمكن! ولو أن الحال استمر على ما كان عليه لضربنا كل مستثمر علقة!

نحن نسمع عجبا! ونسمع عن مشروعات هامة جدا تم بحثها ودرسها ووافقت عليها السلطات كلها، وإذا بها تتعثر فجأة بفضل موظف صغير يتصور أن الوطنية هي أن يمنع قيام أي مشروع جديد مكتفيا بأهرام خوفو وخفرع ومنقرع!

إن كثرة الأيدي تفسد الطعام. وتعدد المصالح والادارات التي تبحث كل مشروع يجعل أي مشروع في مصر يموت بالشيخوخة قبل أن يبدأ في التنفيذ. ونحن في حاجة إلى وزير واحد مسؤول عن كل المشروعات، حتى لا تحفى أقدام المستثمرين بين مختلف الادارات والوزارات، وحتى لا نسمع أن وزارة تضع العقبات في طريق مشروع لأن وزارة أخرى وافقت عليه. ونحن نريد أن نختصر عدد الأوراق التي توقع، وعدد الشهادات التي تقدم، وفي الوقت نفسه نريد إدارة جديدة تستطيع أن تبت بسرعة، تقبل أو ترفض، بغير أن تلعب مع صاحب المشروع لعبة «دوخيني يا لمونة»...

يجب أن تكون لدينا الشجاعة في الاعتراف بأن في بعض دوائر الحكومة بقايا من الموظفين المؤمنين بالانغلاق، أو من الذين يخشون أن تزدهر مصر وتتخلص من الكابوس الاقتصادي الذي نعيش فيه، وهؤلاء يجعلون مهمة أي متعامل مع الحكومة مهمة مستحيلة، ويلجئون هؤلاء المستثمرين إلى الاعتماد على السماسرة ولاعبي الثلاث ورقات، حتى يمكن أن تمر أوراقهم بسهولة بين المصالح والدواوين! هذا الطابور الخامس يجب أن يتوقف.

وقبل كل شيء يجب أن نعيد للوقت احترامه في بلادنا، فقد تعودنا أن معنى كلمة «غدا» هو «بعد خمس سنوات»!



السبب الوحيد!

أعجب أحد الاقتصاديين العرب بكفاءة شاب مصري يعمل في إحدى شركات القطاع العام، وقرر أن يعينه مديرا عاما لاحدى شركاته. وسأل عنه رؤساءه فشهدوا له بالكفاية. وعرف أنه يتقاضى ستين جنيها في الشهر فقرر الاقتصادي العربي أن يمنحه ألف دولار في الشهر، يضاف إليها بيت مكيف الهواء، وسيارة، واجازة ثلاثة أشهر كل عام مع أجرة السفر في الدرجة الأولى ذهابا وإيابا إلى القاهرة.

وأقبل أصدقاء الشاب المصري على زميلهم يهنئونه بليلة القدر التي دقت بابه، فما حدث له لم يخطر بخياله. إن دخله ارتفع فجأة تسعين مرة!!

وقال له الاقتصادي العربي انه يجب أن يزوره في بيته قبل أن يوقع العقد. ودعاه الشاب المصري إلى غداء فاخر أعدته له زوجته خريجة الجامعة وهي فتاة مثقفة من أسرة طيبة.

وتناول الاقتصادي الكبير الغداء ثم سافر إلى بلاده دون أن يوقع العقد مع الشاب المصري أو يقابله أو يعتذر له!

وجن جنون الشاب المصري، وتصور أن أحدا دس له عند الاقتصادي العربي الكبير، أو اتهمه بتهمة شائنة، أو لفق له تهمة مخلة بالشرف!.. بل تصور أن الحكومة المصرية عارضت في تعيينه في هذا المنصب الكبير!

واتصل عدد من أصدقاء الاقتصادي الكبير يسألونه ماذا حدث! فإذا به يقول لهم انه غير رأيه في الشاب بعد أن زاره في بيته. لقد أجلسه الشاب مع زوجته وابنه الصغير البالغ من العمر أربع سنوات، وفوجىء الزائر بالابن ينطق بكلمات نابية، والأم تبتسم لخفة دم ابنها، والأب يقهقه فرحا بابنه قليل الأدب!.. بل فوجىء بالأبوين يستعيدان الطفل أن يقول الكلمات البذيئة مرة أخرى حتى يسمعها الضيف!

وقال الاقتصادي انه أحس أن هذا الشاب الذي يعجز عن إدارة بيته سوف يعجز عن إدارة شركة كبيرة، والذي يسمح بأن يقول طفله ما لا يقال إلا في ماخور، لا يمكن أن يأتمنه على عمل كبير، والأب الذي يعتبر وقاحة طفله هي خفة دم وخفة روح هو أب جاهل لا يجوز أن يسند له منصب كبير، وخاصة أن عمله يستوجب أن يتردد على داره كبار رجال الأعمال في العالم!

ومن سوء الحظ أن كثيرين من الآباء يسمحون الآن لأولادهم بألفاظ وعبارات وحركات تدمغ الآباء بأحط الصفات، وتصورهم في أحقر الصور بل في عيون الناس الذين لا يزالون يؤمنون أن الكلمة النابية لا تصنع رجلا محترما!

إنك تعرف قيمة الرجل من لغته.. ومن لغة زوجته.. ومن لغة ابنه!

فإذا أردت أن تصل إلى وظيفة كبيرة الآن يجب أن تحاول أن ترتفع إليها.. لا أن تنزل بها!

فلنبدأ بغسل ألسنتنا مع أسناننا كل صباح!



من خمسة جنيهات إلى مليون جنيه

كان جورج خياط أحد أعضاء الوفد برئاسة سعد زغلول في ثورة ١٩١٩.

وكان أحد زعماء مصر السبعة الذين حكم عليهم الإنجليز بالإعدام ثم استبدلوا بحكم الإعدام السجن سبع سنوات في معتقل ألماظة.

وكان ابنه البرت خياط عضوا في مجلس النواب عن دائرة من دوائر أسيوط.. وجاءت مراكز القوى فاعتبرت البرت خياط ووالده جورج خياط من أعداء الشعب، ووضعت أموالهما تحت الحراسة، وطردا من بيوتهما.

وتخرج الشاب شاكر البرت خياط من كلية الهندسة في جامعة الاسكندرية.. وبحث عن عمل فسدت كل الأ بواب في وجهه باعتباره أحد أعداء الشعب لأن مراكز القوى اعتبرت أكثر قادة ثورة ١٩١٩ من أعداء الشعب!

ولم ييأس شاكر، لم يمض أيامه في البكاء والعويل على ما كان يملك من ثروة وعمارات. لم يفكر في كتابة الالتماسات والاسترحامات والشفاعات لأنه كان يعلم أن الطغيان لا قلب له. وسافر إلى أمريكا ومعه خمسة جنيهات. ولم يبحث عن وظيفة مهندس لأنه يحمل بكالوريوس الهندسة بل قبل وظيفة سفرجي في مطعم!

واشتغل بعد ذلك عاملا في مكتبة، ثم وجد وظيفة محصل، ثم عثر على عمل كباحث مساعد. وذهب إلى جامعة هارفارد وحصل على ماجستير في إدارة الأعمال.

قبل كل وظيفة صغيرة وجدها. لم يتأفف أن يقوم بأقل الأعمال شأنا.. لم يقل ان جده كان أحد أثرياء أسيوط ولهذا فهو لا يقبل أن يغسل الصحون، وأن يحمل الأطباق في المطاعم للزبائن، وأن ينحني لهم ليسألهم بماذا يأمرون!

الكرامة أن تعمل وأن تعرق وأن تكافح وأن تشق طريقك في الصخر. والذل والهوان هو أن تيأس أو تتسول أو تلطم خديك حزنا على ما أنت فيه من فقر وحرمان!

وفوجىء شاكر بانتهاء مدة جواز سفره، وأرسله للتجديد وإذا بمراكز القوى ترفض تجديد الجواز لأنه من أبناء أعداء الشعب، وخشي أن يطرد من الجامعة ومن أمريكا كلها.. وعرضوا عليه أن يعتبر نفسه لاجئا سياسيا فأبى. وقال له مدير الجامعة: «علمت أنك تحب طالبة أمريكية فتزوجها وبذلك تصبح مواطنا أمريكيا. وتزوج شاكر زميلته ورزق أربعة أولاد هم سميحة وجنان وشاكر وشفيقة. أسماء مصرية صميمة في نيويورك.

والتحق شاكر ببنك ليدلو أقدم بنوك نيويورك، قبل أصغر وظيفة في البنك، ثم أخذ يشق طريقه من وظيفة صغيرة تافهة إلى وظيفة أكبر وأكبر حتى أصبح الآن نائب رئيس مجلس الادارة وأصبح شريكا في البنك!

إن شاكر الذي خرج من القاهرة ومعه خمسة جنيهات من بضع سنوات أصبح الآن يملك حوالي مليون دولار!

وعندما سمع في صحف واذاعات وتلفزيون أمريكا أن القاهرة ومدن مصر قد خربت ركب أول طائرة إلى القاهرة! وقال لسائق التاكسي: خذني لأماكن التخريب في القاهرة، وقال له سائق التاكسي: التخريب كان بسيطا جدا لأن أغلبية الشعب أبت أن تشترك في التخريب..

وصحبه إلى شارع الهرم وإلى عدة أماكن.. واطمأن شاكر إلى أن مصر بخير.. وقرر أن يعود اليوم إلى أمريكا..

وسيعود مرة أخرى ليعمل في البلد الذي أحبه، وسيصحب معه سميحة وجنان وشاكر وشفيقة!

أبناء مصر لا يمكن أن ينسوها حتى ولو خرجوا منها يشحذون لقمة العيش، وأصبحوا بعيدا عنها من أصحاب الملايين!



قصة حب في رئاسة مجلس الوزراء

يبدو أن العالم سيشهد قصة غرام جديدة بعنوان (باتريشيا وهارولد) تؤلف عنها المسرحيات والأفلام والأغاني، على غرار قصة غرام قيس ولبنى، وقيصر وكليوباترة، وروميو وجولييت، والملك ادوارد ومس سمبسون!

فصحف أمريكا وأوربا تنشر الآن الصفحات الطويلة عن هذا الغرام، ومحطات التليفزيون تخصص الساعات في مناقشاتها، واستوديوهات الأفلام تستعد لاستقبال موضوعات عن العلاقة الخاصة التي كانت بين رئيس وزراء بريطانيا وسكرتيرته الحسناء!

والسبب في كل هذه الضجة أن السكرتير الصحفي لمستر و يلسون زعيم العمال ورئيس الوزارة البريطانية نشر كتابا عن مذكراته قال فيه: ان أقوى رجل في انجلترا كان امرأة، وانها كانت باتريشيا سكرتيرة و يلسون التي كانت تشخط في الوزراء وفي الزعماء وفي مستر و يلسون أيضا! وانها كانت تهزأ برئيس الوزراء في اجتماعاته مع مساعديه وتقاطعه وتسخر به، وتنهي الاجتماعات دون ان يجرؤ رئيس الوزراء على وضعها في مكانها؟ والذي يقرأ هذه القصص يفهم أن المقصود بها أنها كانت عشيقة رئيس الوزراء وأن الزعيم البريطاني الكبير كان أمامها بلا شخصية و بلا إرادة، وانها كانت تحركه كما تشاء!

والذي أعتقده ان باتريشيا كانت عشيقة فكر لا عشيقة فراش وانها استطاعت بذكائها وبحماسها لو يلسون و بايمانها بمبادىء حزب العمال أن تصل إلى قلب الزعيم.

فهي التي أنشأت لأول مرة المكتب السياسي إلى جانب رئيس الوزراء، وهو أشبه ببنك العقول الذي أنشأه الرئيس روزفلت بجواره، وكان يتألف من مفكرين يضعون له الخط و يكتبون له الخطب. وكانت باتريشيا ترأس هذا المكتب الذي استطاع أن يحقق لو يلسون النجاح في ثلاثة انتخابات من أربعة انتخابات أدارها. وكانت باتريشيا تقاوم انحراف حزب العمال إلى اليمين أو انحرافه إلى اليسار فأغضبت اليمين واليسار، وأغضبت زعماء حزب العمال الذين كانت تتجاهلهم، وأغضبت الوزراء الذين كانت أقوى منهم جميعا، وعندما ظهر الكتاب فوجئت المرأة المسكينة بكل هؤلاء ينقضون عليها، و ينهالون عليها بالخناجر والطعنات.

والعجيب أن كثيرين من رؤساء الوزارات في بريطانيا كان لهم سكرتيرون أصحاب نفوذ ضخم على هؤلاء الرؤساء، ولكن هذا النفوذ لم يثر الناس لأنهم كانوا من الرجال، ومن الغريب أن النساء لم يقفن إلى جوار السكرتيرة، لأنهن اعتبرن زوجة و يلسون مجنيا عليها، واعتقدن أن باتريشيا لم تنتزع رأس و يلسون وحده بل قلبه أيضا!

والأغرب من كل هذا أن تحدث كل هذه الثورة على امرأة ذات نفوذ في بلد ترأس حزب المعارضة فيه امرأة.. وتستعد لتولي الوزارة!

و يظهر أن أكثر أعداء النساء هن النساء.

دعائي في يوم مولدي

يا رب اجعلني أرى أخطائي قبل أن يراها أحد و ينبهني إليها. فاذا سبقني أحد إلى اكتشاف واحدة من أغلاطي لا تجعلني أغضب وأثور، بل وسع صدري حتى أحتمل النقد، واعطني الشجاعة لأعترف بأخطائي. أضيء رأسي بالنور حتى أرى نفسي في ظلام الغرور. لا تجعلني أسد أذني حتى لا أسمع النصيحة، ولا أغلق عيني حتى لا أرى الرأى الآخر..

يا رب اجعلني كبيرا في خصومتي فلا أضرب واقعا على الأرض. ولا أقاتل من سقط سيفه من يده، ولا أهاجم مكمما لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولا أتحدى مقيدا بالسلاسل وأدعوه للنزال والقتال!

يا رب بارك في خطواتي إذا كانت في طريق الحق، ولا تبارك في خطواتي إذا كانت في شارع الضلال. اجعلني لا أخاف إلا أنت.. ولا أهتز إلا لصوت مظلوم. أفكر في الناس قبل أن أفكر في نفسي. أدافع عن المظلوم كأنني أدافع عن نفسي، وأقاوم الظالم وكأنه يظلمني وحدي..

يا رب ابعد عني الأنانية ولا تجعلني أتصور أنني إذا أكلت فالناس كلهم أكلوا، وإذا جعت فالناس كلهم جاعوا. بل اجعلني أشارك الناس في همومهم ومتاعبهم وعنائهم وعذابهم، وأحاول أن أحتفظ لنفسي وحدى بهمومي ومتاعبي وعنائي وعذابي!..

يا رب علمني أن السلطان لا يدوم لأحد. وأن الذي يدوم هو العمل الصالح. علمني أن أحني رأسي أمام الضعفاء، وأرفع رأسي أمام الأقوياء. علمني أن الذين قطعت رؤوسهم وهم يقولون الحق لا يزالون على قيد الحياة، والذين يخافون من أن يقولوا كلمة الحق يموتون وهم على قيد الحياة..

يا رب اعطني الايمان ليكون درعي إذا حاربت، وليكون سندي إذا قاومت، وليكون عمودي الفقري إذا ترددت، وليكون لساني إذا قطعوا لساني، وليكون بصري إذا فقدت بصري، وليكون ساعدي إذا شلت يدي عن الحركة، وليكون قلبي إذا جزعت، وأعصابي إذا اضطربت ونوري إذا أظلمت الدنيا في وجهي!

يا رب اجعل الناس تغفر لي إذا أخطأت، وتصبر عليّ إذا تخاذلت وترحمني إذا ضعفت، وتطلب لي الرحمة إذا عشت أو مت!

يا رب اسعدني برؤية كل الناس سعداء.، أشعرني بحريتي عندما أرى كل الناس أحرارا. ابق نوافذنا مفتوحة وقلوبنا مفتوحة، وأحلامنا لبلادنا بلا حدود..

يا رب: هذا دعائي أمس في يوم مولدي!



بنك الحياة!

الحياة أشبه بمصرف كبير، كل واحد منا له فيه حساب. و بقدر ما تودع في البنك تسحب منه. فأنت لا تستطيع أن تودع في البنك جنيها واحدا ثم تتوقع أن تسحب من البنك ألف جنيه. فإذا أنت لم تحب أحدا لن يحبك أحد. وإذا أنت لم تمد يدك لتساعد إنسانا سقط على الأ رض لن تمتد يد إليك تساعدك إذا سقطت على الأ رض.

رأيت سيدة شقية تعيسة لأنها مرضت مرضا طو يلا ولم يزرها أحد من أقاربها أو معارفها، وسألتها هل كانت تزور أقاربها ومعارفها إذا مرضوا؟ وسكتت السيدة قليلا وقالت: لا! فهي لم تودع في بنك الحياة مليما من العواطف، وتنتظر من الحياة أن تصرف لها الألوف!

و بنك الحياة يختلف عن البنوك العادية، فهو لا يقرض ولا يقبل كمبيالات، ولكنه يتفق مع البنوك في أنه يعطي أرباحا على الودائع وهى في كثير من الأحيان أرباح مركبة. وكم جميل صغير قدمته لانسان، أعاده له البنك جزاء كبيرا ويحدث أن تصاب بخيبة أمل عندما لا تجد صدى للمعروف عند من أحسنت إليه. فلا تجزع إذا أفلس بنك مالك فستجد في الحياة مئات البنوك الأخرى ترد لك المعروف مضاعفا.

قصت عليّ ابنة استاذ في الجامعة أن والدها كان له تلميذ يعطف عليه و يشجعه و يساعده. حتى استطاع أن يوصله إلى منصب كبير في إحدى المؤسسات، ومات أستاذ الجامعة دون أن يترك مليما وفكرت الفتاة أن تذهب إلى تلميذ أبيها الذي أصبح من كبار رجال الأعمال تطلب منه عشرة جنيهات لتشتري ما تحتاجه من الكتب، وفتحت لها الخادمة الباب، فأخبرتها باسمها وبأنها تريد مقابلة رجل الأعمال الكبير ليساعدها في شراء الكتب، وعادت الخادمة بعد ربع ساعة وقالت للفتاة ان البيك نائم وحذرتها من أن تعود مرة أخرى إلي البيت. وعليها إذا شاءت أن تذهب إلى المكتب وتقدم طلبا للسكرتير.

وصدمت الاجابة الجافة الفتاة اليتيمة رقيقة المشاعر، ونزلت درجات السلم تجر ساقيها، وبعد طابقين أغمى عليها وسقطت أمام باب إحدى الشقق. وخرجت سيدة كبيرة على صوت سقوطها، وحملتها وأدخلتها إلى شقتها وأسعفتها، وسألتها عن قصتها فروت لها ما حدث لها فقالت لها السيدة ان أباك كان أستاذي أيضا. وذات يوم كنت في الامتحان الشفهي ولم أستطع الاجابة و بكيت وصبر عليّ وأخذ يداعبني و يهدىء من روعي حتى استعدت أعصابي واستطعت الاجابة عن سؤاله وأعطاني الدرجة النهائية.. وفتحت السيدة دولابها وأعطت الفتاة مائة جنيه، وطلبت إليها أن تعود كلما احتاجت إلى مال لاكمال دراستها!..

وهكذا وجدت الفتاة أن الفرق بين الجحود والعرفان بضع درجات في السلالم في نفس العمارة! إذا أقفل بنك أبوابه في وجهك فستجد عشرة بنوك مفتوحة. المهم أن يكون في حسابك رصيد!

والذين ليس لهم أرصدة من المعروف والخير والحب سيعيشون مفلسين ويموتون مفلسين!



لست صاحب نفوذ

لست صاحب نفوذ ولا سلطان. لا أملك تعيين فراش في وزارة، لا أستطيع أن أرقي ساعيا في شركة. لا أملك منصبا، ثلاثة أرباع الوزراء لا يعرفونني. كل ما أملكه هوقلم في يدي. ولكن بعض الناس يتصورون أنني أملك سلطات رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ومحافظ البنك المركزي ومأذون القرية.

أحيانا أقول لنفسي انه لابد أنني دون أن أدري نصبت على القراء، وتركتهم يفهمون من كلماتي أنني قادر على صنع المعجزات، أدوس على زر كهربائي فأنصف كل مظلوم، وأجد عملا لكل عاطل، وأسدد ديون كل عاجز عن الدفع، وأجد شقة لكل من يبحث عن شقة، وأعثر على عريس لكل عانس.

وقد يكون الناس صدقوا المثل الذي يقول: «يضع سره في أضعف خلقه» أو انهم صدقوا أن الصحافة هى صاحبة جلالة، وأن الصحفي له سلطات الملوك!

سيدة جاءت تقول انها اختلفت مع زوجها وطردها من البيت، وهى تطلب مني التوسط لإزالة الخلاف واعادتها إلى بيت الزوجية! وعبثا حاولت إقناعها بأن الجمع بين الزوجين ليس من مهام الصحفي، ثم انني لا أعرف الزوج، ومن غير المعقول أن يسمح لي الرجل أن أدس أنفي في مسألة عائلية تخصه هووزوجته ولا تخصني! وانني أرى أن مثل هذه المسائل يجب أن تبقى بين الزوجين ولا يتدخل فيها الأغراب حتى لا تتسع.

قالت السيدة: إذن أكتب وهاجمه واشتمه والعنه وافضحه بين الناس! قلت لها: يا سيدتي ليس من شأن الصحافة أن تهاجم زوجا لأنه طرد زوجته أو اختلف معها! قالت: لماذا إذن تقولون إن الصحافة بدأت تتمتع بحريتها!؟ قلت للسيدة: ليس معنى حرية الصحافة أن تهاجم زوجها. كل ما تستطيع أن تفعله أن تطلب من محررة صفحة المرأة أن تطالب الأزواج بعدم ضرب زوجاتهم! قالت محتجة: انه لم يضربني ولو ضربني لقطعت يده! قلت: إذن لماذا طردك زوجك من البيت؟ قالت لي: أقسم لك أنني لم أفعل أي شيء. ولكنه زوج وحش قاسي القلب حيوان شرير سافل منحط. قلت: لابد أنك فعلت شيئا! قالت: أبدا! كل ما فعلته أنني طردت أمه من البيت! قلت لها ساخرا: يا له من وحش! قالت: أنا سعيدة انك نصير الجنس اللطيف! ماذا كنت تفعل لو كنت مكانه؟ قلت لها: لا يمكن أن أكون وحشا وأطردك! كل ما كنت سأفعله أن ألقيك من نافذة الدور السابع!

قالت غاضبة: كيف تطالب بالحرية وأنت تحرمني من حريتي في بيتي؟ قلت: إن الابن الذي يرضى بأن يضحي بأمه اليوم سوف يضحي بزوجته غدا. قالت: لقد خدعوني وقالوا إنك تقف مع الضعفاء ضد الأقوياء! قلت لها: إنني أقف بجانب كل أم! المرأة التي تطرد أما من بيتها لا يمكن أن تكون ضعيفة إنها ألعن من أقسى الطغاة!

وهزت الزوجة كتفيها احتقارا للحرية التي نطالب بها وندافع عنها!

لأن الطغاة لا يحبون أن يسمعوا كلمة الحق!

أرملة الزعيم

في وقت من الأوقات، كان ونستون تشرشل أعظم رجل في العالم. قاد بريطانيا من الهزيمة إلى النصر. صمد لهجوم النازي ولم يتزعزع ولم يتخاذل ولم يستسلم. كانت بريطانيا أضعف عسكريا من ألمانيا الهتلرية، كانت ألمانيا متفوقة عليها في الطيران وفي الجيش، وكانت كل الدنيا تقول ان بريطانيا سترفع يديها معترفة بالهزيمة.

وجاء هذا الرجل، ووعد شعبه بالدم والعرق والدموع. استطاع أن يحول المتخاذلين إلى صامدين، والضعفاء إلى أقوياء، والفئران إلى أسود! جعل هذا الشعب مستعدا أن يقاتل في كل شارع وفي كل بيت وفي كل حارة. كان صوته في الإذاعة يوقظ العالم فيهب إلى نجدة انجلترا التي كانت تحارب وحدها، واستطاع أن يؤلب الدنيا كلها على هتلر حتى تحقق النصر..

وكتب تشرشل مذكرات وألف بعض الكتب الخالدة، وكسب ملايين الجنيهات منها، ولكن أغلب هذه الأموال ذهب في الضرائب وضريبة التركات..

وأصبح كل دخل أرملة مستر ونستون تشرشل هو معاشا يبلغ حوالي مائة جنيه في الشهر. وأعلنت في هذا الأسبوع عن بيع بعض اللوحات الفنية، بعضها رسمها تشرشل نفسه لتستطيع بثمنها أن تعيش لأن مرتب الخادمة في بريطانيا اليوم حوالي ثلاثمائة جنيه في الشهر!

ولم تستطع الحكومة البريطانية أن تفعل شيئا لرفع معاش زوجة أعظم رجل في تاريخ بريطانيا الحديث. فالتقاليد هناك تمنع أن يصدر قانون باستثناء شخص واحد. وصدر فعلا قانون برفع معاشات زوجات الرؤساء والوزراء والنواب.. ولم يطبق على مسز تشرشل وحدها لأن زوجها مات قبل صدور القانون، والتقاليد هناك ألا تكون القوانين بأثر رجعي!

وعرض كثير من البريطانيين أن يتبرعوا لمسز تشرشل لتستطيع أن تعيش فرفضت وقالت انها مصممة أن تبيع كل أثاث البيت قطعة وراء قطعة ولا تمد يدها لأحد!

وإذا بحزب الأحرار في هولندا يتقدم بمشروع قانون إلى البرلمان الهولندي يطلب من الحكومة الهولندية أن تدفع معاشا للأرملة البالغة من العمر ٩١ سنة تحية للجهود التي بذلها تشرشل لتحرير هولندا في أثناء الحرب العالمية الثانية.

وقال ونستون تشرشل حفيد تشرشل وعضو مجلس العموم ان لادي تشرشل باعت بعض أثاث منزلها لتعيش بعد وفاة زوجها في يناير سنة ١٩٦٥، وبأنها مضطرة اليوم لبيع هذه الصور الزيتية الحبيبة إلى قلبها، والمليئة بالذكريات الحلوة لتدفع ثمن الدواء والعلاج وإيجار الشقة التي تعيش فيها في حي كينجستون بريدج في لندن.

أما البيت الذي كان يملكه تشرشل فقد تبرع به للشعب ليكون متحفا!



عيد النظافة

نريد عيدا للنظافة في مصر كلها، يومانختاره ليخرج فيه الشعب لتنظيف البلد كله. يوما يخرج فيه كل رجل وامرأة، كل شاب وشابة، كل ولد وطفل ويحاول أن ينظف أى شيء! يحمل مقشة أو يحمل ممسحة أو يحمل خرقة. يعمل ساعة أو نصف ساعة أو ربع ساعة. المهم أن يشارك الشعب كله في تنظيف هذا البلد، وأن يمحو الصورة البشعة التي أصبحنا نعيش فيها. لن نعتمد على إدارات الحكومة وحدها. لن نكتفي بالشكوى والصراخ. بل سيعتبر كل واحد فينا نفسه وزيرا للنظافة في هذا البلد. وإذا نجحنا فسيكون الفضل لنا جميعا وإذا فشلنا فانه يجب ألا نلوم إلا أنفسنا.

ستتألف لجنة للاشراف على تنفيذ فكرة هذا العيد. لماذا لا نختار له يوم الجمعة ٨ ابريل؟ هذه فرصة شهر كامل، تتألف فيها لجان في كل شارع وفي كل حارة في مصر، ستكون كل لجنة فرعية مسؤولة عن نظافة الشارع أو الحارة، سوف تتصل هذه اللجنة بالمسؤولين عن النظافة في كل مدينة في مصر. إن أحدا لا يريد أن يحتكر العمل لنفسه أو يحتفظ بالشرف لشخصه. فالنظافة شرف لمصر كلها ولكل رجل وامرأة فيها. وهى مسؤولية الشعب مع الحكومة، ولا يستطيع الشعب وحده أن يفعل كل شيء، ولا تستطيع الحكومة وحدها أن تتولى هذه المهمة بعد أن فشلت كل المحاولات.

أحد كبار موظفي البنك الدولي من المصريين قال انه مستعد أن يشترك بنفسه في هذا العيد.. سوف يحمل المقشة و يقف في أي مكان تختاره اللجنة له، أساتذة في كليات الطب قالوا انهم سيخرجون في هذا اليوم لأداء واجبهم في تنظيف المدن، لأنهم يؤمنون أن ترك هذه القاذروات يعرض البلد كله لوباء خطير. سفراء أجانب ودبلوماسيون قالوا انهم مستعدون للمشاركة في كنس الشوارع حماية لأولادهم، وتعبيرا عن أسفهم لما أصاب المدن الجميلة!

مطلوب من الاذاعة والتليفزيون والاعلام كله أن يمهد لهذا اليوم الذي سيكون بداية لمتابعة مستمرة في غسل وجه مدن مصر وقراها.

لن نذكر أسماء.. إن الشعب كله مدعو ليكون عضوا في هذه اللجان!

إنها أولى لجان مصر تتألف بلا أسماء!!

سر الهجوم

شنت إذاعة موسكو حملة شعواء على المملكة العربية السعودية، وجريمة السعودية عند موسكو جريمة لا تغتفر، فهى تتوهم أنه لولا المساعدات المالية التي تقدمها السعودية لمصر وسورية والسودان وعدد من البلاد العربية لركعت هذه الدول كلها أمام الكرملين طالبة النجدة، مستجدية العون، متوسلة العفو والغفران!

وهي تضيق بأن المملكة السعودية قدمت لدول أفريقيا مبلغ ألف مليون دولار، بينما قدمت ليبيا حليفة الاتحاد السوفيتي مليوني دولار فقط لاغير، ومعها ألف مليون من الشعارات الليبية الضخمة والكلمات الفخمة عن شدة حبها لدول افريقيا وشعوب افريقيا!

وهى غاضبة لأن السعودية تقدم المساعدة لعدد من الدول الصديقة لتشتري الأسلحة من كل بلاد العالم، وهكذا تسهل السعودية لهذه الدول فرصة الخلاص من الاحتكار السوفيتي لبيع السلاح، المشروط عادة بالتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول! وهى حانقة لأن السعودية تقدم المساعدات غير المشروطة بغير أن تملي إرادتها على أحد.

وهى ثائرة لأن السعودية أصبحت بثروتها الهائلة عاملا مؤثرا في الاقتصاد العالمي يحسب له الغرب ألف حساب، وأصبحت دول الغرب تخشى أن تغضب السعودية والكويت ودول الخليج والدول العربية منتجة البترول إذا ما استمرت في سياستها العدوانية ضد العرب في ممالأتها لاسرائيل.. فهذه الثروة العربية أصبحت لأول مرة وسيلة ضغط هائلة على سياسة العالم أكثر من ألف تصريح أفلاطوني عن تأييد العرب، وأقوى من بليون بلاغ حماسي عن مناصرة القضية العربية بالكلام، المال في عالم اليوم هو القنبلة الهيدروجية الجديدة.

وإذاعة موسكو تقول ان السعودية تعتزم استخدام موارد بلادها الضخمة ليس فقط لاستئصال شأفة النفوذ الماركسي في الشرق الأوسط، بل أيضا لاعانة البلدان العربية في درء الخطر الشيوعي.. فالدولة التي تساعد شقيقاتها لتقف على قدميها رجعية مجرمة، والدولة التي ترسل لهذه الدول قنابل لقتل أهلها دولة تحررية!

هذا الهجوم لا يخيف السعودية ولا البلاد العربية الحرة، بل هو يزيدها إيمانا بالخط السياسي الذي اختارته لنفسها، فهي ترفض وصاية الغرب والشرق معا، وترفض تبعية الغرب والشرق معا، ولا تريد أن تتلقى تعليمات لا من واشنطون ولا من موسكو!

الذين ذاقوا الهزيمة والهوان في ٥ يونيو في ظل سيطرة النفوذ الروسي على بلادهم في الستينات، الذين رأوا كيف تترجم المساعدات الاقتصادية الى التدخل في شؤون بلادهم، ووضعهم تحت الوصاية وفرض وزراء معينين، والتحكم في ضباط الجيش، وتعيين صحفيين بالذات، والمعارضة في الافراج عن المسجونين السياسيين، والاعتراض على إلغاء الحراسات والمعارضة في الديمقراطية، الذين ذاقوا كل هذا الذل يرفضون أى تبعية وأي وصاية وأي سيطرة، خير لنا أن تشتمونا ونحن أحرار على أن تمدحونا ونحن عبيد!



ادخل إلى ورشة!

احتاجت سيدة مصرية تقيم في جدة إلى نجار. وجاء نجار شاب يحمل أدواته، وقام بمهمته بكفاءة وسرعة مذهلة. وسألته السيدة المصرية عن جنسيته. فقال انه مصري. وسألته في أي معهد تعلم النجارة، فقال النجار انه لم يدرس النجارة في مدرسة وانه تعلمها بالممارسة. وذكر أنه خريج كلية الهندسة بجامعة القاهرة، وعندما حصل على البكالوريوس اكتشف أنه يجب أن يقتصد كل مرتبه لمدة عشر سنوات ليدفع مهرا و يشتري شبكة العروس، ويجب أن يقتصد مرتبه لمدة عشرين سنة أخرى ليحصل على شقة، ويجب أن يقتصد كل مرتبه لمدة سبع سنوات ليشتري سيارة.. وهكذا يستطيع أن يتزوج في سن الستين، بشرط أن يمكث منها ثلاثين سنة لا يأكل ولا يشرب ولا يدخن سيجارة! ولهذا السبب سافر الشاب إلى السعودية يبحث عن عمل، ولم يجد أحدا يريد ما اختص بدراسته وهو الكهرباء وعلم أنهم يحتاجون إلى حدادين وسباكين ونجارين وبنائين. وتعلم النجارة وأتقنها بسرعة، والآن يبلغ دخله من حرفة النجارة أكثر من مرتب رئيس وزراء مصر!.. وأحيانا يصل دخله إلى مجموع مرتب نائب رئيس وزراء مصر للكهرباء ومرتب وزير المواصلات! وهو يقتصد أكثر مرتبه ليعود إلى مصر بعد عامين أو ثلاثة أعوام ومعه مهر العروس وشبكتها وثمن الشقة.. أما السيارة فهو قد اشترى سيارة من دخله و يتنقل بها ليقوم بأعمال النجارة!

ولو كان هذا الشاب بقى في مصر وتعلم صناعة النجارة لاستطاع أن يحصل على دخل كبير، فنحن الآن في عصر العمال الفنيين المهرة وإذا استطاعت أم أن تودع ابنها في ورشة نجارة أو حدادة أو تعلمه السمكرة أو النقش أو البناء فانها بذلك تستطيع أن تضمن مستقبله مائة مرة أكثر مما لو أدخلته إلى الجامعة واستطاعت أن تجعله يحصل على البكالوريوس.

وقد كان المفهوم عندما نادي بالإصلاح، أن نمهد الشعب ليفهم أن المستقبل للعمال، وأن نشرح للناس العصر الجديد الذي نعيش فيه، وأن نقول لهم إن العامل الآن في البلاد الصناعية يربح أكثر كثيرا من موظف الحكومة وان كثيرات من بنات الأسر الكبيرة في أمريكا يتزوجن الآن من حدادين ونجارين وسباكين وعمال كهرباء، وان الموظفين ذوي الياقات البيضاء أصبحوا أقل دخلا من العمال الذين يرتدون العفريتة الزرقاء، ولقد أصبحت وظيفة العامل الفني المدرب أضمن عمل في الدنيا، فهناك مجاعة في كل العالم للعامل المهني المدرب. وكثيرون من الموظفين الذين يحملون شهادات ودرجات علمية يكتبون إليّ يطلبون عملا في البلاد العربية. وقد يدهشون إذا علموا أن هذه البلاد لا تحتاج الآن إلى محامين أو أدباء أو تجاريين، انها تحتاج إلى سباكين وحدادين ونجارين وعمال بناء. هذه هى العملة الصعبة المطلوبة الآن في كل العالم.

ادخل اليوم إلى ورشة. تعلم أى حرفة.. و بذلك تضمن المستقبل!



لا تشاغب في عملك

هل أنت مشاغب؟ هل تتشاجر في العمل مع زملائك؟ هل تعتقد أنك أكفأ من كل رؤسائك؟ هل تدمن على كتابة الشكاوى والاحتجاجات والاعتراضات؟

إذا كنت واحدا من هؤلاء فانني أنصحك أن لا تبحث لنفسك عن عمل في الخارج.

كنت منذ أيام مجتمعا مع بعض كبار رجال الأعمال الأجانب فقالوا لي ان الدراسات أثبتت أن العامل المشاغب أو الموظف المشاغب يحمّل الشركة حوالي مائة ألف جنيه كل عام. خلافاته مع زملائه تعطل العمل، ومشاغباته مع رئيسه تربك العمل، وشكاواه تحتاج إلى تفرغ موظفين في التحقيق وسماع الشهود ودراسة القضية وتعطل الرؤساء، ولهذا فانه عندما تستغنى الشركة عن موظف مشاغب فانها توفر مائة ألف جنيه تضمها إلى الأرباح! فاذا كان في المؤسسة عشرة موظفين مشاغبين فان هذا سيؤدي إلى خسارة مليون جنيه سنويا ولهذا فان الشركات الناجحة في العالم الآن تتخلص من الموظف المشاغب على الفور، وأي تعويض تدفعه له هو أرخص مائة مرة مما تتكلفه لوبقى فيها!

ولاحظت أنهم بدأوا يسألون طالب الوظيفة عن عدد المساكن التي انتقل إليها خلال الخمس سنوات الماضية، فهم يعتبرون هذا النقل المتكرر دليلا على عدم الاستقرار، والموظف غير المستقر في بيته لا يصلح لأن يترقى إلى وظيفة أكبر..

وفي البلاد العربية لا يريدون موظفين يتدخلون فيما لا يعنيهم، فهم يريدون مدرسا يعلم التلاميذ الحساب ولا يريدون أستاذا يعلمهم كيف يديرون بلادهم، وهم يريدون ممرضة تخدم المرضى لا ممرضة تتعالى على الأطباء وتدعي أنها أعلم منهم في الطب وشؤون العلاج، وهم يحتاجون إلى مراجع حسابات ولا يحتاجون إلى من يراجع أخطاءهم ويحسب غلطاتهم و يتوهم أنه قادر على اصلاح الكون!

الموظف المتواضع مطلوب، الموظف المتعالي مرفوض.. العامل الذي يتفرغ لعمله يرحبون به والعامل الذي يدس أنفه في سياسة البلد وشؤونها الداخلية يطردونه. وهم يرفضون بشدة الموظف المشاكس الذي يمطر الدولة برقيات يحتج فيها على أصحاب العمل الذين يمتصون دمه، و يهددهم كل يوم بأن يشكوهم للحكومة المصرية ليقطع رقابهم. فهم يعرفون أن الدولة لا تتدخل في المنازعات التي تحدث بين أفراد، ولا وقت لأصحاب العمل في بحث الشكاوى.

إن في البلاد العربية الآن عملا متواصلا. لا وقت لدى أحد لسماع شكوى أو لتحقيق احتجاج، الوقت الذي يصرفه صاحب العمل في تحقيق شكوى كاف ليتعاقد على مشروع يدرعليه مليون جنيه كل عام. الدنيا هناك تتحرك بسرعة مذهلة. لاوقت عند أحد لبحث الشكاوى وليحول مكتب المديرإلى مكتب نائب عام!

أما في مصر ففي امكانك أن تشكو رئيسك مرة كل ٢٤ ساعة، ولن يقول لك أحد عيب!

الأطرش في الزفة

سوف يختفي المثل الشعبي الذي يقول: « كالأطرش في الزفة!» من الحكم والأمثال.. لأن الأطرش ابتداء من اليوم سيسمع في الزفة، وسيسمع شدو أم كلثوم وموسيقى عبدالوهاب وغناء عبدالحليم حافظ.

فقد اخترع أطباء فرنسا جهازا يحمله الأطرش فيسمع، بل ان هذا الجهاز سوف يجعل الأ بكم يتكلم، فان الأ بكم عادة فقد النطق لأنه فقد السمع، وعندما يعود إليه السمع سوف يصبح من السهل عليه أن يتكلم.

والجهاز الجديد في الوقت الحاضر سوف يفيد فقط الذين ولدوا وهم لا يسمعون أو لا ينطقون. و ينتظر أن يتطور الجهاز بحيث يفيد الذين فقدوا السمع وهم أكبر سنا. والجهاز في الوقت الحاضر باهظ التكاليف وثمنه مرتفع، والمتوقع أنه بعد سنوات ستهبط تكاليف إنتاجه بحيث تستطيع أن تشتري جهاز السمع كما تستطيع أن تشتري نظارة!

والعلم لا يتوقف أبدا. كل يوم نرى اختراعا يجعل المستحيل ممكنا، ومادام العلماء وصلوا إلى اختراع يعيد السمع للأصم، فلا يمكن أن نستبعد أن يصلوا إلى جهاز الكتروني آخر يعيد البصر للأعمى.

وأذكر منذ سنوات أن الأنباء جاءت تقول ان بعض أطباء موسكو وفقوا إلى جراحة تعيد البصر للأعمى. وسألنا عن تكاليف هذه التجربة فقيل انها عشرة آلاف جنيه. وعرضت «أخبار اليوم» على الدكتور طه حسين أن يجري هذه الجراحة وأن تدفع «أخبار اليوم» تكاليفها.. ولكن الدكتور طه رفض الفكرة. وقال لنا يومها انه سعيد «بعماه» وانه لا يتصور أنه إذا استعاد البصر سيرى الدنيا جميلة كما يتصورها. ومن حسن الحظ أن الدكتور طه رفض لأن الجراحة أجريت لبعض العميان يومها ولم تنجح.

وكان هذا منذ أكثر من عشرين عاما خلال هذه المدة قفز العلم إلى الأمام، ووصل الإنسان إلى القمر، وعرف أسرار المريخ، وهذا يجعلنا ننظر إلى نبأ باريس عن إعادة السمع والنطق للأطرش والأ بكم باهتمام، و بأمل أن يصبح في المستقبل من الممكن شفاء الطرش والبكم والعمى كما تشفى البلهارسيا والانكلستوما والسل!

في كل يوم ستكون الدنيا أحلى من اليوم السابق! وكم ستكون الدنيا جميلة عندما يتكلم كل البكم، و يسمع كل الصم، و يرى كل من فقدوا نعمة الابصار.

ولا يبقى بعد ذلك إلا اختراع آلة لشفاء من فقدوا «البصيرة».. وهذا صعب جدا.

عيد الأم

سأذهب اليوم إلى قبر أمي. سأضع وردة واحدة على قبرها. هذه الوردة ستقول لها شكرا شكرا يا أمي على كل ما فعلته من أجلي. زهور الدنيا كلها لا تكفي أن تحمل حبي، ولكن زهرة واحدة ستحمل إليها الحب كله!

فقدت أمي منذ ثلاثين سنة. لم أشعر أنها ماتت. حتى اليوم أرى ابتسامتها الحلوة، أسمع صوتها الحنون. أحس بذراعها الدافئة تطوقني. مهما كبرنا فاننا نشعر أننا مازلنا أطفالا نحبو أمام أمهاتنا. والذين نحبهم لا يموتون. يبقون أحياء في قلوبنا. يعيشون. يتحركون. و يتكلمون.

لن أبكي اليوم وأنا واقف على قبرها. سوف أبتسم.. انني أحاول أن أسعد نساء بلادي لأسعدها.. أن أقف بجوارهن لأ رضيها.. أن أحبهن لأنني أحبها!

في هذا اليوم سوف تبتسم ملايين الأمهات. والأ ولاد والبنات، ما أروع قبلات الأ بناء على خدود الأمهات!

في هذا اليوم سأذكر الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم. قلبي معهم. فأنا يتيم مثلهم.

ولن أحزن أبدا إذا بكوا في هذا اليوم. أقل ما نقدمه في هذا اليوم للأم التي فقدناها هو دمعة. فالأم تستحق أن نبكي عليها كل يوم، لا مرة واحدة كل عام!

وسأذكر السيدات اللاتي لم ينجبن أطفالا. ولتعلم كل واحدة منهن أن في استطاعتها أن تسعد طفلا يتيما أو طفلا فقيرا، وتكون له اما في هذا العيد السعيد. نظرة سعيدة في عيد طفل محروم كفيلة بأن تغسل كل هموم الدنيا وأحزانها!

الغرض من هذا العيد أن نقول «شكرا» لذلك الملاك الجميل، الذي يعطي ولا يأخذ، و يشقى ولا يشكو، و يضحي ولا يمن، الذي يتعب لنستريح، و يسهر لننام، الذي حملنا تسعة أشهر والواحد منا يتعب إذا حمل طفله تسع دقائق!

كل واحد منا يحمل اسم أبيه و يفاخر باعلانه ويخفي اسم أمه! في بعض المناطق لا يزال اسم الأم عورة! بنيما الأنبياء أعلنوا على الدنيا أسماء أمهاتهم! في الشوارع لا تزال الأم تسب وتشتم بأقذر العبارات، وأنا أؤمن أن سب الأم مثل سب الدين يستحق أقسى العقاب..

في مصر يكتبون تاريخ الرجل العظيم و يكتبون كل شيء عنه، و يشيدون بأبيه، ولا يشيرون إلى أمه بكلمة واحدة. أمهاتنا لا تنشر أسماؤهن إلا مرتين. مرة حين تزوج.. ومرة أخرى في صفحة الوفيات..

ولهذا جاء عيد الأم ليعيد بعض الاعتبار إلى أمهاتنا..

شكرا يا أمي في عيدك..

التفكير لا يحتاج إلى عملة صعبة

امتلأت شوارع مدينة حلوان بالباعة السريحة وعربات الكارو وباعة الخضار، وملأت القذارة والفضلات كل مكان. وفقدت المدينة جمالها كمدينة سياحية..

وفشلت المحاولات مع هؤلاء الباعة مدة خمس سنوات، تجيء المرافق في الصباح وتبعدهم عن الميادين الرئيسية، ولا تكاد تنصرف القوة حتى يتجمع الباعة السريحة والعربات الكارو وباعة الخضار من جديد.

وجاء رئيس جديد لحي حلوان والمعادي وفكر كيف يواجه هذه الكارثة، التي لم ينفع فيها التهديد والوعيد والمخالفات والغرامات.

واختار الرجل قطعة أرض فضاء ملك الحكومة، وقسمها إلى شوارع بالجير، وأعطى لكل جزء فيها رقما معينا. وحدد شارعا لعربات الكارو، وشارعا للباعة السريحة وشارعا لباعة اللحم والكرشة وحدد مساحة معينة لكل بائع، وأعطى كل واحد منهم رقما..

واختفى من الشوارع الباعة السريحة وعربات الكارو وباعة الخضار، واختفت القذارة والفضلات، وعاد لمدينة حلوان جمالها وأناقتها ونظافتها.

هذا التصرف لم يكلف هذا الرجل المسؤول سوى أن يفكر، إن كثيرين مثله وقفوا مشلولين عاجزين حيارى أمام مشاكل أصغر، لأنهم تعودوا أن يفكر الرؤساء لهم، وأن تكون مهمتهم هى التنفيذ، بغير مناقشة أو تفكير.

أنا لا أعرف اسم هذا المسؤول، ولم أقابله طول حياتي، ولكني أتمنى أن يفعل كل مسؤول في حي أو شارع ما فعله هذا الرجل المجهول.

لا يكفي أن يجلس المسؤول في مكتب فخم، ولا أن يستقل سيارة حكومية أنيقة،

مطلوب منه أولا أن يفكر،

إن التفكير لا يحتاج إلى عملة صعبة.

أعمى لمدة خمس دقائق

قالت لي: عندي رجاء بطلب منك..أريد أن تكون أعمى لمدة نصف ساعة!

وعجبت لهذا الطلب الغريب. ولم تنتظر حتى أوافق، وأخرجت عصابة سوداء ووضعتها على عيني!

واستسلمت لرغبتها مجاملة لها، فقد كان والدها صديقي..

ودق جرس التليفون ومددت يدي أبحث عن السماعة فتاهت يدي. ومددت أصابعي للبحث عن علبة السجائر لأقدم لها سيجارة، فاصطدمت أصابعي بكوب الماء فوقع، وبفنجان القهوة فاندلق على المكتب، وفتح الباب شخص ودخل وخرج ولم أعرف من هو. حدث كل هذا في نصف دقيقة مرت عليَّ كأنها ساعة طويلة من العذاب، وأردت أن أرفع العصابة عن عيني، فرجتني أن أستمر. وبقيت نصف الساعة شقيًا معذبا تعيسا ألعن اللحظة التي رضيت فيها بهذه التجربة.

كان ذلك في سنة ١٩٥٤ ــ منذ ٢٣ سنة ــ ورفعت استقلال راضي عن عيني العصابة، وقالت لي انها أرادت أن أجرب عذاب العميان قبل أن تحدثني عن مشروعها بإنشاء جمعية للعناية بالفتيات الكفيفات باسم جمعية النور والأمل. وتحمست «أخبار اليوم» للمشروع الوليد ووضعت كل صحفها ومجلاتها تحت تصرف استقلال راضي، واخترنا أحد رؤساء التحرير ليتولى الدعاية للمشروع. وفي أيام جمعت استقلال راضي ٢٠ ألف جنيه من تبرعات الشعب، وأمر الرئيس جمال عبدالناصر بدفع ١٥ ألف جنيه إعانة لها من الحكومة.

كانت اللجنة مؤلفة من ١٢ سيدة، وكان لاستقلال راضي وحدها نشاط وحماس ١٢ ألف سيدة! كانت تستيقظ عند الفجر، وتلف وتدور في القاهرة كلها تجمع التبرعات وتتحدث عن المشروع! وفي يوم وليلة أصبح هذا المشروع الوليد هو حديث مصر كلها. لم تتراجع أمام العقبات. لم تتخاذل عندما كان البعض يهزأ من هذا المشروع المتواضع القزم الذي يحاول أن يقف بجوار المشروعات العملاقة!

وأنشأت استقلال مبنى جمعية النور والأمل، أول جمعية من نوعها في الشرق الأوسط، وأنشأت فيه مدرسة ابتدائية ومركزا لتأهيل الكفيفات. وبلغ عدد الفتيات ٣٠٠ فتاة، والتحق منهن ١٦ فتاة بالجامعات المصرية. واستطاعت هذه السيدة أن تضع في أيدي ألوف من الكفيفات شموعا من الأمل يعرفن بها طريقهن في الظلام.

واليوم تجتمع سيدات مصر لتأبين استقلال راضي. المرأة التي ماتت، ولكن بعد أن أسعدت ألوفا من الفتيات الكفيفات.

كانت عيونهن جميعا!



هل الراهب يصلح رئيساً للوزارة؟

هل السياسي البارع هو الذي يخدع و يكذب، و يناورو يداور، و يعانقك ليخنقك، و يقبلك ليفترسك و يبتسم لك ليغمد خنجره في ظهرك؟

هل هو الذي يخفي نواياه، فيتقدم وهو يتأخر، و يبطش وهو يتظاهر بالعدالة و ينتقم مدعيا أنه يرحم، و ينكل بخصومه وهو يربت على أكتافهم؟

مدرسة مكيافيلي تؤمن بأن من حق السياسي أن يكذب على الشعب، أن يعد ولا ينفذ، أن يخفي الحقائق و يعلن البيانات الملفقة، وهي ترى أن الغاية تبرر الوسيلة. لا مانع أن تغدر بالأصدقاء وتغرر بالأعداء، وتوقع المواثيق وتمزقها، وتعطي الوعود وتنكرها، مادام الغرض أن تخدم بلادك..

والذين يعرفون موراجي ديساي رئيس وزراء الهند الجديد يقولون انه شخصية غريبة. فهو أحد تلاميذ غاندي الذين يؤمنون بمبادئه الروحية و يريدون تطبيقها على الأ رض..انه ينام في بعض الأ يام على المسامير كما يفعل فقراء الهنود يضرب في بعض الأ يام عن الكلام فلا ينطق بحرف واحد..يمتنع في بعض أيام الأسبوع عن الطعام.. نباتي لا يقرب اللحوم، لا يشرب الخمر، يصلي و يتعبد في بعض أيام الأسبوع و يرفض أن يلتقي بالناس!

وهو لم يقترب من زوجته منذ أن أنجبت ولدها الخامس. فهو راهب متزمت يشتغل بالسياسة!

وهو يحاول أن يطبق مبادىء الأخلاق في السياسة. و يرى أن رفع أخلاق الشعب أهم من رفع مستوى المعيشة! وتطهير أرواح الناس أهم من تنظيف الشوارع..

وهو لا يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، بل هو يقول دائما ان الوسيلة أهم ألف مرة من الغاية. وكثيرا ما يردد: لا أتنازل عن الحقيقة حتى ولو كان ثمن ذلك انقاذ العالم من الدمار!.. وهذا هو السبب في أنه لم يستطع أن يصل إلى رئاسة الوزارة في الهند إلا بعد سن الثمانين.

فالساسة يقولون ان الراهب لا يصلح رئيسا للوزارة، والفيلسوف لا يصلح لزعامة أمة. و يقول المراقبون السياسيون في الهند ان تجربة رئاسته للوزارة ستكون فريدة في نوعها، فهو مثلا سوف يرفض أن يكتب لرئيس دولة لا يحبه و يبدأه بالكلمة التقليدية.. «أخي العزيز»! وهو سيرفض أن يقول لزعيم لا يحترمه «وتفضلوا بقبول فائق الاحترام»! وسوف يأبى أن يصافح سياسيا لا يثق بأخلاقه إذا اعتقد أنه ملوث أو أنه مستغل لنفوذه!

وهم يتساءلون هل الشعوب تريد أن يحكمها رجل صالح يصدقها أم تفضل الرجل الألعبان الذي يضحك عليها؟ وهل تتحمل أن يكون الحاكم راهبا ورعا تقيا متزمتا أو انها تستريح إلى ضارب طبلة يدق عليها فيرقص المواطنون على أنغامها؟ هل هي تفضل أن تصلي وراء «إمام» أم تسير وهي تغني وترقص وراء بلياتشو؟؟!

إن الأ يام القادمة في الهند سوف تجيب عن هذا السؤال!

يجب أن يتكلم وزير الصناعة

لا أعرفه! ولكن أعرف والده أحمد أمين، أحد كتاب مصر العظام، وأحد الذين كانوا يكتبون منشورات ثورة ١٩١٩ ضد الإنجليز! وأنا أشعر أنني مدين لكل رجل ثار من أجل مصر، لكل رجل أشعل عود ثقاب في ظلام مصر!

كان الدكتور محمد أحمد أمين رئيس الخبراء بهيئة العمل الدولي بالأمم المتحدة. مكث في هذا المنصب عشر سنوات.. وكان رئيسا لأكبر مشروع دولي للتدريب المهني، وكان يعمل تحت رئاسته ٤٢ خبيرا دوليا.

وعندما بدأت ثورة التصحيح بدأ ألوف الشبان الأكفاء الذين هربوا من مصر من الطغيان والاستبداد والقهر والمعتقلات والحراسات، بدأوا يفكرون في العودة إلى مصر بعد أن أضيئت الأنوار وفتحت النوافذ.

وعاد الدكتور محمد، فعرض عليه وزير الصناعة أن يتولى منصبا كبيرا في شركة كبيرة، ثم قرأ في الصحف أنه عين رئيسا لمجلس إدارة شركة الغازات الصناعية، الشركة صغيرة ولكن مشاكلها كبيرة، يكفي أن المستشفيات تشكو من عدم وجود أنابيب الأوكسجين وتتعطل الجراحات الهامة، يكفي أن مصانع كثيرة كانت تتوقف و يقل إنتاجها لعدم وجود الأوكسجين وغاز الاستيلين، يكفي أنها كانت تخسر ٢٢٠ ألف جنيه سنويا، وكانت خسارتها تؤدي إلى خسارة حوالي ١٥ مليون جنيه نتيجة توقف مصانع تعتمد على إنتاجها!

وقبل الرجل المنصب وحول الخسارة إلى ربح قدره ٣٥٠ ألف جنيه، فقد ربحت الشركة لأول مرة منذ ١٠ سنوات، وفوجىء الرجل بعد ذلك بقراءة اسمه منقولا إلى مستشار بهيئة التصنيع! كان أشبه بتلميذ يقرأ نمر التلامذة في جريدة ليعرف الناجحين والساقطين. لم يكلف مسؤول نفسه أن يتصل بهؤلاء الرجال الذين خدموا الصناعة في مصر من أول إنشائها ليبلغهم نبأ طردهم من شركاتهم قبل أن يقرأوها في الجرائد! قيل لهم ان هذه تقاليد مصر، الوزير حر يرفت من يشاء و يعين من يشاء، دون أن يجرؤ إنسان أن يناقشه أو يسأله لماذا، ناسين أن عصر الديمقراطية قيد الوزارة وحرر الشعب.

وقال الوزير ان الذين نقلهم سلبيون أو لم يحققوا الخطة أو غير أكفاء! فكيف ينقلهم إلى مستشاري هيئة التصنيع، المفروض أنها تشرف على إنشاء المصانع الجديدة فكيف نعين فيها فاشلين سلبيين غير أكفاء، اللهم إلا إذا اعتبرناها تكية وأن كبار رجال الصناعة في مصر هم الدراويش الجدد الذين يأكلون و يشربون مثل تنابلة السلطان بغير أن يؤدوا عملا.

يجب أن يتكلم وزير الصناعة و يقول للشعب لماذا أخرج كل مدير، وأن يسمع رأي كل مدير بصراحة!

نحن الآن في بلد فيه شعب لا يخاف!..

عبدالحليم حافظ

ذات يوم أعطيت اجازة إجبارية من عملي في أخبار اليوم، وحددت إقامتي في بيتي، ووقف مخبر سري أمام الباب يسجل اسم كل من يجرؤ على زيارتي.

وكان عبدالحليم يزورني كل مساء و يبقى معي إلى ساعة متأخرة من الليل.. وقال لي أطباؤه انه يجب ألا يسهر فكنت أصر على أن ينصرف عند منتصف الليل تماما ليعود إلى بيته.. وكان يعارض في أن ينصرف فألح عليه فيمشي على مضض، ثم فوجئت بعد ذلك بأنه لا يذهب إلى بيته و ينام، بل إنه يبقى ساهرا إلى الساعة الرابعة والخامسة في الصباح. ولمته على هذا التصرف الأحمق و بكى، وقال لي إنه يكره أن يضع رأسه على الوسادة. فهو عندما يرقد على السرير يشعر أنه لن يقوم منه وسيموت فيه. ولهذا يحرص على ألا يدخل السرير إلا إذا أحس أنه عاجز عن أن يقف على قدميه أو يجلس فوق كرسي!

هذا الشعور باقتراب الموت كان يسيطر على عبدالحليم.. كان يخفيه عن أقرب الناس إليه حتى لا يزعجهم.. وكان يقاوم الموت بشجاعة مذهلة. لا يكاد يفتح عينيه من إغماءة طويلة حتى يفكر في لحن، أو يستعد لبروفة، أو يتفاوض على إنتاج فيلم.

عرفته في بداية حياته شابا صغيرا يخطو خطواته الأولى. لم يكن الطريق سهلا. كان مليئا بالصخور والسدود والأهوال، كم رأيته يبكي على كتفي والسكاكين تغمد في ظهره والمطارق تهوي على رأسه، ولكنه لم ييأس..لم يتراجع. لم يتردد..لم يتوقف..مضى يشق طريقه بدمه ودموعه وعرقه وصحته وحنجرته وعناده وصبره وإصراره واستمراره.

وصل إلى القمة وهبت عليه الأعاصير والزوابع، وتشبث بمكانه ودافع عن مجده، وحاور وناور، وتقدم وتأخر. واستطاع أن يصعد من قمة إلى قمة. صوته عظيم ولكن أعظم من صوته ذكاؤه.. وأكبر من ذكائه صبره وقدرته على الاحتمال.

الذين يتصورون أن هؤلاء النجوم يصلون إلى مكانتهم بالحظ أو بالمحسوبية واهمون. المجد لا يصدر بقرار.. إنه سلسلة متواصلة من العذاب والعمل والإيمان والتجلد والاصرار والابتكار والخلق والعمل المضني المتواصل. هو حرمان من كل لذات الحياة.

أعرف عبدالحليم منذ سنوات طويلة عاشها محروما من أن يأكل ما يتمنى.. مسجونا في داخل زجاجة دواء. أقراص الأدوية لا تفارقه بالليل والنهار. أعرفه يبتسم و يضحك ودمه ينزف وجسمه يتمزق.. أعرفه أقوى من المرض، ولكنه أضعف من الموت!

ومنذ شهرين علمت من أطباء لندن أن صحته انهارت وأن لا أمل في حياته، وطلبت أن ينشر نبأ انهيار صحته في الصفحة الأولى في أخبار اليوم. وإذا ببعض الصحف العربية تحسده على المرض كما حسدته على المجد.. فتكتب وتؤكد أنه ليس مريضا وانما هى دعاية لأغنية الربيع التي سوف يغنيها!

وجاء الربيع ليموت أجمل طيور الربيع..

علي أمين

لا أصدق أنه مات منذ سنة، وحشته كبيرة كأنه غاب منذ ألف سنة، وألم فقده ما يزال ينزف دما كأنني فقدته منذ لحظات.

لا أريد أن يحزن الناس في يوم ذكراه، فقد أوصاني أن نحتفل بذكراه بالبسمات والضحكات، لا بالدموع والآهات.

أوصاني ألاّ نضع زهورا على قبره، بل نحاول أن نغرس شجرة من الأمل في صحراء اليائسين.

أوصاني ألاّ نقيم سرادقا للمعزين، بل نقوم بحملة لبناء غرفة لكل من لا يجد مأوى أو ينام في المقابر أو على قارعة الطريق!

فهو يريد منا حين نذكره ان نبتسم. ننسى مأتم وفاته ونذكر عيد الأم الذي أدخله في بلادنا، فهو يحس بمتاعب الناس وهمومها وأحزانها في هذه الأيام ولا يريد أن يكون أحد همومها أو أحد أحزانها. يريد أن تكون آراؤه وأفكاره عاملا يخفف عن الناس متاعبهم، ويحمل عنهم بعض مشاقهم.

إنه يفضل أن ننفق ثمن الورد الذي نضعه على قبره لشراء طعام لجائع، أو لشراء كتاب لطالب جامعة لا يجد ثمن الكتاب وموعد الامتحان يقترب، أو لشراء ثوب لعار امتلأت جلابيته بالثقوب، دموعنا لا تعيده إلى قيد الحياة، وإنما الذي يعيده إلى الحياة هو أعمالنا من أجل الذين يحبهم، و يهتم بهم، ويحس بأنهم جزء لا يتجزأ من قلبه!

من يريد أن يبكيه اليوم فليمد يده ليساعد ساقطا على الأرض ليقف على قدميه، أو يقف بجوار مظلوم لا يجد من يدافع عنه، أو يضيء شمعة في ظلام بائس يبحث دون جدوى عن قبس من نور، أو يهدي إلى الإيمان تعيسا ضالا أغمض عينيه فلم ير نور الله!

وأنا لا أوافق أن نحتفل بيوم الوفاة، انني أفضل أن نغير هذه العادة ونحتفل بعيد الميلاد.. ولا أعرف في بلد في الخارج يحتفلون بذكرى وفاة مفكر أو شاعر أو زعيم إلا في مصر..

وهنا تذرف الدموع في ذكرى الوفاة!

ومن أجل هذا سوف أحاول أن أبتسم وأضحك وأحلم في ذكرى وفاة على أمين.. فأنا لم أشعر حتى الآن أنه مات!

لا يموت ولن يموت رجل يحبه كل هؤلاء الناس.



أعداء النظافة!

أعداء النظافة كثيرون، ولكنهم ليسوا أغلبية!

الكسالى واليائسون والجالسون القرفصاء في مواجهة عالم متحرك. كل هؤلاء يقولون لا فائدة من يوم النظافة. يقولون ما دامت أجهزة المحافظات عاجزة فالشعب أكثر عجزا! ولو كان هؤلاء موجودين قبل بناء الأهرام لما بناه قدماء المصريين، ولو كان لهم رأي قبل حرب ٦ أكتوبر لكنا لا نزال واقفين بجيوشنا على الضفة الغربية للقناة!

عجائز الفرح الذين يثبطون كل همة، و يعارضون كل تقدم، لا مكان لهم في حياتنا الجديدة، إننا سنحاول أن ننظف بلادنا، إذا فشلنا فسوف نحاول من جديد، لا بأس أن نحاول ألف مرة ونعجز، ونحاول المرة الأولى بعد الألف وننجح. فالنجاح هو محاولة جديد يقوم بها فاشل قديم. وهو الاستمرار والاصرار، وهو التغلب على الصعوبات، وهو شق الطريق في أرض من الصخور، وهو ضنى وتعب وعرق وعذاب.

الذي نحاوله اليوم هو مشروع بلا رئاسات. بلا صور في صفحة المجتمع. بلا أوسمة توزع على الجالسات في بيوتهن، وابتسامات توزع على النساء والرجال والشبان والشابات الذين يكنسون الشوارع!

أتمنى أن يبدأ كل واحد منا في حارته، في شارعه، في قريته، أتمنى لو خرج طلبة المدارس وطالباتها يجمعون الأوراق الملقاة في الشوارع. لا أطمع في أن نستطيع أن ننظف كل مدننا وقرانا في يوم واحد، وانما أطمع أن يبدأ جهد مصري في مقاومة هذا العدو الذي يهدد كل واحد منا بالوباء والموت!

فنظافة مصر ليست مهمة المحافظين وحدهم إنما هي مهمة وزير الصحة والحكم المحلي أيضا. لأن استمرار اهمال القمامة معناه أننا ننشىء مصانع تولد الميكروبات في كل شارع وحي وميدان، وسوف يؤدي هذا إلى انتشار الأمراض، وسوف يكلفنا حياة الملايين وألوف الملايين من الجنيهات!

المسألة ليست نظافة شارع بل هي نظافة بلد، و يبدو أن الذين يتقاعسون في النظافة هم الذين يخشون أن تكون حملة النظافة مقصودا بها النظافة من الخارج والداخل، وهذا بالطبع ما سوف تتطور إليه حملة النظافة التي نحاولها اليوم!

إن مصر اليوم في حاجة إلى ملايين من حملة المقشات.



يارب اجعلني أحاسب نفسي!

يارب! إذا أعطيتني النجاح فاعطني معه التواضع. وإذا أعطيتني الفشل فاعطني معه الأمل.

يا رب لا تجعلني سوطا في يد ظالم. اجعلني مرهما في يد جريح أمسح به جروحه، واجعلني منديلا في يد باك أجفف به دموعه. واجعلني شمعة في يد يائس أضيء بها ظلامه.

يارب اجعلني في كل يوم أزيد أصدقائي واحدا، وأقلل خصومي واحدا. اجعلني كبيرا لأسامح، واجعلني صغيرا جدا حتى أعجز عن الانتقام. اعطني القوة لأغفر لكل من أساء إليّ، وجردني من كل قوة إذا شئت أن أرد على الضربة بضربتين، وعلى الطعنة بعشر طعنات.

يارب احمني من غروري طأطيء من رأسي إذا تعاليت على ضعيف حتى أحني رأسي له، ابعد عني المنزلفين والمنافقين والدساسين وكل أهل الظلام، واجعلني أفضل جحيم النقد على جنة الزلفى. وألم كلمة الحق على نشوة الثناء الباطل.

يارب اعطني القناعة فلا آخذ أكثر من حقي.. واجعلني أجد لذة في العطاء، كاللذة التي يجدها البخيل في اكتناز أمواله. اجعل قلبي كبيرا ليتسع لحب كل الناس. واجعل صدري واسعا ليتسع لكل رأي، ولا يضيق بالرأي الآخر.

يا رب لا تجعلني أنسى أن الدنيا لا تدوم لأحد. وأن العز لا يقف أمام باب واحد إلى الأبد! جبابرة الأمس قد يصبحون أقزام اليوم. وأسود اليوم قد يصبحون فئران الغد! السلطان لا يدوم لأحد، فعلى كل من يجلس على عرش شركة أو مصنع أو مؤسسة أن يعلم أنه لو كانت دامت لأحد قبله لما كان هو في الكرسي الذي هو فيه اليوم. وأن هذا الكرسي أشبه بلعبة الصينية في حديقة الملاهي القديمة، كلما دارت بسرعة ألقت بمن يجلس فوقها إلى الأرض! اعمل للناس كأنك ستخرج من منصبك غدا، واعمل للشركة كأنك باق فيها للأبد.

يارب اعطني الصبر حتى لا أغضب على إلحاح مظلوم، فالمظلوم الذي سحقته أحذية الظالمين ليس مطلوبا منه أن يحافظ على قواعد البروتوكول! لا تجعلني أحاسبه على أنه شتمني وهو يوسطني لإنصافه، قبل أن أرفع عنه هذا الظلم القاسي الذي جعله لا يعرف كيف يختار ألفاظه وهو يقول «آه»! لا تجعلني أطلب من الباكي أن يلحن آهاته على موسيقى عبدالوهاب.

يارب اجعلني أحاسب نفسي قبل أن أحاسب الناس.



ماضي الرجل هو عموده الفقري

الرجل العصامي تضعه الدنيا على رأسها. وكثير من الرجال الذين حكموا العالم فاخر الواحد منهم، بأنه ابن حداد أو ابن جزار أو ابن اسكافي، لم يقلل أبدا من مكانتهم أنهم ولدوا في أسر فقيرة بائسة مكافحة. واليوم يشرف أي رجل في العالم أنه بدأ من الصفر في أسرة متواضعة ووصل بكفاحه إلى القمة.

المجد لا يورث، والعظمة لا تنتقل من الأب إلى الابن مع الميراث الشرعي أو مع الأمراض الوراثية.. وكم من علماء رزقوا أبناء جهلاء، وكم من عباقرة خلفوا بعدهم أولادا حمقى وتافهين!

الرجل الوضيع هو الذي يتنكر لأصله، هو الذي يحاول أن يسدل ستارا أسود على نشأته. هو الذي لا يطيق أن يرى وجوه الذين رأوه حافيا في جلبابه الممزق، فهو يريد أن يوهم الناس أنه ولد وهو يرتدي بدلة التشريفة الموشاة بالقصب، والتي يتدلى منها سيف من الذهب، هو الذي إذا تزوج رفض أن يدعو أمه إلى حفلة زواجه حتى لا يرى أصهاره الجدد أمه الفلاحة بملاءتها السوداء، هو الذي يقطع الصلة بكل جيرانه الذين عرفوه في طفولته مشرداً في الحواري والأزقة أمنيته في الحياة أن يشتري حلوى (نبوت الغفير)!

الإنسان الذي نال منصبا أو حظا من الدنيا ثم يتنكر لأمه لابد أن يتنكر لأمته، وهذا الإنسان الذي يشعر بالعار لأنه بدأ فقيرا محتاجا هو إنسان مليء بالعقد، لا يصلح إلا للأعمال الوضيعة التي تليق بهذا التفكير الهابط. ولو كان عنده أدنى شعور بعظمة النفس لعرف أن الفقير الذي وصل إلى القمة أعظم كثيرا من القادر الذي وصل إلى نفس القمة.

الإنسان الذي يهرب من زملاء الحارة، فيتجاهل ابن العجلاتي، لأنه لا يزال يعمل في دكانه، أو ابن النجار لأنه لم يصبح في منصب كبير مثله، أو ابن البقال الذي لم يصبح رئيس مجلس إدارة.. لا يعرف أن هؤلاء هم الأصدقاء الحقيقيون الذين سيقفون معه في أي محنة، ويصمدون بجواره في أي عاصفة، أما أبناء الكبراء والباشوات الذين يتصور أنهم أسرته المالكة الجديدة، فهم أشبه بالهباء، يطير في الهواء فتظنه ارتفع، ثم يهوى ويصل تحت الاقدام، أصدقاء الزفة يبقون ما بقيت الزفة. فاذا توقفت الطبول أسرعوا يبحثون عن زفة جديدة وعريس جديد!

ماضي الرجل هو عموده الفقري، والذي يحاول أن ينزع ماضيه يمشي في الحياة بلا عمود فقري.



لا تيأس من الصدمة الأولى

كان للطلبة في الماضي لجنة تنفيذية تتألف من مندوبين عن المدارس العليا والمدارس الصناعية والمدارس الثانوية، وقامت هذه اللجنة بدور أساسي في ثورة ١٩١٩ وكان سعد زغلول يسمي الطلبة «جنود سعد» وكان فخورا بأعمال البطولة التي أظهروها في الثورة، وعرفت من أعضاء لجنة الطلبة التنفيذية ابراهيم عبدالهادي رئيس اللجنة الذي أصبح رئيسا للوزارة ومحمد صلاح الدين الذي أصبح وزيرا للخارجية والحسيني زعلوك الذي أصبح مديرا للسكة الحديد وعبدالمجيد بدر الذي أصبح وزيرا للشؤون الاجتماعية.. ومحمود سليمان غنام، الذي أصبح وزيرا للتجارة وعددا من الشبان الذين لمعوا وأصبحوا وزراء وتولوا أكبر المناصب في البلاد. ورأس اللجنة حسن ياسين ثم ابراهيم عبدالهادي ثم محمد شعراوي و بعد وفاة سعد زغلول انتخب السعيد حبيب الطالب بكلية الحقوق، وذات يوم أراد الوفد إسقاط عبدالخالق ثروت من رئاسة الوزارة وأن يحل محله رئيس الوفد الجديد مصطفى النحاس، واتصل مكرم عبيد سكرتير الوفد بالسعيد حبيب واتفق معه أن يقوم الطلبة بمظاهرات تسقط الوزارة، وقامت المظاهرات فعلا واسقطت وزارة ثروت وتولى النحاس الحكم.

ومرت الأيام وتقدم ابنه طارق إلى امتحان الجامعة العربية فاذا به من الخمسة الأوائل وفوجىء به يسقط في الامتحان الشفوي، وقيل ان السبب أن والده كان يشتغل بالسياسة من ٥٠ سنة!

ودخل امتحان وزارة الخارجية، وأصبح أيضا من الخمسة الأوائل، ولكن في الامتحان الشفوي أسقطوه أيضا! وفهم أن السر في ذلك أن والده كان زعيم الطلبة منذ ٤٩ سنة!.. وقال الأرشيف السياسي ان والده اعتقل سياسيا سنة ١٩٥٢ ثم اعتقل سياسيا سنة ١٩٥٤ ثم اعتقل سياسيا سنة ١٩٦٧ ونام على الأسفلت... ولا يليق بمقام المناصب الديبلوماسية أن يكون فيها ابن مجرم سياسي! وجن طارق لأنه لا يفهم في السياسة ولم يشتغل طوال عمره بالسياسة.

واسودت الدنيا في وجه طارق..تصور أن كل الأبواب مسدودة في وجهه، ولكنه لم ييأس.. وراح يدق الأبواب بشدة، كل باب يجده أمامه. وجد باب شركة مصر للطيران مفتوحا فدخله، ولم يقنع بعمله، فبدأ يعد برامج للتليفزيون، و يفكر و يبتكر، فادخل برنامج اثنين على الهواء وتألق، وقبل أن يمله الناس أسرع يفكر في برنامج جديد هو «أوتوجراف» ومضى يحاول ويحاول حتى نجح البرنامج واحتل مكانه على الشاشة الصغيرة...

لا تيأس من الصدمة الأولى، لعلها اشارة مرور تحولك إلى طريق آخر! لو أن طارق حبيب نجح في الامتحان الشفوي، لكان الآن سكرتيرا ثالثا مغمورا في سفارة ولم يكن هو النجم اللامع الذي هو الآن!

إنها ليست ضربة حظ.. إنه ضرب متواصل على باب النجاح.



موظف التلفيق

المظلوم الذي يصرخ طالبا العدل ليس مشاغبا، وإنما المشاغب الذي يضع كفه على فم مظلوم ليمنع صرخته، إنما المشاغب هو الذي يلفق التهم لزملائه الأبرياء، إنما المشاغب هو من يختلق الوقائع والأكاذيب ليلوث الأشراف.. إنما المشاغب هو الذي يمطر المسؤولين في عمله رسائل غفلا من الامضاء، وهو الذي يضيع عمل الرؤساء في كل مؤسسة بشكاوى وهمية و بوقائع خيالية!

الذي يدافع عن حقه لا يشاغب وإنما الذي يدافع عن الباطل ويحتضن الأكاذيب هو الذي يعطل العمل و يؤثر على الإنتاج..

أعرف موظفا في مؤسسة كان يرسل تقارير يومية ضد زملائه في الادارة التي يعمل بها و يرسلها بانتظام إلى رئيس مجلس الادارة. ما من موظف في الادارة إلا وهو لص أو مرتش أو حمار أو مزور أو مختلس! وما من موظفة إلا وهي سيئة السلوك ومعطلة للعمل أو بينها و بين رئيس الادارة علاقات غرامية. وعبثا حاول رئيس مجلس الادارة إقناع الموظف بأنه لا يهمه إذا كانت هذه السكرتيرة تحب الوكيل، أو أن هذا الموظف أمضى سهرة حمراء، أو أن هذه الموظفة تعشق جارها، كل هذه مسائل شخصية. ولكن الموظف صاحب غدة الشكاوي التي تفرز باستمرار لم يرتدع ولم يتوقف، ونقله رئيس مجلس الادارة إلى إدارة أخرى وإذا به ينهال على جميع موظفى الادارة الجديدة، بالشكاوي والاتهامات، ونقله إلى إدارة ثالثة فاستمر في اتهاماته الكاذبة و بلاغاته الكيدية. ورأى رئيس مجلس الادارة أن الحل هو أن ينشىء إدارة جديدة مؤلفة من موظف واحد هو صاحب هذه التقارير... وتصور رئيس مجلس الادارة أنه استراح من الموظف المصاب باسهال من الشكاوى وإذا بالموظف ينهال على جميع موظفي الادارات الثلاث باتهامات جديدة! ولم يجد رئيس مجلس الادارة أمامه إلا أن ينقله إلى فرع للشركة في طنطا وتقدم الموظف يشكو ضد رئيس مجلس الادارة بمائة تهمة كل تهمة تكفي لاحالة رئيس مجلس الادارة إلى محكمة الجنايات!.. وكان من الممكن أن يهمل مجلس الادارة كل شكوى بعد أن تبين أن الشكاوى العشر الأولى لا أساس لها من الصحة. ولكنه لم يستطع لأن الموظف أمطر النائب العام والمدعي الاشتراكي ورئيس الوزراء وكل وزير مختص وغير مختص بالشكاوى والاتهامات.

ولا يمكن أن يقال ان هذا الموظف مظلوم، وان ٩٠٠ موظف وعامل في الشركة هم لصوص ومرتشون وقطاع طرق ورؤساء عصابات ومهر بو حشيش و يشتمون الحكومة.. وهو وحده الموظف الشريف الأمين الطاهر والملاك الحارس لأموال الشعب!

مثل هذا الموظف مريض يحتاج إلى علاج في مستشفى لا إلى الجلوس في مكتب!



فتحية أحمد

كثيرون من هذا الجيل لا يعرفون من هى فتحية أحمد!

منذ أكثر من ٥٠ عاماً كانت هي منافسة أم كلثوم على عرش الطرب! كانت الحرب على أشدها بين أم كلثوم ومنيرة المهدية وفتحية أحمد على أيهن أحق بالجلوس فوق العرش. وكان لكل واحدة منهن حزب يتحمس لزعيمته، و يهتف لها في حفلاتها، و يصفر في حفلات خصومها! وانقسم النقاد الفنيون بين المطربات الثلاث.. ثم استطاعت فتحية أحمد أن تجتذب أغلبية النقاد والفنانين بالمآدب الفاخرة التي كانت تقيمها وتقدم فيها طبق الشركسية! وكانت منيرة المهدية تقيم مآدب ضخمة لا تدعو لها إلا الوزراء والكبراء! أما أم كلثوم فإنها كانت لا تقيم مآدب ولا تدعو أحدا لغداء أو عشاء ولهذا كان ترتيبها في ذلك الوقت الثالثة بين المطربات.

وكانت فتحية أحمد يطلق عليها لقب «مطربة القطرين» لأنها كانت المطربة الأولى في مصر وفي سوريا.

ثم اكتسحت أم كلثوم منيرة المهدية سلطانة الطرب، فانسحبت من الميدان مقهورة مستسلمة. ولكن فتحية أحمد بقيت تقاوم، وتتراجع خطوة خطوة، ومثلت في السينما فيلم «حنان»، وفي سنة ١٩٦٠ اعتزلت الغناء وتزوجت عازفا شابا على الكمان.

وعرف الناس في يوم أنها مرضت، وعلمت أم كلثوم أنها في غرفة في الدرجة الثالثة في أحد المستشفيات، فأسرعت بنقلها على حسابها إلى الدرجة الأولى، وكانت تزورها كل يوم إلى أن شفيت. وكان الموسيقار عبدالوهاب يجيء لها بالأدوية من أوربا.

وماتت فتحية في العام الماضي ونشرت الصحف النعي في سطرين، ولولا الناقد القديم محمد علي حماد لما عرف الناس من هى التي ماتت! ونسيتها الاذاعة ونسيها التليفزيون. ومرت ذكراها الأولى فلم نذع لها اسطوانة، ولم يكتب عنها أحد كلمة!

وظهر لها حفيد مطرب اسمه عصام عبدالعزيز غنى في حفلة أقامتها وردة الجزائرية اشترك فيها عدد من المطربين وقال أنيس منصور ان هذا المطرب الشاب كان الحسنة الوحيدة في الحفلة!

ولو كان للاذاعة والتليفزيون ذاكرة لتحدثت عن فتحية أحمد، ولروت قصة كفاحها، ولأسمعت هذا الجيل بعض اسطواناتها!.. ولكن فتحية أحمد لم تستطع كنجمة أن تعيش في وجود أم كلثوم التي كانت شمسا لا تغيب.. فاختفت من سماء الفن، ونسيتها الاذاعة والتليفزيون ونساها الناس ولم يفكر أحد مثلا في أن يجيء بحفيدها في برنامج إذاعي و يقارن بين صوته وصوت جدته، و بين عصر الحفيد وعصر الجدة، و بين أغنيتها المشهورة «يا حلاوة الدنيا يا حلاوة» و«يا ريت زمانك وزماني يسمح و يرجع من تاني».. و بين أغنيات هذه الأيام مثل «السح الدح امبوه.. اعط الواد لابوه!».

الدنيا.. سوف تبتسم غداً

في بعض الأحيان تتوهم أنك وصلت إلى طريق مسدود.. لا تعد أدراجك! دق الباب بيدك.. لعل البواب الذي خلف الباب أصم لا يسمع. دق الباب مرة أخرى! لعل حامل المفتاح ذهب إلى السوق ولم يعد بعد.. دق الباب مرة ثالثة ومرة عاشرة! ثم حاول أن تدفعه برفق، ثم اضرب عليه بشدة. كل باب مغلق لابد أن ينفتح. اصبر ولا تيأس. اعلم أن كل واحد منا قابل مئات الأبواب المغلقة ولم ييأس، ولو كنا يئسنا لظللنا واقفين أمام الأبواب!

عندما تشعر أنك أوشكت على الضياع ابحث عن نفسك! سوف تكتشف أنك موجود. وأنه من المستحيل أن تضيع وفي قلبك إيمان بالله، وفي رأسك عقل يحاول أن يجعل من الفشل نجاحا ومن الهزيمة نصرا..

لا تتهم الدنيا بأنها ظلمتك. أنت تظلم الدنيا بهذا الاتهام.. أنت الذي ظلمت نفسك. فالدنيا ليست محسنا كبيرا يوزع العطايا على البؤساء. إنها آلة ضخمة يجب أن نضع فيها جهدا لتدور تروسها وتعطينا. ومن الممكن أن نعطي في أول الأمر ولا نأخذ.. فيجب أن نكرر العطاء والجهد والعمل حتى تتحرك الدنيا وتمنحنا بعض ما نريد. وهى آلة شحيحة بخيلة، تتحرك في أول الأمر ببطء شديد فتعطي قطرات من الخير، وعندما نستمر في شحنها بعرقنا، تدور بسرعة أكبر وتتحول القطرات إلى سيل من العطاء.

ولا تظن أن أقرب أصدقائك هم الذين يغمدون الخناجر في ظهرك. ربما يكونون أبرياء من اتهامك. ربما تكون أنت الذي أدخلت الخناجر في جسمك بإهمالك أو باستهتارك أو بنفاد صبرك أو بكسلك أو بطيشك ورعونتك أو بتخاذلك وعدم احتمالك! لا تظلم الخنجر، وإنما عليك أن تعرف أولا من الذي أدار ظهرك للخنجر.

لا تتصور وأنت في ربيع حياتك أنك في الخريف. املأ روحك بالأمل. الأمل في الغد يزيل التجاعيد من القلوب، يلهيك من المتاعب والصعوبات والعراقيل. الميل الواحد في نظر اليائس هو ألف ميل، وفي عين المتفائل هو بضعة أمتار! اليائس يقطع نفس المسافة في وقت طويل لأنه ينظر إلى الخلف، والمتفائل يقطع هذه المسافة في وقت قصير لأنه ينظر إلى الغد! فالذين يمشون ورؤوسهم إلى الخلف لا يصلون أبدا!

فاذا كشرت لك الدنيا فلا تكشر لها. جرب أن تبتسم. وسوف تبتسم لك الدنيا!

إذا لم تبتسم الآن فسوف تبتسم لك غدا!



السيجارة تحرق العمر

أعرف فتاة مصرية حاصلة على شهادة جامعية تتمنى أن تتزوج لتدخن سيجارة! ذلك أن أسرتها تمنعها من تدخين السجائر، وتقول لها ان تدخين السجائر هو حق للمرأة المتزوجة فقط!

ومنذ خمسين عاما كان لا يباح للفتاة أن تدخن، وكانوا إذا وصفوا فتاة قالوا انها مؤدبة لا تدخن ولا تشرب القهوة ولا تضع ساقا على ساق! ثم اختفت هذه المحظورات مع الأيام إلا مع بعض أسر تتمسك بالتقاليد كأسرة هذه الفتاة التي أصبح من أمنيتها أن تتزوج لتدخن سيجارة!

و برغم التحذيرات التي تنشرها الجمعيات الطبية في العالم عن خطر التدخين وضرره فإن المرأة لم تتأثر بهذه الدعاية، بل على العكس أصبحت تدخن الآن أكثر مما كانت قبل التحذيرات والإنذارات المتوالية.

فقد نشر مجلس أبحاث التدخين في المملكة المتحدة تقريرا من أيام قال فيه إن الإحصاء أثبت أن ١٢ مليونا وخمسمائة ألف من الرجال في انجلترا كانوا يدخنون في عام ١٩٧٥ أى بنسبة ٦١٫٥٪ من الرجال بينما كان عدد الرجال في بريطانيا الذين يدخنون في عام ١٩٥٥ ـ أي من عشرين سنة ـ ١٣ مليونا و٧٠٠ ألف بنسبة ٧٥٫٢٪ من الرجال! أى ان الرجال تأثروا بالحملة الشعواء على التدخين فنقص عددهم بنسبة كبيرة!

أما المرأة فقد استخفت بالتحذير وتحدت الانذارات التي تذيعها الجمعيات الصحية عن مضار التدخين وأفلام التليفزيون التي تقول ان شرب السيجارة أشبه بشرب كأس من السموم! فقد زاد عدد النساء المدخنات في انجلترا في العشرين سنة الماضية من ٨ ملايين و٤٠٠ ألف امرأة بنسبة ٤١٪ إلى ٩ ملايين و٥٠٠ ألف امرأة بنسبة ٤٣٫٤٪ في المائة! فالمرأة تتوهم أنها تزداد جمالا والسيجارة في فمها، وهي تنفخ دخانها في الهواء، وعدد من الأيدي تحمل الولاعات أو أعواد الثقاب لتشعل لها سيجارتها.

ولقد انتشر في وقت من الأوقات تدخين السيجارة بين بعض السيدات المصريات، وقبل ذلك انتشر تدخين (الشيشة) بين السيدات السوريات واللبنانيات..

ثم انقرضت هذه الموضة لحسن الحظ!

لو أن الجمعيات الطبية نشرت إعلانات عن فوائد السيجارة لقل عدد النساء المدخنات!

و يبدو أن الجمعيات الطبية لا تعرف المرأة.



إعلان الحرب على الكتاب

وزير المالية الذي وضع لائحة الجمارك التي تنفذ اليوم تصور أن الكتاب المصري هو أحد الأسلحة الفتاكة التي تهدد السلام العالمي، ولهذا يجب مقاومته، ويجب وضع العقبات في طريقه.. وهكذا أصبح أسهل لك أن ترسل طرد قنابل إلى خارج الحدود من أن ترسل طرد كتب مصرية إلى الخارج.

إذا أردت أن ترسل طردا فيه كتابان مثلا فعليك اتباع الخطوات التالية:

أولا: اذهب إلى جمرك البريد بالعتبة.

ثانيا: قدم طلب تمغة فئة ١٢٥ مليما لمدير جمرك البريد للموافقة على إرسال الكتب.

ثالثا: اكتب اقرارا جمركيا برسم تمغة فئة ١٢٥ مليما لبيان محتويات الطرد واسم المرسل إليه.

رابعا: ادفع تمغة فئة ١٢٥ مليما تلصق على ظهر الإقرار الجمركي.

خامسا: اكتب اقرارا جمركيا آخر فيه بيان آخر عن محتويات الطرد برسم تمغة ١٢٥ مليما مع بيان ثمن كل كتاب في الطرد.

سادسا: انتقل إلى قسم آخر للكشف على محتويات الطرد ثم اعادة لصقه بالشمع الأحمر.

سابعا: انتقل إلى مبنى آخر به شباك المسجلات الخارجية وقف في طابور طويل.

ثامنا: اعمل كشفا من صورتين بمحتويات الطرد واسم المرسل والمرسل إليه.

تاسعا: اذهب إلى موظف يزن الطرد و يقدر قيمته.

عاشرا: انتقل إلى شباك بيع الطوابع، وقف في طابور آخر طويل لشراء طوابع بالقيمة المطلوبة.

حادى عشر: عليك أن تعود إلى الطابور في شباك المسجلات الخارجية بعد لصق الطوابع على الطرد!

وقبل ذلك عليك أن تصعد على سلم في منتهى القذارة، وممتلىء بالروائح الكريهة، وكأنها غازات خانقة قصد بها المسؤولون في البريد ألا يصل صاحب الكتب إلى أول شباك ألا وهو مغمى عليه، أو هو محمول على نقالة الاسعاف!

و بعد كل هذا نسمع أن الدولة مهتمة بنشر الكتاب المصري في الخارج.

العفو!

مستوى الطلبة

لأ ول مرة يعترف خبراء التعليم في بريطانيا أن مستوى طلبة الثانو ية العامة في البلاد النامية أصبح أعلى من مستوى الطلبة الإنجليز. فقد ظهر من تحليل نتائج الشهادة العامة للتعليم G.C.E في انجلترا أن مستوى التلميذ في دول الكومنولث أصبح أعلى من مستوى التلاميذ في بريطانيا ووجد أن مستوى التلميذ الإنجليزي في الحساب والرياضة أقل من مستوى التلاميذ في البلاد التي كانت في يوم من الأ يام مستعمرات لبريطانيا.

وكانت شهادة الثانو ية العامة (البكالوريا) معترفا بها في جامعات بريطانيا، وكان الطالب المصري الذي يحمل البكالوريا يدخل على الفور أي جامعة في انجلترا بغير امتحان... ثم هوى مستوى التعليم في مصر، وأصبحت جامعات العالم تنظر بحذر إلى الطالب المصري الحاصل على الثانو ية العامة!

وكان الأساتذة الإنجليز يغرقون في الضحك عندما يقول الطالب انه يحفظ الميثاق عن ظهر قلب. وكنا في وقت من الأ وقات نتصور أن حفظ الميثاق هو منتهى العلم حتى ان بعض الوزراء يحرصون على حفظ الميثاق صما خشية أن يمتحنهم فيه رئيس الجمهورية!

والمدرسة المصرية أصيبت بنكسة عندما زاد عدد التلاميذ في كل فصل وأصبح المدرس عاجزا عن إدارة الفصل، وانقطعت الصلة بين المدرس والتلميذ. وفقدت المدرسة أثرها التربوي باختفاء فناء المدرسة وفرقة الكشافة وجمعيات التمثيل والتصوير والأدب العربي والخطابة والموسيقى وغيرها من الجمعيات التي كانت تشبع هواية التلميذ وتنمي شخصيته، واختفت مباريات الكرة في درع المدارس الابتدائية التي كانت تثير اهتمام التلاميذ كما تثيرهم مباريات الأهلي والزمالك، واختفت أغلب الحفلات التي كانت تجمع بين خريجي كل مدرسة وتلاميذها الحاليين، واستحال على المدرس أن يعرف أسماء تلاميذه بعد أن كان كل مدرس يعرف تلاميذه معرفة شخصية و يتتبع خطواتهم إلى أن يتخرجوا في الجامعات.

وكم من مدرس في الابتدائي والثانوي كان هو القوة التي دفعت تلميذه ليصبح زعيما أو رئيس وزارة أو أكبر مهندس في البلاد. كثير من مدارسنا ألغت الحوش و بنت فيه فصولا، ولهذا يجب أن تتجه المدارس الجديدة من الريف إلى الأ رض غير الزراعية لتعود للمدرسة المصرية ملاعب التنس فيها وملعب كرة القدم، ويجب أن تعود أيضا إلى تشجيع الرحلات. وإلى أن تجعل المدرسين يفتحون بيوتهم للتلاميذ لا للدروس الخصوصية فقط، بل لكي يشعر كل تلميذ أن علاقته بالمدرس هي علاقة صداقة وحب، فان كثيرين منا كانوا وهم تلاميذ يعتبرون المدرس الصديق الذي يلجأون إليه في المحن و يستشيرونه في المشكلات و يعتمدون عليه في الأ زمات.

التلميذ المصري أذكى كثيرا من التلميذ في بريطانيا.. ولا ينقصه إلا روح المدرسة الحديثة وجو المدرسة الحديثة... ودخول الديمقراطية الحقيقية. والديمقراطية ليست الفوضى ولا هي التطاول على المدرسين ولا هي مدرسة المشاغبين!



فلنتعلم كيف نعامل السياح

هل تكون قلة أدب منا إذا طلبنا من المشرفين على السياحة في بلادنا أن يوفدوا بعثة إلى المغرب وتونس لنعرف منهما كيف نعامل السياح؟ وما هو السبب في أن كثيرا من السياح الذين كانوا اعتادوا على تمضية الصيف في مصر أصبحوا يفضلون السفر إلى تونس والمغرب؟

إننا مازلنا حتى الآن لم نتعلم كيف نعامل السياح؟ لا نعرف أن في استطاعتنا أن نجعل دخل السياحة في بلادنا أشبه بدخل آبار البترول!

وأول ما يجب أن نعمله أن نتعلم كيف نبتسم. أي ضابط لا يعرف كيف يبتسم لا مكان له في المطارات والموانيء. أي موظف عبوس يجب ألاّ نسمح له بأن يخرج من الأرشيف في مصلحة الجمارك. لا أتصور أنها مهمة شاقة أن نقول للزائر «أهلا» أن نعامله كضيف لا كمجرم متسلل يحمل قنبلة! تطبيق الذوق والأدب يدخل إلى مصر من العملة الصعبة أضعاف ما يدخل لو طبقنا لائحة الجمارك! أذكر أن الدكتور عبدالجليل العمري نائب رئيس الوزراء ووزير المالية السابق قال لي لو أن الجمارك تركت السياح يدخلون بكل ما يحملون من بضائع لما خسرت الدولة ما تخسره من بهدلة السياح وتفتيشهم وقلب حقائبهم وإساءة معاملتهم. ومن الغريب أنك تجد أغلبية الموظفين الذين يستقبلون السياح غاية في الظرف والأدب والسماحة، ولكن يكفي أن يكون بينهم موظف واحد عصبي المزاج أو «كشر» أو متعال أو ثقيل الدم أو سيء المعاملة لكي يفسد الصورة كلها، تماما كما تلقى ذبابة في كوب من اللبن الحليب!

ثم إنه يجب أن نضاعف العقاب على النصابين الذين ينصبون على السياح العرب، و يسرقون أموالهم، ويحتالون عليهم، و يقدمون لهم أقذر نساء المدينة على أنهم زوجات المديرين ووكلاء الوزارات، هذه العصابات تلوث سمعة مصر كلها.

وتحولنا في نظر الضحايا إلى شعب من النصابين والمحتالين. وفي الأندية وفي النوادي الليلية نجد أشكالا وألوانا من السماسرة الذين يخدعون السياح و ينهبون أموالهم. ونحن نسمع من وقت لآخر أنباء عن مطاردة الشرطة لهم، ولكن لا نسمع عن العقوبات الرادعة التي أنزلت بهم.

إن عملية نصب واحدة ينتشر خبرها في كل البلاد العربية، تجعل كل تاجر مصري بريء يبدو نصابا في أعين الضحايا وأصدقائهم ومواطنيهم.. فالجريمة التي ترتكب ليست ضد سائح واحد، إنما هي جريمة ضد مصر كلها وضد الاقتصاد القومي...

الدنيا لا تبتسم للعابسين!



أنا أعرف أكبر طبيب في العالم

دخلت الفتاة خريجة الجامعة إلى مكتبي وانفجرت في البكاء، إنها تحب شابا ويحبها، واتفقا على الزواج، ولكن أكبر طبيب للقلب في مصر قال لها إنها ستموت إذا تزوجت. وان قلبها الضعيف لا يمكن أن يتحمل الزواج أكثر من شهر واحد! وهى حائرة ماذا تفعل؟ هل تفسخ خطبتها وتبتعد عن الرجل الذي أحبها وتحبه؟ هل تفاتحه بقرار الطبيب أم تختفي من حياته فجأة؟

قلت لها إن من رأيي أن تتزوج هذا الشاب. وخير لها أن تعيش سعيدة مع الزوج الذي تحبه شهرا واحدا وتموت، من أن تعيش تعيسة وحيدة مائة سنة! ساعة من الهناء تساوي العمر كله! ومن يعلم.. فقد تكذب نبوءة الطبيب!

قالت: إنه أكبر طبيب قلب في مصر!

قلت: وأنا أعرف طبيبا أكبر منه!

قالت: من هو؟

قلت: الله!

ومضت عشرون سنة على هذا اللقاء، والتقيت بها في هذا الأسبوع وكانت جميلة كما هى، وكانت معها فتاة في الثامنة عشرة من عمرها! وقدمتها لي قائلة: هذه ابنتي! نبوءة أكبر طبيب في مصر لم تصدق، ونبوءة طبيبك صدقت!

لم تمت المرأة، عرضت نفسها على أطباء عالميين فأكدوا أنها ستموت لو تزوجت. بعضهم قال إنها ستموت بعد شهر والمتفائلون منهم قالوا إنها ستموت بعد شهرين! واعتمدت الفتاة على الله وتزوجت بمن تحب، ورزقت ابنتين جميلتين!

لا يمكن اتهام الأطباء بالجهل.. كانوا بلا شك علماء صادقين.. ولكن الهناء في الحب يشفي الإنسان من أمراض قاتلة، الروح المعنوية المرتفعة تستطيع في بعض الأحيان أن تفعل في جسم الإنسان أكثر مما يفعله الترياق! كم قال أطباء كبار عالميون لبعض الناس انهم سيعيشون عشرين سنة أخرى في أتم صحة، وإذا بهم يموتون بعد عشر دقائق! كم تنبأ أطباء بنهاية قريبة لمرضى، فعاشوا بعد النهاية بعشر سنوات أو عشرين سنة!

الهناء يطيل العمر والشقاء يقصف العمر! الأمل يجدد خلايا القلب واليأس يحرق هذه الخلايا و يقضي عليها. الكلمة الحلوة لمريض قد تكون بلسم الشفاء، وقد تكون مرهما على جرح. والكلمة السيئة قد تكون أشد مفعولا من السم الزعاف!

أنا لست طبيبا، ولا أفهم في الطب... وإنما أنا أعرف أكبر طبيب في الدنيا!

كان زمان

كما لا يمكن إعادة الشباب فلا يمكن إعادة الماضي، والذين يجلسون اليوم و يتحدثون عن الأسعار زمان و يتمنون الأيام التي كانت تباع فيها العشر بيضات بقرش صاغ يتحدثون عن عالم خيالي لن يتكرر أبدا!

كان هذا العالم في الثلاثينات، أي منذ ٤٧ عاما، وكان الجزجحي يذهب إلى مكاتب شركة مصر للتأمين بشارع قصر النيل، و يعرض على الموظف تفصيل زوج الحذاء بخمسة وعشرين قرشا بما في ذلك ثمن الجلد طبعا! وكان الموظف يسأل الجزجحي إذا كان المبلغ يدفع فورا أم يكون بالتقسيط!

وفي تلك الأيام ذهب أحد أصدقائي إلى محل روبرت هيوز أغلى بائع أحذية في شارع قصر النيل واشترى زوج حذاء ساكسون بجنيه واحد!

ورآه أحد كبار رجال الأسرة ووجده يحمل الحذاء الساكسون، فسأله عن ثمنه فأجاب صديقي بأنه اشتراه بجنيه.. ففتح كبير الأسرة فمه في ذهول وقال له: هل يوجد عاقل في الدنيا يشتري حذاء بجنيه؟ إن الوزراء يشترون زوج الحذاء بخمسة وثلاثين قرشا! لابد من الحجر عليك في المجلس الحسبي!

ودافع صاحبي عن تصرفه السفيه بأن هذا الحذاء يعيش عدة سنوات ولا يحتاج إلى نعل ولا نصف نعل.

وكانت البدلة الجاهزة تباع في محلات روبرت هيوز هذا بمائة وخمسة قروش.

وفي تلك الأيام كان مرتب خريجي الجامعة ستة جنيهات في الشهر، وكانت تذكرة الترام بستة مليمات وتذكرة الأوتوبيس بخمسة مليمات والجريدة بخمسة مليمات، ورطل اللحم بثلاثة قروش، وزوج الحمام بقرشين، وكنت تدفع لبائع السميط خمسة مليمات فيعطيك سميطة وبيضة وقطعة جبن وزيتونة وقليلا من الملح والدقة! وكانت أجرة الشقة من أربع غرف بمائة وثمانين قرشا، وكان في الجنية المصري خمسة دولارات، وكنت تعطي الجنيه المصري للبنك فيعطيك جنيها استرلينيا وقرش صاغ ونصف!

وفي تلك الأيام أصدرت الحكومة قرارا بتأليف لجنة لمقاومة الغلاء.

الناس هم أحلى شيء في الحياة

غابت الزوجة المصرية الشابة عن مصر عدة سنوات، أمضتها في أوربا حيث يعمل زوجها، ثم عادت إلى مصر وقالت إنها لا تريد العودة إلى أوربا!

حياتها في أوربا كلها رفاهية ورخاء. الفراخ موجـــودة بسهولة.. أحـــدث الملابس وآخر الأزياء. المواصلات سهلة. التليفونات تدق. المصاعد لا تتعطل. كل شيء نظيف «زي الفل»!

ولكنها تذوب شوقا إلى برامج التليفزيون التي لا تجيء في موعدها. إلى جملة نأسف لانقطاع الإرسال! إلى التليفونات عديمة الحرارة. إلى الخطابات التي تتأخر. إلى التاكسيات التي لا تقف.. إلى أكوام الزبالة في الشوارع، كل هذا يهون بجانب الوحدة التي يشعر بها المصري وهو في أوربا. إذا غاب لا يسأل عنه أحد. إذا مرض لم يجيء أحد لزيارته. إذا بكى لا يتقدم أحد لمسح دموعه. إذا وقع على الأرض لا يمد أحد يده يرفعه. الإنسان ضائع وحيد ليس له أصدقاء. فقد رابطة الأسرة. حرم من حلاوة الاخوان.. كل فرد مهتم بنفسه.

وقالت لي السيدة المصرية إنها تشعر في أوربا بتعاسة غريبة.. هذه الوحدة القاتلة تجعلها «تطق».

هذه البرودة في العواطف تشعرها بقشعريرة غريبة، وحشها التراب مع العواطف الإنسانية. وحشتها أكوام الزبالة مع المحبة. وحشها الطابور الطويل أمام الجمعيات الاستهلاكية مع هذه الحرارة التي ترى في عيون الناس. إنها تحب صراحتهم حتى وأعصابهم تفلت. تحبهم وهم يسخطون و يصبرون، وهم يضحكون و يتألمون، تحبهم وهم يشتمون ويحمرون خجلا! إنها افتقدت الجو المصري والروح المصرية والنكتة المصرية والابتسامة الحلوة فوق شفاه مليئة بالمرارة لم يعوضها عن هذا حياتها الفخمة في مصايف أوربا ومشاتيها وعواصمها وريفها الرائع الجميل النظيف..

والإنسان الأوربي والأمريكي يشعر هو الآخر بالوحدة، إنه لا يرى الناس ولا يتحدث إليهم. يمضي أياما مع شاشة التليفزيون لا يتكلم مع أحد، هذه الوحدة أصابت الناس هناك بكآبة. واشتد الإقبال على الأطباء النفسيين. كل واحد منهم يدفع ١٠٠ دولار لطبيب ليحدثه لمدة ساعة! واخترعت أمريكا ألعابا جديدة يلاعب بها الوحيد نفسه، فيلعب وحده التنس، و يلعب الكرة، فهو يمسك في يده جهازا يوصله بالتليفزيون، فيرى على الشاشة ملعبا، ويحرك مسمارا وكأنه يحرك كرة، و يصد الكرة لاعبون وهميون، فيحاور هو بالكرة حتى يدخلها الهدف! وهناك لعبة شطرنج على نفس المنوال!

ومن يدري، فقد يخترعون آلة بشكل زوجة توصلها إلى التليفزيون فترى زوجة تحقق معك وتسألك أين كنت ولماذا تأخرت، وتلوي بوزها.. فلا يشعر العازب الوحيد بأي ملل ولا يشعر بعذاب الحرمان من الزواج!

لا يزال الناس هم أحلى شيء في الحياة!

أصدقاء الكرسي

بعض الناس يجلس فوق الكرسي فيصبح عملاقا، و يتركه الكرسي فيصبح قزما، و بعض الناس تطول قامته عندما يقف فوق كتفي مسؤول، و يتضاءل و يقصر عندما يقف على قدميه، و بعض الناس يصبح جبارا وهوفي حجر وزير، فاذا سقط الوزير أصبح الجبار في حجم برغوث!

أحجام بعض الناس تتغير بتغير الظروف والأحوال. كم من رجل جعلته السلطة يبدو كالأسد الغضنفر، وعندما زالت عنه السلطة خلع ثوبه التنكري فاذا هوفأر صغير!

و يقولون انك تستطيع أن تعرف الرجل على حقيقته وهو مخمور أو هو يلعب القمار، ولكني أظن أنك تعرف الرجل أكثر مما تعرفه عندما يفقد السلطان والصولجان!

أعرف رجلا كان يتولى منصبا كبيرا في الدولة، وكأن تليفونه لا يكف عن الرنين بالليل والنهار.. وكان من المستحيل أن تجلس معه خمس دقائق في بيته تتحدث معه على انفراد، لكثرة الذين يجيئون و يذهبون، والذين ينافقون ويمدحون، والذين يستفسرون عن الصحة ويحيون!

ثم خرج صاحبي من الحكم وفي اليوم الثاني دق جرس التليفون ثلاث مرات! وفي اليوم الثالث دق مرتين.. وفي اليوم الرابع دق مرة واحدة وكانت النمرة غلطا!

ثم مرض صاحبي ولم يزره أحد من زملائه، ولم يستفسر عنه أحد من مرءوسيه السابقين الذين كانوا يذهبون إلى بيته في شبه مظاهرة إذا أشيع أنه مرض بالأنفلونزا!

وأنا لا ألوم الناس، وإنما ألوم صاحبي. فهو لم يعرف أن فريقا من الناس يخلص للكرسي لا للجالس عليه. وهو يتعبد للوظيفة لا لشاغلها، وهولا يشعر أنه يداهن و ينافق بل إن المسؤول عن ذلك هو قلبه. وهو قلب «ميري» لا يخفق إلا لمن في الحكم، فاذا خرج إلى المعاش أنكره ونسيه، و بدأ يخفق بعنف من أجل الاله الميري الجديد!

هذا النوع من الناس، يجوز أن نحسبهم في زمرة الأصدقاء، إنهم معارف المنصب وإخوان السلطة وعبيد السلطان، هم أصفار على يسار الحكام لا يزيدون من قدرهم، ولا يضاعفون من قيمتهم، بل هم أشبه (بالدواسة) التي توضع أمام الغرف ليدوس عليها الداخلون بأقدامهم و يعفرون أحذيتهم من التراب!

إنسان واحد يقف بجانبك أثناء الاعصار خير من ألف يمشون خلفك في موكب!

العمل عبادة

قال لي طالب بكلية التجارة بجامعة القاهرة إنه ذهب إلى السعودية في اجازة الصيف، وحصل على عمل يدر عليه دخلا كبيرا. لقد رأى العامل في السعودية يكسب في يوم، ما يكسبه خريج التجارة في شهر.. رأى عامل البناء والسباك والسمكري والكهربائي يرفلون في النعيم. كل واحد منهم يتقاضى في اليوم الواحد ١٥٠ ريالا أي ما يوازي ثلاثين جنيها في اليوم، وهو مرتب موظف في الدرجة السادسة في شهر كامل.. رأى السمكرى يتقاضى في شهر واحد ٩٠٠ جنيه أي مرتب ممدوح سالم رئيس وزراء مصر ووزير الداخلية في ثلاثة شهور. رأى العمال هناك يركبون السيارات الأنيقة، ورأى وكلاء الوزارات في مصر يتشعبطون في الأتوبيس..

وهو حائر هل يضحي بالبكالوريوس، ويمكث باقي السنوات في السعودية يعمل ويكسب ويقتصد ويسكن ويتزوج ويرزق أولادا.. أم يضحي بدخله الكبير، ويعود إلى السنة الثانية بكلية التجارة ويستأنف الدراسة ويحصل على البكالوريوس، ويؤدي الخدمة العامة ويتشعلق في الأتوبيس.. ويستمتع بحلاوة الانتظار الطويل!!

وأنا لا أنصح أي شاب أن يضحي بالدرجة الجامعية في مقابل أي مبلغ من المال، مادام قد وصل إلى منتصف الطريق، وأعتقد أنه من الممكن أن يحتفظ بعمله ويدرس في أوقات فراغه، ويعود في الاجازة كل عام إلى القاهرة ويؤدي الامتحان. ومن الممكن كذلك أن يلتحق بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة إلى جانب عمله اليومي. وأعتقد أن المسؤولين عن الجامعة هناك سوف يسعدهم أن يمدوا أيديهم إلى طالب مجتهد يريد أن يتم دراسته الجامعية.

أغلب طلبة الجامعات في العالم يدرسون ويعملون في وقت واحد، طالب الجامعة هناك لا يخجل من القيام بأصغر الأعمال، كان من بين زملائي في الجامعة في أمريكا صبي البقال وصبي المكوجي وعامل في محطة بنزين وجرسون في مطعم وسائس في جراج. وكان الواحد منهم يفخر بين زملائه بعمله وكأنه يتحدث عن القصر الذي يملكه أو ملكة الجمال التي يحبها!

العمل عبادة... ولا فرق بين أن تصلي في زاوية صغيرة أو في أكبر مسجد في المدينة!

تأميم الصحافة

فتح باب مكتبي، ودخل الرسام العالمي «كيراز» !لم يتغير عن آخر مرة رأيته فيها منذ ٣٢ سنة! كان رساما كاريكاتوريا شابا. مجلات وصحف القاهرة تضيق بطموحه. رخا وصاروخان يحتلان الصفحات الأولى. ثم يتضاءل أمام العمالقة. هاجرإلى باريس. كافح وناضل وعرق حتى أصبح أكبر رسام كاريكاتير في باريس يرسم في مجلة «جور دي فرانس» و يرسم صورة كاريكاتور مرة كل شهر في مجلة «بلاي بول» الأمريكية. وواحدة من أوسع المجلات في العالم!

لم ينس مصر التي أمضى فيها شبابه. عاد ليرى أمه المقيمة في مصر الجديدة، وليعانق أصدقاء الصبا. سألته كيف احتفظ بشبابه. قال إنه يعمل كل يوم بعد الساعة الثامنة صباحا إلى الساعة الخامسة بعد الظهر إلى ما بعد منتصف الليل يضحك أكثر مما يبكي، يحلم بالمستقبل أكثر مما يحزن على الماضي، يحب الناس ولا يحقد على أحد، ولا يحسد زميلا، ولا يحاسب الأصدقاء على أخطائهم!

قال لي إن صاحب مجلة «جور دي فرانس» التي تنشر صور الموضة وصور المجتمع هو المليونير الفرنسي داسو صاحب مصانع طائرات الميراج. وهو يمضي في الصحافة أكثر من الوقت الذي يمضيه في المصانع التي تدرعليه ملايين الفرنكات كل يوم. وإنه يصر على أن يطلع على كل صورة و يقرأ كل مقال قبل أن تصدر المجلة الأسبوعية.

ولاحظت أن هواية أصحاب الملايين أن يملكوا الجرائد! أذكر أن الاقتصادي محمد فرغلي كان مليونيرا وعرض عليّ في عام ١٩٤٢ أن يساهم معي بعشرة آلاف جنيه في مقابل أن يملك نصف جريدة أصدرها. واعتذرت يومها عن عدم قبول هذا العرض وعجبت لأن هذا المليونير يغامر بمثل هذا المبلغ الضخم من أجل جريدة لن تكسب سوى بضعة جنيهات. ثم اكتشفت أنه كان أبعد مني نظرا، فقد كان هذا المبلغ إذا دفعه في نصف رأس مال أخبار اليوم فسوف يصبح ثلاثة ملايين جنيه في سنة ١٩٦٠ أي بعد أقل من عشرين عاما! وأذكر أن المليونير أحمد عبود عرض عليّ نفس هذه الشركة ولكن بأن يدفع مائة ألف جنيه ورفضت الفكرة حرصا على أمواله! وكانت أمنية عبود أن يصبح صاحب جريدة وفي سنة ١٩٢٥ عرض عليّ جبرائيل تقلا صاحب الأهرام شراء جريدة الأهرام. وطلب تقلا باشا ثلاثين ألف جنيه، واستكثر عبود المبلغ، وأنشأ هو جريدة يومية اسمها «الكشاف» وأنفق عليها مائة ألف جنيه وأفلست. ولم ييأس عبود وفي سنة ١٩٤٥ عرض أن يشتري جريدة الأهرام بمليون جنيه ورفض بشارة تقلا صاحب الأهرام الجديد.

ولم يكن بشارة تقلا يتوقع أن يحدث للصحافة ما حدث، فقد استولت الحكومة على جريدة الأهرام ومطابعها ومؤسساتها وعماراتها في سنة ١٩٦٠ عند تأميم الصحافة.

ولم تدفع لبشارة تقلا حتى الآن مليما واحدا.

في طريقي إلى مكتبي

أمر في طريقي إلى مكتبي صباح كل يوم بعدة شوارع. واعتدت أن أتطلع إلى واجهات المحلات الصغيرة في طريقي. وعندما أراها مفتوحة الأبواب أشعر كأنها مفتوحة الذراعين ترحب بي! وأتطلع إلى لافتات المحلات لأعرف أسماء أصحابها. ومع الزمن نشأت في نفسي صداقة من طرف واحد مع هؤلاء التجار الصغار الذين لا أعرفهم!

ويحدث أن أمر على واحد من هذه الدكاكين الصغيرة فأجده مغلق الأبواب، فأشعر بقلق على صاحبه. لماذا تأخر في فتح دكانه؟ هل هو مريض؟ هل اغتنى ولم يعد يشعر بضرورة أن يفتح أبوابه مبكرا؟ هل هو ضحية أزمة المواصلات فيجد نفسه كل صباح محبوسا في شارع أو مزنوقا في ميدان؟!

وتمضي أيام وأبواب الدكان لا تزال مغلقة فأحس بهلع، هل مات التاجر؟ هل أفلس؟ مع الزمن أصبح كل واحد من هؤلاء التجار الصغار صديقي، كأنه يصحبني كل يوم في رحلتي إلى مكتبي، كأن كل واحد منهم خرزة زرقاء أتفاءل بها! ويحضر لي أحيانا أن أوقف سيارتي، وأذهب أسأل جيرانه عن التاجر المختفي، ثم أشعر بالخجل، وأخشى أن يتصور الناس أنني أتطفل وأدس أنفي في شؤون غيري، وأستمر في طريقي، و يتكرر قلقي ولهفتي على رجل لا أعرفه ولم أره طول حياتي!

و يبدو أن من الممكن أن نحب أشخاصا لم نرهم! ولم نتحدث إليهم. وتنشأ بيننا و بينهم روابط سخرية. أشبه بالصداقة أو بالقرابة!

وفي بعض الأحيان نعشق جمادا! كم منا أحب مقعدا معينا في بيته لا يستريح إلا فيه. يفضله على الأرائك والمقاعد الوثيرة. كأن بينهما (ونس)، كأن مقعد الكرسي يعانقه و يضمه إلى صدره! والبعض منا يمكن أن يحب شارعا أو حارة أو زقاقا.. وأنا أعرف شاعرا مصريا أحب ذات يوم شجرة في حديقة الحرية بجوار كوبري قصر النيل أمام المعرض، وكان يذهب كل يوم إلى هذه الشجرة و يغازلها و يداعبها ونظم فيها أشعار حب وعشق رائع! وكان يغار على حبيبته الشجرة من الغرباء الذين يجلسون تحتها أو يستظلون بظلها أو يقتربون منها كأنها امرأة حسناء!

القلوب لا منطق لها ولا قواعد. بعضها لا يدق لملك و يدق لصعلوك، بعضها لا يفتح أبوابه لملكة جمال و يفتح أبوابه لشجرة!

وللناس فيما يعشقون مذاهب.



عبدالوهاب يعشق سعد زغلول

قال لي الموسيقار محمد عبدالوهاب إنه كان مفتونا بسعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ . وكان إذا سمع عن اجتماع سيخطب فيه تسلق شجرة ليسمعه ، أو زحف بين الجماهير ليلقي عليه نظرة . وكان يخرج دائما من كل خطاب وقد حفظ عن ظهر قلب مقطعا من الخطاب ، ويجلس يردده لنفسه وكأنه أغنية يغنيها!

وفي إحدى حفلات الممثل عبدالرحمن رشدي التقى بمكرم عبيد . وكان عبدالرحمن رشدي أول محام في مصر اشتغل ممثلا ، وألف فرقة ، وجمع أبطال التمثيل في مصر ، وكان عبدالوهاب يغني بين الفصول .

وأبدى مكرم عبيد إعجابه بصوت المطرب الصغير وسأله ماذا يتمنى في الحياة! وقال عبدالوهاب انه يتمنى أن يجلس مع سعد زغلول ، فدعا عبدالوهاب إلى عوامة سينوت حنا الراسية على النيل ، واقترب من سعد زغلول وغنى له أغنية تحية له في هذه المناسبة ، وهش سعد في وجهه وبش وابتسم ولم يقل له شيئا . واستمر عبدالوهاب مسحورا بقائد الثورة ، ومضت السنوات ، وصحبه أمير الشعراء أحمد شوقي إلى مسجد وصيف لزيارة سعد زغلول ، واستبقاهما سعد على الغداء ، ودهش عبدالوهاب أن سعد زغلول لا يأكل خبزا ، وإنما يأكل جوزا ولوزا وعين جمل! وتصور عبدالوهاب أن الزعيم رجل خرافي لا يأكل الخبز كما يأكل البشر ، وأنه لا يشرب الماء وإنما يشرب ماء الورد! وطلب سعد من عبدالوهاب أن يغني ، وتبرع مصطفى النحاس ومكرم عبيد وأحمد شوقي أمير الشعراء بترديد الأغنية ، وقاموا بدور «السنيدة» !

و بعد أن خرج عبدالوهاب من عند سعد بقي عبدالوهاب متوهما أن زعيم الأمة لا يأكل كما تأكل الأمة ولا يشرب كما تشرب الأمة ، ولا يرتدي الملابس كما ترتديها الأمة . أحس أنه أطول من كل الناس . وأنه أضخم منهم جميعا . ولا يعرف عبدالوهاب ما الذي حدث له في هذا اللقاء . هل ان حبه للرجل هو الذي ضاعف حجمه ؟ أم هل هو تضاءل أمام معبوده فكبر سعد في خياله وقصرت قامة عبدالوهاب! هل حبنا لإنسان يجعلنا نراه أكبر كثيرا مما هو . كل كلمة يقولها حكمة! كل رأي يبديه فلسفة . كل فكرة يرددها عبقرية . هل هناك رجال عظام فيهم قوى سحرية مغناطيسية تعطل مقاييس المبهورين بهم ، فتزيدهم طولا وعرضا . الذين كانوا يسمعون أم كلثوم وهي تغني على المسرح يرونها طويلة جدا ، بينما هي في الواقع امرأة قصيرة . ولكن صوتها الملائكي كان يطيل قامتها ، ويجعلها تبدو ملكة فوق المسرح .. فنحن لا نرى بعيوننا فقط ، أحيانا نرى بآذاننا وأحيانا نرى بأنوفنا عندما نشم رائحة وردة جميلة فنراها أحلى كثيرا مما هي . وأحيانا نرى بقلوبنا .. وقلب العاشق هو أحسن خبير يصنع الجمال في العالم .

درب زوجتك أن تكون أرملة

ذات يوم كتبت أطلب من كل زوج أن يدرب زوجته كيف تكون أرملة!

وثارت الزوجات والأزواج معا، وقالوا جميعا (فال الله ولا فالك)!

ولكن الغريب أن الزوج المصري هو الوحيد بين الأزواج المتمدينين في العالم الذي لا يعد شريكة حياته لتواجه الحياة بعد أن يختفي منها!

كم من أرامل وقعن ضحية محتالين ونصابين وقطاع طرق، لأن الواحدة منهن وجدت نفسها بعد وفاة زوجها تائهة ضائعة حائرة لا تعرف كيف تستأنف السير وحدها. أزواج كثيرون في بلادنا يرفضون أن يتحدثوا عن الموت أو يستعدوا له، وأنا اعترف أنه موضوع كريه، ولكن الرجل العاقل هو الذي يجب أن يواجه الموت بجانب زوجته، بدلا من أن يتركها تواجهه وحدها!

أعرف أرامل بطلات. الواحدة منهن مات زوجها وتركها تجهل كل شؤون الحياة. لم تخرج في يوم من الأيام وحدها. لم تعرف باب وزارة. لم تعرف عنوان مصلحة الضرائب أو المجلس الحسبي. لم تعرف أي شيء من شؤون الحياة. وحملت الواحدة منهن المسؤولية الكبيرة على كتفيها الضعيفتين، ومشت وحدها بين أمطار الحياة وزوابعها وعواصفها وأعاصيرها، إلى أن استطاعت انقاذ ثروة زوجها وتربية أولادها، ومضاعفة ما تركه أبوهم.

وأعرف أزواجا يرفضون أن يخبروا شريكة حياتهم عن دخائلهم فهي لا تعرف ما يملك زوجها. لا تعرف ديونه. لا تعرف من الذي تعتمد عليه. من هو المحامي الذي تلجأ إليه؟ من هو القريب الذي تعتمد على مشورته؟ من هو الصديق الذي يمكن أن يقف بجوارها في أي محنة قادمة؟ ثروات كثيرة فقدت، وأولاد كثيرون تشردوا في الشوارع، وبيوت خربت، وزوجة ضاعت لأن الزوج لم يشأ أن يدل زوجته على الطريق، إذا هي مشت في الطريق وحدها!

إن من رأى كثيرين من الخبراء أن تدريب الزوجة على أن تكون أرملة وهو على قيد الحياة لا يقل أهمية عن التأمين على الحياة. فليحاول كل زوج أن يترك زوجته تتصرف وحدها لمدة أسبوع. دعها هي التي تتولى مسؤوليات البيت كلها التي تتولاها أنت. ربما تخطىء مرة ومرتين. ولكنها بعد تكرار التجربة سوف تصبح صالحة لتحمل مسؤولياتها في غيابك.. لن تتوه بعدك. لن تتعرض للمحتالين والنصابين وقطاع الطريق..

تدريب الزوجة على التصرف بعد حياة زوجها لا يقصر عمره، وإنما يطيل هذا العمر، فهو ينتزع منه كثيرا من الهموم والقلق عما سيحدث لزوجته بعده.. لا تتشاءم من هذه التجربة! بل تفاءل بها! تفاءل أنك ستعيش مع زوجتك حتى لو كانت وحدها!



لا تركب وحدك

شكا لي أن قامته لا تطول. وأن حجمه لا يكبر. وأن المساحة الصغيرة التي يحتلها في الكرة الأرضية لا تزيد. وهو يعمل و يكافح. و يسهر و يتعب. و يشترك في المعارك و يساهم في النضال. كأن مطرقة هائلة تهوي على رأسه وتضغط طوله. أو كأن حزاما من الحديد يلتف حول جسمه فيحدد حجمه. أو كأن السلاسل والأغلال تقيده فلا ينتشر كما يبغي ولا يشتهر كما يريد..

قلت عيبك انك تريد أن تكبر وحدك! لا تطيق أن ينجح سواك. هذه الغيرة السوداء تحرق قلبك فتجعله عاجزا عن صعود الجبل!

صعود الجبل يحتاج إلى قلب نظيف قوي، لم نرهقه بالحقد، ولم نضعفه بالغيرة، ولم نحرقه بالكراهية. أنت تريد أن ترتفع إلى القمة وحدك. نحن في طريقنا إلى المجد نحتاج دائما إلى ونيس! أصدقاء يمشون معنا في غابة النجاح نستند إليهم إذا تعبنا، ونأنس بهم إذا شعرنا بوحشة الطريق، ونطمئن إلى أنهم بجانبنا ونحن نسمع عواء الذئاب وصراخ الضباع وفحيح الثعابين!

الذين يصرون على أن يمشوا وحدهم لا يصلون أبدا. يتوهون في الطريق. يضلون الهدف. تأكلهم الوحوش. أو تبتلعهم الجحور، أو تصرعهم الأعاصير!

الذين تأكلهم الغيرة السوداء من زملائهم في العمل «يطقون» عادة. شيء في داخلهم ينفجر. فهم يحبسون في داخلهم بخارا أسود ينطلق فيهم و يدمرهم و يقضي عليهم.

وهناك فرق كبير بين المنافسة الشريفة والغيرة. فمن حقك أن تنافس زميلك في سباق العدو، وأن تحاول أن تصل قبله، ولكن عندما تلقي أمامه أسلاكا شائكة فانك تخرج من اللعبة. وكثيرون تصوروا أنهم قادرون أن يضربوا منافسيهم في ظهورهم أثناء العدو إلى النجاح منتهزين غفلة الحكم!

ولكن الله هو الحكم دائما! ومن الغريب أن قراره باخراجه من الحلبة قد يتأخر.. وقد يعلن أنه فاز على منافسه.. ولكن شيئا ما يحدث في الحياة.. فتتغير النتيجة النهائية، و يصبح المنتصر الغادر مهزوما إلى الأ بد!

عربة النجاح هي أوتوبيس فيه مقاعد لجالسين وواقفين! احذر أن تحاول أن تركب وحدك!

اللعنة التي تصيب الظالم

طلق زوجته لأنها خائنة، ولم يفتح فمه بكلمة، وكافأته على نبله بأن شهرت به في كل مكان، وروت الأكاذيب عنه في كل بيت، ومضى في صمته وتركها لله! وعندما تركها الله لم يكن أنبل رجل في العالم، بل كان أقسى إنسان في الدنيا!!

وتزوجت بالرجل الذي تحبه، ثم اكتشفت أنها تزوجت نصابا! وأرادت أن تتطلق منه فرفض، ومضى يضربها ويشتمها ويسيء معاملتها، ويخونها، ويسرق مالها!

فعل بها كل ما اتهمت به ظلما زوجها السابق. كأن القدر سجل على شريط مسجل كل أكاذيبها على زوجها الأول البريء، ثم أدار الشريط من جديد، ليفعل الزوج الجديد كل ما اتهم به الزوج القديم!

وجن جنونها. أغلقت أبواب الدنيا في وجهها. خيل إليها أن كل الذين حولها يتآمرون عليها ويكيدون لها، كانت تتطلع إلى السماء كل ليلة وتقول ماذا فعلت يارب حتى تجعل حياتي كل هذا الجحيم!

نسيت أنها ظلمت رجلا بريئا! لم يخطر ببالها أن ظلم إنسان بريء هو جريمة أفظع من جريمة القتل. فالرجل الذي نقتله لا يشعر بالألم إلا مرة واحدة، ولكن عذاب الظلم أشد هولا من عذاب الموت، ولهذا فان الله يعاقب الظالم عقوبات لا تخطر ببال المظلوم!

لقد رأيت هذه المرأة الظالمة منذ أيام.. شاخت وهي شابة. تشوهت وهي جميلة. امتلأ وجهها بالتجاعيد، وقد كان وجهها دائما يفيض بالروعة والحيوية والنضارة!

لا! إنها لم تندم. ولو أنها ندمت لما أنزل بها القدر هذه العقوبة الصارمة. وقد تحدثت إليها ووجدتها لا تزال تكره الرجل الذي ظلمته. كأنه هو الذي شوه وجهها، وكأنه هو الذي نقلها من الربيع إلى الخريف، وكأنه هو الذي سلبها نضارتها الحلوة!

لعنة عجيبة تصيب الظالم. لا يعرف من أين جاءت! قد تصيبه في نفسه. وقد تصيبه في أولاده. يصاب بعضهم بلوثة عقلية أو بعيوب خلقية، أو تجعلهم هذه اللعنة مخلوقات ملعونة إذا أمسكوا بأصابعهم زهرة ذبلت، وإذا وضعوا أيديهم في مشروع أفلس، وإذا بنوا بناء ضخما تساقط فجأة وتحول إلى خراب. وأنت لا تعرف متى تجيء هذه اللعنة. وقد تسرع وقد تبطيء، ولكنها لابد أن تجيء! ما رأيت ظالما نجا بظلمه، ولا رأيت طاغيا أفلت من لعنة الله. قد يفلت منها حيا، ولكن تمسك به ميتا! قد لا يلحقه هو عقاب اللعنة، ولكن هذه اللعنة تحاصر أولاده من بعده، وتنفذ فيهم الحكم في جريمة ارتكبها عائلهم، فيذوقون طعم الظلم الذي ذاقه كثير من أبناء الأبرياء!

اجلس على حافة الترعة وستجد جثة ظالمك يحملها التيار إليك!!

وحدة العرب

لا أوافق الذين يتشاءمون من حصول الارهابي مناحم بيجين على الأغلبية البرلمانية في انتخابات اسرائيل!

الفرق بين بيجين وحزب مابام أن مناحم يمسك الخنجر في يده، وحزب العمال يضع الخنجر وراء ظهره!

الفريقان ضد العرب وضد السلام. ولا ننسى أن حزب مابام الذي فقد الأغلبية اليوم هو الذي اعتدى على العرب في عام ١٩٤٨ وفي عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧.

ويخطىء العرب كثيرا إذا تصوروا أن الشعارات التي ترفعها الأحزاب أثناء الانتخابات هي التي تعتنقها بعد حصولها على الأغلبية!

جربت مصر حزب العمال البريطاني عندما كان ينادي في برامجه باستقلال مصر، فاذا تولى الحكم أصبح أشد استعمارا من حزب المحافظين، ففي سنة ١٩٢٤ قطع سعد زغلول مفاوضاته مع ماكدونالد زعيم حزب العمال لأنه رفض الجلاء، وفي سنة ١٩٣٠ قطع مصطفى النحاس مفاوضاته مع هندرسون وزير خارجية العمال لأن العمال أبوا أن يعترفوا بحقوق مصر ولم تعقد مصر المعاهدة سنة ١٩٣٦ إلا مع حكومة المحافظين، ولم تعقد معاهدة الجلاء في سنة ١٩٥٤ إلا مع حكومة المحافظين أيضا!

الذي يتوقف عليه السلام في الشرق الأوسط هو وحدة العرب واتفاق كلمتهم، هو قوتهم العسكرية واستمرارهم في الحصول على الأسلحة الحديثة، وفي تنويع مصادر السلاح، هو في قطع الطريق على اسرائيل حتى لا تنفرد وحدها بصداقة الغرب، هو أن نستفيد من سلاحنا الجبار وهو البترول العربي والمال العربي! هو استعدادنا في كل يوم لأن نحارب لنحرر أرضنا إذا أبت إسرائيل أن تجلو عن أرضنا.

هذا هو الذي سوف يرغم إسرائيل على الانسحاب.

ان أي مستعمرات جديدة تقام في أراضي الضفة الغربية، سوف تكون أشبه بأوارق اللعب، تتطاير في الهواء إذا هبت عليها الرياح.

وكلمة العرب المتحدة هي الاعصار!

وبعد..

لقد كان حزب مابام يرفض أن يجلس مع منظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات في مؤتمر جنيف لأنهم ارهابيون.. فاذا استمرت اسرائيل على رفضها، فمن حقنا نحن أيضا أن نرفض أن نجلس مع مناحم بيجين لأنه ارهابي معروف!



فخر وأسى

شعرت بفرحة عندما علمت أن ١٢٠٠ شاب مصري يشغلون الآن مناصب الأساتذة ومساعدي الأساتذة والمدرسين في جامعات أمريكا!

كلما أمشي في شارع ألتقي بشاب مصري نبغ وانطلق وتقلد منصبا كبيرا في هيئة علمية أو اقترن اسمه ببحوث علمية أو اشترك في اكتشاف أو اختراع. شعرت كأنني أجد أعلام مصر مرفوعة ترفرف فوق عدد كبير من الجامعات العلمية. وعندما كنت ألتقي بكبار رجال الجامعات، وأسمعهم يتحدثون عن الشباب المصري الجديد كنت أشعر بفخر وأسى. فخر لأن هذه الأسماء المصرية استطاعت أن تتألق وراء البحار، وأسى لأن هذه الكفاءات الشابة كانت يوما في مصر وطاردناها وشردناها وكتمنا أنفاسها وأحصينا عليها خطواتها وحاصرناها وحاولنا خنقها حتى اضطرت أن تهرب بما تحمله من علم وراء الحدود!

سمعتهم يرددون اسم الدكتور أبو شبانة من أشهر أساتذة أمراض النساء في أمريكا الآن، وسمعت اسم الدكتور عبدالله المشرق الذي أصبح من أهم أساتذة الجراحة في جامعة لونج ايلاند، وسمعت اسم الدكتور يحيى شوقي من أكبر أطباء الأطفال في مدينة ويترويت، وسمعت اسم الدكتور رامز سالم رئيس جميعة التخدير في شيكاغو وهو متخرج من كلية الطب في جامعة الاسكندرية. وسمعت عن مئات الأساتذة في الطب الذين يشغلون أهم المراكز في أكبر مستشفيات الولايات المتحدة ومراكز الأبحاث فيها!

وحدث أن أردت في نيو يورك أن استشير أحد كبار الأطباء الباطنيين في أمريكا فقال لي الدكتور سابا حبشي وزير التجارة والصناعة السابق، وأحد أعاظم المحامين في أمريكا الآن:

ــ كيف تسأل عن أكبر طبيب باطني في أمريكا و يوجد في نيو يورك أستاذ كبير للطب الباطني، وهو شاب مصري اسمه الدكتور حزى وهو أستاذ الأمراض الباطنية في جامعة نيو يورك!

وذهبت إلى الطبيب المصري في عيادته الأنيقة في مدينة نيو يورك، وفوجئت بأنه لم يترك مصر إلا في منتصف الستينات، ومع ذلك استطاع خلال هذه السنوات أن يشق طريقه، وأن يصبح من كبار الأطباء في أمريكا!

إن سبعة آلاف سنة في المدنية والعلم لا يمكن أن تذهب هباء، مهما ألقينا فوقها من تراب!



الزواج من البخيل

لا تتزوجي بخيلا يا ابنتي!

كل عيوب الدنيا يمكن علاجها في الرجل ما عدا داء البخل الوبيل. خير لك أن تتزوجي بائع طعمية كريما وتعيشي معه في فقر. من أن تتزوجي من مليونير بخيل وتعيشي معه في شقاء وعذاب وحرمان!

كم من فتيات أقبلن على زواج كبار الأثرياء، وبعد الزواج اكتشفت الواحدة منهن أنها اشترت الترام، أو أنها تزوجت بنكا خزانته مغلقة بالضبة والمفتاح. القرش يخرج من جيبه كأنه مائة جنيه، والعشرة جنيهات يحرص عليها كأنها مليون جنيه.

أنا لا أؤيد الزواج من مسرف سفيه، ولكن تجربتي مع البخلاء تجعلنى أرى أنه أفضل للفتاة أن تعيش عانسا إلى سن الستين من أن تتزوج من زوج بخيل!

أعرف قصة البخيل الذي اشترى مروحة لزوجته وطلب إليها ألا تحرك المروحة أمام وجهها حتى لا تذوب المروحة، ونصحها بأن تحرك رأسها أمام المروحة!

وأعرف قصة مليونيرة بخيلة كانت لا تطهي في بيتها إلا إذا دعت غرباء لتناول الطعام، فاذا أكلت مع أولادها قدمت لهم بقايا الطعام الموجود في الفريجيدير من المأدبة السابقة التي مضت عليها ثلاثة أسابيع! وأذكر أن أولادها كانوا يتوسلون إلى أن أقبل دعوتها للعشاء، فقد أصبحوا يشعرون بوحشة شديدة للطعام الطازج!

وأعرف رجلا بخيلا كان يرفض شراء الصحف يوما بيوم حتى لا يدفع القروش القليلة ثمنا فيها، وينتظر حتى يباع مرجوع الصحف للبقال بالأقة، فيذهب إلى البقال ويشتري أقة من مختلف الصحف ولا يهمه أن يقرأ اليوم أخبار السنة الماضية كل ما يهمه ألا يدفع ثمن الجريدة!

وأعرف رجلا بخيلا كان لا يدفع مصاريف أبنائه في المدرسة قبل التعليم المجاني، إلا بعد أن تطردهم المدرسة لعجزهم عن دفع المصاريف!

ثم أعرف أن ورثة البخلاء كانوا دائما ينفقون أموالهم كالمجانين، فاذا رأيت شابا ينفق أمواله بجنون فاعرف أن والده كان أبخل البخلاء!

أتعس امرأة في العالم هي التي تتزوج من رجل بخيل!

عندما يكون المرء أكبر من الكرسي

تناولت طعام الغداء مع اللورد جورج براون وزير الخارجية البريطانية السابق، وقد عرفته وهو نائب شاب يحلم بأن يكون وزير خارجية بريطانيا في يوم من الأيام.

قال لي مرة انه كان يحلم بهذا المنصب وعمره ثماني سنوات!.. وعشق هذا المنصب وهو عضو في نقابات العمال، وكانت مهمته الاتصال بنقابات العمال في الخارج وتعلم الدبلوماسية من هذه الاتصالات، ثم ازداد ولعا بهذا العمل عندما أصبح أستاذه أرنست بيفين وزيرا للخارجية في أول وزارة للعمال تألفت بعد الحرب العالمية الثانية.

وكان جورج براون صديقا للعرب على الرغم من أن زوجته يهودية، وكان له الفضل في وضع الخطوط الأولى لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بعد هزيمة ٥ يونيو الذي نص على انسحاب اسرائيل. وهاجمه الصهيونيون بعنف لأنه عارض في ضم اسرائيل للقدس. وبدأت حملة صهيونية ضده نشبت أظافرها فيه، واتهمته بأنه يفرط في الشرب، فإذا شرب لم يستطع السيطرة على نفسه، واتهموه بأنه غازل الأميرة مرجريت شقيقة الملكة، وحاول أن يضمها إلى صدره وهو يرقص معها، وكتبت إحدى الصحف الصهيونية تقول إنك لا تستطيع أن تأتمن وزير خارجية بريطانيا على خالتك العانس العجوز، وانه كلما رأى زوجة سفير أجنبي في مأدبة رسمية تحدث إليها وكأنه يحاول اغتصابها.

وكانت كل هذه اشاعات مبالغا فيها، وقد كان جورج براون عاملا وكان يحرص وهو وزير للخارجية أن يتحدث بلغة العمال! كان لا يعرف الانحناء، وكان يجهل البروتوكول. وكان يكره التقاليد الرسمية. وقال لي مرة أنا عامل وابن عامل والعمال هم الذين انتخبوني وأنا جذوري في أوساط العمال، ولا أستطيع أن أتظاهر أو أتصنع وأتكلف وأتفوه بالمجاملات الفارغة الكاذبة لأبدو ارستقراطيا بين الارستقراطيين!

وكان جورج براون يحرص على أن يتحدث مع الملوك، وكأنه يتحدث مع الفلاحين في بلدته (سواد لينكوت)، وكان يتناقش مع رؤساء الجمهوريات وكأنه يتناقش مع أعضاء اتحاد نقابات العمال، وكان يقول دائما مادمت لا أنحني وأنا أحادث رئيس نقابة العمال فلا أستطيع أن أنحني وأنا أتحدث مع صاحب الجلالة!

بعض الناس يكبرون وهم وزراء وبعض الناس يصغرون وهم وزراء ولكن جورج براون جعل نفسه دائما أكبر من الكرسي الذي يجلس عليه!

المحسوبية نوع من السرقة

المحسوبية هي نوع من أنواع السرقة. ومن رأيي أن نعامل المسؤول الذي يرتكب جريمة المحسوبية كما نعامل اللص تماما، فهويسلب من صاحب الحق حقه ليعطيه لغير صاحب الحق!

وعندما يجيء لي أطباء شبان تقدموا ليشغلوا وظائف أطباء بكلية الطب في بنها، ثم يتقدمون بوثائق تتهم جامعة الزقازيق بالمحسوبية والوساطة أشعر أن واجبي أن أضع شكواهم أمام وزير التعليم العالي، فليس معقولا في عصر نعلن فيه أن العدل عاد من الاجازة أن نسكت أمام أي ظلم يرتكب. ولهذا فيجب أن يجرى تحقيق سريع لنعرف هل هؤلاء الشبان ظالمون أم مظلومون!

وفي الوقت نفسه أسمع قصة شاب تخرج في كلية الهندسة جامعة القاهرة عام ١٩٧٦ قسم كهرباء الكترونات بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبمجموع ٩٧٫٢٥٪ في المائة، وبهذا المجموع جاء ترتيبه الأول، ليس على القسم، ولا على جميع أقسام كلية الهندسة في القاهرة، بل وعلى كليات الهندسة بجامعاتها المختلفة. ثم أسمع أن الكلية لم تدفع له مرتب شهر أكتوبر رغما عن مضي سبعة شهور، بحجة عدم سماح البند في الميزانية! ثم أسمع أن الكلية أقامت حفلا في يناير ١٩٧٧ لأوائل الخريجين في الكليات الجامعية، وقام رئيس الجامعة بتوزيع جوائز تذكارية على الأوائل ولم يدع أول الهندسة لهذا الحفل، ولا يعلم حتى الآن مصير الجائزة! ثم أسمع أن هذا الشاب فوجىء في الحفل الذي أقامته الجامعة في قاعة الاحتفالات يوم ١٢ مايو سنة ١٩٧٧ لأوائل الخريجين في الكليات الجامعية بدعوة الحادي عشر في الترتيب وهي شابة مهندسة بدلا منه وإدراج اسمها في دليل أوائل الخريجين!

ورغم الاتصالات المتعددة، والمرور من مكتب إلى آخر فلم يتفضل أحد من من المختصين بإصلاح هذا الظلم الفادح!

إننا نتساءل لماذا يفكر شبابنا في الهجرة؟ لماذا يطفشون إلى خارج بلادنا؟ ولا نعلم أن هذه المظالم الصغيرة تبدو كبيرة جدا عندما يقابلها الشاب المصري في أول حياته. عندما يشعر أنه يجب أن يتمرمط.. بين المكاتب ليحصل على حقه. عندما يجد أن مبدأ تكافؤ الفرص هو كلام مكتوب على الورق.

المحسوبية تكسر قلب الشاب المصري عندما تصدمه في أول لقاء له مع الحياة، وهي تشوه منظر مصر الجميلة في عينيه وتجعل الدولة تتحول في نظره من أب حنون إلى قاطع طريق!!

إننا نريد أن نسمع أن أي مسؤول عوقب لأنه ظلم صاحب حق نريد أن يشعر كل شاب أن الدنيا تغيرت، وأن أي مسؤول يرتكب محسوبية إنما يتركب جريمة، وأقل ما نفعله فيه أن نقيله إذا لم نقدمه إلى محكمة الجنايات!

نريد تحقيقا اننا عندما نظلم شابا واحدا في أول حياته العملية إنما نظلم كل شباب مصر!



الشهرة كالوردة فيها جمال وأشواك

يحتفل العالم هذه الأ يام بمرور خمسين سنة على عبور الطيار الأمريكي لندبرج للمحيط الأطلنطي من نيو يورك إلى باريس بغير توقف.. في طائرة صغيرة استغرقت المسافة بها ٣٣ ساعة ونصف ساعة وتقطعها الطائرة الكونكورد الآن في ثلاث ساعات ونصف ساعة!

ففي يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ كان شارلس لندبرج طيارا شابا مغمورا، وفي اليوم التالي أصبح أعظم رجل في العالم، المظاهرات تحتشد لتهتف باسمه، الملوك يسعون إلى لقائه. أجمل نساء الدنيا تترامى تحت أقدامه.. المحال التجارية تتسمى باسمه. الأقمشة تحمل صورته. الصفحات الأ ولى من صحف العالم مخصصة للحديث عنه. واستقبلته مدينة نيو يورك حين عاد إليها في بارجة حربية وضعها رئيس الجمهورية تحت تصرفه استقبال الغزاة الفاتحين. خرجت الملايين تهتف وتلوح له. لم يحدث في تاريخ العالم كله أن خرج كل هذا العدد من الناس يهتف لشاب عمره خمس وعشرون سنة!

وفي أول الأمر فرح الشاب بالشهرة المذهلة، و بالاستقبالات الضخمة، و بالهتافات المدو ية، و بالحفلات الصاخبة، و بعد شهور ضاق بكل هذا وأصبح يشعر أنه سجين هذه الشهرة، وعبد لهذه البطولة! لا يكاد يدخل إلى مطعم حتى ينقلب رأسا على عقب. لا يكاد يدخل إلى مسرح حتى يتوقف التمثيل و يتحول إلى مظاهرة تهتف بحياة البطل العظيم. لا يقود سيارته في شارع حتى تتوقف حركة المرور! وفي إحدى رحلاته التقى بآمي ابنة سفير أمريكا في احدى عواصم أمريكا الجنوبية وأحبها وخطبها.. وأراد أن يخرج معها كما يفعل الخطيب مع خطيبته! ولكن الجماهير لم تتركه ينفرد بها لحظة واحدة! كانت الجماهير المعجبة تطبق عليه وتكتم أنفاسه وتتبعه في أي مكان يذهب إليه. وكان الصحفيون يحاصرونه، و يدسون أنوفهم في أخص شؤونه، وكان يشعر أن الشهرة جعلته أشبه برجل يعيش في بيت من الزجاج، وكل العيون ملتصقة به تراقبه بالليل والنهار! واضطر أن يتنكر فكان يضع أحيانا لحية مستعارة أو نظارة سميكة، أو شاربا كبيرا حتى يضلل المعجبين الذين كادوا يخنقونه من شدة الإعجاب..

وذات يوم أدلى بتصريح قال فيه إن طيران هتلر أقوى من طيران أمريكا، وفي يوم وليلة تحول الحب إلى سخط، والاعجاب إلى ازدراء، واتهم البطل بالخيانة! واضطر أن يهاجر من بلاده ثم قامت الحرب وعرفت أمريكا أن لندبرج كان على حق، وأنه كان يريد أن ينبه بلاده حتى تستعد بدلا من أن تعيش على الأ وهام. وقام بدور هام في الحرب، وعاد بطلا من جديد! وكان يقول دائما أنا لست بطلا ولا أريد أن أكون بطلا. ما أجمل أن يعيش الإنسان مجهولا بين الناس!

الشهرة كالوردة فيها جمال.. وفيها أشواك!

زميلتنا ابنة رئيس الجمهورية

للرئيس كنيدي ابنة تبلغ الآن التاسعة عشرة من عمرها اسمها كارولين. فتاة جميلة ورثت الملايين عن أبيها وأوصى لها المليونير أوناسيس زوج أمها ببعض الملايين!

وكان المفروض أن تعيش هذه الفتاة حياة الوارثات، تنتقل من سهرة راقصة إلى سهرة راقصة، ومن حفلة كوكتيل إلى حفلة كوكتيل، وأن تمضي الصيف تنتقل في طائرة خاصة بين مصايف أمريكا وأوربا!

ولكنني عندما كنت في الولايات المتحدة فوجئت بكارولين تذهب إلى جريدة الديلي نيوز في نيو يورك وتطلب أن تشغل وظيفة «ساعي» في الجريدة مدة الصيف!

ولم يشأ رئيس التحرير أن يجاملها و يعينها سكرتيرة في مكتبه أو يضعها في غرفة أنيقة تليق بابنة رئيس جمهورية أمريكا بل أمر بتعيينها في وظيفة ساع بالجريدة!

وابتداء من أول يونيو ستذهب ابنة رئيس الجمهورية إلى عملها في الساعة الثامنة صباحا، وتبقى به إلى الساعة الخامسة بعد الظهر، تتخللها فترة ساعة لتتناول الغداء، وتنتقل من مكتب إلى مكتب تحمل الأوراق، وستقدم القهوة إلى محرر صفحة الجرائم، وستنظف غرفة محرر الرياضة مما فيها من تراب!

وهي فخور بهذا العمل، لأنها تعلم أن العمل شرف، وأن الفتاة التافهة هي التي تمضي يومها تتحدث في التليفونات أو تتكلم عن الناس، وهي تعتقد أنها ستتعلم وهي في وظيفة ساع في الجريدة أكثر مما تتعلمه في الجامعة. سترى الحياة على حقيقتها، بغير أصباغ وألوان.. في الجريدة يلتقي الملوك بالصعاليك، رجل الشارع بالفيلسوف، العالم الكبير بالجاهل الكبير، صاحب السلطان بالشحاذ! وفي الجريدة كل لحظة شيء جديد وشيء مختلف! الأخبار الجديدة في الساعة الحادية عشرة تصبح أخبارا قديمة جدا في الساعة الثانية عشرة. في صالة التحرير تجد الدنيا كلها مجتمعة في غرفة واحدة، الكرة الأرضية لا تدور كما تقول كتب الجغرافية، وإنما تدور في هذه الغرفة مرة كل دقيقة!

ما أعظم الفرق بين تمضية الصيف في صالة تحرير وتمضية الصيف في قصر من قصور المليونير أوناسيس في الجزيرة التي يملكها في البحر الأبيض المتوسط! ولكن الشابة الصغيرة سعيدة بهذه التجربة، سعيدة بأن تعرق، وتعمل وتكافح، وتشعر بحلاوة طعم المال القليل وهي تحصل عليه بكدها وجهدها وساعات عمل طويلة لا من مال ترثه من أبيها المليونير أو زوج أمها البليونير!

السعادة الحقيقية في العمل!

افتح أنت الباب

كلنا فشلنا في يوم من الأ يام والفرق الوحيد أن الذين فشلوا يئسوا، والذين نجحوا استمروا يحلمون!

أنا إذا رأيت الباب مغلقا فلا أعود أدراجي، بل أنتظر وأدق الباب، ثم أدقه مرة ثانية، ثم أدفعه بيدي، ثم أحاول أن أعالج مزلاج الباب.

كم من مرة تصورت أن الباب المسدود مغلق بالضبة والمفتاح، وبقليل من الصبر وجدت الباب يبدو من بعيد مغلقا فاذا اقتربت منه وانتظرت أمامه وعالجته من جديد انفتح أمامك كأنك قلت الكلمة المسحورة «افتح يا سمسم» التي تفتح أبواب المغارات في قصة ألف ليلة وليلة!

كم من مرة رأيت الشمس تشرق في منتصف الليل، عندما يبدو كل شيء حالكا حولي والسواد يحيط بي من كل جانب، وأتصور أن الليل بلا آخر، وأن الظلام أصبح سلطانا سوف يحكمنا إلى الأ بد، ثم فجأة أرى النهار يعقب الليل، واليسر بعد العسر، والدنيا الباسمة بعد الدنيا المكشرة الأنياب!

وكم عرفت من رجال سقطوا في أول الطريق، ثم قاموا من سقطتهم وحاولوا من جديد، وسقطوا مرة أخرى، وتكرر وقوعهم على الأ رض، وتكررت محاولا تهم، وإذا بهم يجدون أنفسهم فوق القمة! الضربات التي أصيبوا بها وهم يقطعون الطريق لم تقض عليهم، والأشواك التي مشوا فوقها لم تصبهم بالجروح بل جعلتهم أصلب مما كانوا، وأقوى مما كانوا، وأقدر على اقتحام الصخور!

رأيت شابا يفشل في القاهرة و ينجح في باريس، ورأيت طالبا يقول لي إنه قرر الانتحار لأنه رسب في الثانو ية العامة، ووجدته بعد سبع سنوات صاحب جراج للسيارات يربح منه أكثر مما يكسب وزير التربية والتعليم!

في استطاعة كل واحد منا أن يحول الفشل إلى نجاح، لو درس أسباب فشله، وعرف أخطاءه وحاول أن يصلحها، ولو أنه قاوم اليأس والقنوط، وعرف أن اليائسين في الحياة هم الكسالى، ولا مكان في الحياة للكسالى وتنابلة السلطان!

الذين يغلقون عيونهم هم الذين يرون الأ بواب مغلقة في وجوههم فافتح عينك، وافتح رأسك، وافتح قلبك تجد الدنيا بين ذراعيك!

لا يوجد في الدنيا بوابون يفتحون لك أبواب الحياة على مصاريعها.. افتح أنت الباب!



الكمبيوتر لعبة أطفال

كنت أتناول الغداء في نيو يورك مع بعض رجال الأعمال، وسمعت واحدا منهم يقول انه اشترى لابنه آلة حاسبة يجري عليها العمليات الحسابية الكبيرة، وان الابن يبلغ من العمر ٤ سنوات!

وسمعت أبا آخر يقول انه اشترى لطفله الذي يبلغ من العمر خمس سنوات لعبة ميكانيكية دقيقة وانه أصبح الآن قادرا على أن يجمع عددا من القطع الحديدية الصغيرة ليصنع منها سيارة، وانه بعد ذلك سوف يتعلم كيف يصنع طائرة!

وسمعت أبا ثالثا يقول إن ابنته البالغة من العمر خمس سنوات تعلمت اللغة الأسبانية من التليفزيون وأصبحت تجيد التحدث بها!

ولم أكن أعرف من قبل أنّ الأطفال يتعلمون الهندسة والميكانيكا في هذه السن المبكرة، أو أنهم يدرسون اللغات في التليفزيون فاننا نهتم بأن نعلم أطفالنا في هذه السن حروف الهجاء!

وقالوا لي إننا كنا في الماضي نعلم أولادنا ليحصلوا على درجات جامعية ولكننا الآن نعلمهم ليكونوا مُخترعين! فالعالم يحتاج في المستقبل إلى أصحاب المواهب في الابتكار والاختراع والخلق، والشاب العادي غير المتفوق لن يجد في الغد سوى ضروريات الحياة، فعالم الغد يبحث عن النبوغ، ويحاول أن يجده في أي مكان في العالم، وتوجد بعثات الآن تطوف أنحاء العالم تحاول اكتشاف شبان متفوقين ومبتكرين، تماما كما كان رجال هوليود في الماضي يتجولون في كل الدنيا بحثا عن فتيات جميلات يصلحن لأدوار الكواكب والنجوم!

وبعض الشركات الكبرى هناك تقول للعامل انها مستعدة أن تدفع له مئات الألوف إذا استطاع تحسين إنتاج الآلة التي يعمل عليها. ولهذا فان كثيرين من العمال يدرسون في مدارس ليلية، ليستطيع الواحد منهم أن يجعل الآلة التي يعمل عليها تضاعف انتاجها، أو تنتج بتكاليف أرخص! وقد دفعت إحدى شركات السيارات نصف مليون دولار لعامل استطاع أن يوفر مبلغا بسيطا من ثمن الموتور...

ويجب أن نحاول في مدارسنا أن نشجع أطفالنا على موهبة الخلق والابتكار والاختراع.. والذين درسوا الطفل المصري يقولون إنه من أكثر أطفال العالم ذكاء.. ولكن الذي ينقصنا هو أن نعرف كيف نوجهه ونعده ليقوم بدوره في عالم الغد... عالم الخلق والابتكار والاختراع.



الذين أحبوا أنفسهم

إذا أحببت كل الناس أحبك كل الناس، وإذا أحببت نفسك فقط لم يحبك أحد! والفرد الأناني يدهش من أنه إذا مرض لا يعوده أحد، وإذا سقط لم يتقدم أحد ليساعده للوقوف على قدميه، وإذا واجهته كارثة لم يسارع الناس إلى نجدته. ولهذا فهو يتهم الدنيا كلها بالقسوة ناسيا أنه هو المتهم الأول!

فالدنيا أشبه بالبنوك تأخذ منها بقدر ما تودع فيها، وتستطيع أن تقترض بشرط أن تسدد الدين مع الفوائد، فاذا لم تدفع حجز البنك عليك وأشهر إفلاسك، وامتنعت البنوك كلها عن إقراضك!

الذين ساعدوا الآخرين وجدوا من يساعدهم و يقف بجوارهم، والذين تخلوا عن الناس لم يجدوا من يؤازرهم، و يقف خلفهم، أو يصمد في الدفاع عنهم.

وأهل هذا الجيل لم يعيشوا في مصر عندما كانت بلد المروءات والمودات والصداقات والنخوة والتضحية. لقد طاردت الديكتاتورية هذه المعاني الجميلة باعتبارها رذائل رجعية غير تقدمية وغير اشتراكية! وكانت الأجهزة تقبض على الرجل إذا ساعد أسرة جاره المسجون، وتشرد الموظف إذا قدم الطعام لأطفال المعتقل الجائعين، وتهدد وتتوعد كل من يحاول أن يقول كلمة طيبة في حق مظلوم بريء! هذا البطش أفزع المروءة في بلادنا، فاختفت أو توارت أو تضاءلت وانكمشت! وغياب المروءة أفقد الحياة حلاوتها وأصبح كل واحد منا لا يهتم إلا بنفسه، ولا يخاف إلا على مصدر رزقه، ولا يحرص إلا على أن ينجو من سوط الجلاد. وهذا الفزع هو الذي شجع الطغيان، ولو أننا رددنا على الغدر بالمروءة، وعلى الكراهية بالحب، وعلى الأنانية بالتضحية، وعلى الخوف بالشجاعة، لما وجد الطغيان لنفسه أرضا في بلادنا! ولكن عيبنا أننا رفعنا أيدينا في الهواء واستسلمنا للطغيان لينجو واحد منا بنفسه فلم ينج منا أحد. كل واحد منا كان ضحية بشكل من الأشكال. اما قتيل واما جريح واما مفقود. اما محروس أو مصادر أو محال للمعاش. اما منفي أو معزول أو خائف تموت في مكانك كل يوم. اما مفلس أو مستبعد أو راكع على الأرض!

لو أننا أعطينا الشجاعة لأخذنا الصمود. ولو أننا أعطينا التضحية لحققنا الصمود على الطغيان، ولو كان لدينا القدرة على أن نصرخ بصوت واحد «لا» لتحول كل الطغاة إلى فئران!

ولكننا أحببنا أنفسنا.. فلم يحبنا الله!

وعندما عرفنا الله وعرفنا الحب عرفنا الله!

العدد الأول

في مثل هذا اليوم، منذ خمس وعشرين سنة، صدر العدد الأول من جريدة «الأخبار»!

كان إصدار جريدة يومية لعبتنا ونحن أطفال، وكان حلما من أكبر أحلامنا ونحن أولاد صغار، وكان أملا رائعا ونحن تلاميذ، وكان هدفا شبه مستحيل ونحن شبان، وأصبح تصميما وعزما وعملا شاقا وعرقا ودموعا ودما ونحن رجال!

كان كل ما يهمنا — علي أمين وأنا — هو أن نصدر جريدة مصرية جديدة، بأفكار جديدة، وروح جديدة، وتبويب جديد. شجاعة لا تخاف. جريئة لا تتردد، وكنا نريد أن يكون صاحباها روز اليوسف ومحمد التابعي، ويكون اسمها «الزعيم». ورفض الاثنان فكرة الجريدة كما اقترحناها، وقالا انها يمكن أن تنجح في أوربا ولا يمكن أن تنجح في مصر. ثم اشتركنا مع محمود أبو الفتح ومحمد التابعي وكريم ثابت في إصدار جريدة المصري سنة ١٩٣٦ وحاولنا إقناعهم بفكرتنا. ورفض الفرسان الثلاثة فكرتنا وأصروا أن تصدر جريدة المصري تقليدية كجريدة الأهرام وغيرها من الصحف القائمة. وعملنا في المصري. وأصبحت مراسله المتجول في أنحاء العالم وحررت صفحته الأولى في أوائل أيام صدوره ثم أصبحت مراسل المصري في واشنطون، ومع ذلك بقي الحلم بالنوع الجديد من الصحافة يأكل قلوبنا!

وأصدرنا «أخبار اليوم» في عام ١٩٤٤ ومن عددها الأول أصبحت أوسع صحف الشرق الأوسط انتشارا. ثم أصدرنا آخر ساعة، ثم أصدرنا آخر لحظة مرة في الأسبوع، وأصبح توزيع الصحف اليومية الكبيرة ينقص يوم صدور آخر لحظة. وبعد ثماني سنوات من صدور «أخبار اليوم» قررنا أن نصدر جريدتنا اليومية!

واختلفنا!

كان من رأي علي أمين أن تصدر الجريدة الجديدة بحجم آخر ساعة وآخر لحظة، وكان من رأيي أن تصدر في حجم «الأخبار» الآن. ولم نستطع ترجيح رأي على رأي، واتفقنا أن أخرج من جيبي أي ورقة بنكنوت من فئة الجنيه، فاذا كان رقمها الأول مفردا أصدرناها بالحجم الصغير، وإذا كان الرقم بالجوز تصدر «الأخبار» بالحجم الكبير. ووضعت يدي في جيبي وأخرجت الجنيه، وكان رقم الجنيه بالجوز فصدرت الجريدة في حجمها الحالي!

وصدرت «الأخبار» بقرش صاغ، وكان ثمن الصحف اليومية وقتئذ ١٥ مليما، واضطرت بعض الصحف الكبرى إلى إنقاص ثمنها لمواجهة الجريدة الوليدة. وباعت «الأخبار» في عددها الأول أكثر من أي جريدة في مصر ولكنها صدمت القراء وخيبت آمالهم، فقد كانت مختلفة عن الصحف القائمة التي تعود عليها القراء اختلافا تاما. أخبارها في الصفحة الأولى قصيرة وكثيرة، والصحف اعتادت أن تنشر في الصفحة الأولى خبرين كبيرين فقط. وفي العدد الثاني هبط توزيع «الأخبار» وأصبحت الصحيفة الثالثة. وثار أغلب المحررين على «التجديد» وطالبوا بالعودة إلى التوضيب القديم، ونصحونا أن نقلد المصري والأهرام اللذين تعود عليهما القراء عشرات السنين. وأبينا، صمدنا وقاومنا، وصبرنا وصابرنا، وجددنا وكافحنا، وحاولنا، أصلحنا بعض أخطائنا. واستمرت «الأخبار»

مصرة على تجديدها وابتكارها واختلافها عن الصحف القائمة. و بعد ثلا ثة شهور فقط قفزت من المرتبة الثالثة إلى المرتبة الأ ولى، وأصبحت الأخبار أوسع الصحف اليومية انتشارا.

كانت الفكرة الأ ولى في إصدارها أن تكون جريدة الشعب لا جريدة الحاكم، وأن تنشر ما يريد الشعب أن يقوله للحاكم قبل أن تنشر ما يريد الحاكم أن يقوله للشعب. وحاولت ونجحت وفشلت وحاولت من جديد وتعثرت و وقعت ثم قامت وتعثرت ثم قامت وهكذا.

قصة «الأخبار» هي قصة فشل ذريع أعقبه نجاح كبير. المهم إذا فشلت أن لا تيأس. ولا تتخاذل. ابدأ من جديد، حاول، استمر. المهم أن تعمل وتسهر في عملك وتحب عملك، وتؤمن به وتتفانى فيه وتعشقه.. أي عمل ناجح في الدنيا يقوم به فريق من العاشقين وكلما عشقت هذا العمل انطلق إلى الأمام!

وقبل كل شيء كان أحد أسرار نجاح الأخبار أنها عملت بروح الفريق. لا رئيس ولا مرؤوس كلهم أصدقاء. كلهم أسرة. كلهم عشاق. إن روح الفريق هي التي تصنع الانتصار!

وكل سنة.. وأنتم بخير!



الذي دعا إلى الإلحاد ليس من حقه أن يكون مؤذنا للصلاة

صاحبنا يريد أن يكون في المقدمة دائما. في الزفة يريد أن يكون العريس، وفي الجنازة يريد أن يكون النعش! إذا جاء موسى حاول أن يكون الحاخام الأكبر، وإذا جاء عيسى سارع ليصبح البطريرك، وإذا جاء محمد أصر على أن يكون وحده دون سواه شيخ الإسلام!

لا يريد أن يقتنع أنك لا تستطيع أن تكون الشيخ وضده في وقت واحد، ولا أن تجمع بين منصب نقيب الجزارين وممثل الخرفان! لا يريد أن يصدق أن لكل عهد رجاله.

الذي حمل السوط لا يصلح مبشرا للحرية. الذي دعا إلى الإلحاد ليس من حقه أن يؤذن للصلاة. الذي نعق بالهزيمة لا يجوز له أن يمشي في مقدمة موكب الانتصار. والذي كان يدافع عن التعذيب والارهاب لا يمكن أن يكون نبيا لحقوق الإنسان!

ولكن بعض الناس يعتمد على ضعف ذاكرة الشعوب، و يصدق قول شوقي إننا شعب «كل شيء فيه ينسى بعد حين». وهكذا لا يستحون أن يدعوا للأسود وللأبيض، و يتحمسوا لليل والنهار، و ينادوا بالحرية والاستعباد. يحاولون أن يقوموا بالدور الأول في كل مسرحية. لا يهمهم إن كان دورهم هو دور اللصوص أم دور الشرطة. فهو يمثل الدور ولا يقتنع به. يردد الكلمات ولا يعنيها. لسانه يهتف للأحرار وقلبه يهتف للجلادين. وهو قادر أن يهتف للاثنين معا، نصفه مع الحق ونصفه مع الباطل. فاذا انتصر الحق فهو أحد قواده وإذا انتصر الباطل فهو فيلسوف يستطيع أن يغير آراءه و يبدل معتقداته. و يلون آراءه، كما يغير مكياجه و يبدل ألوانه ويخلع ملابس الأمس ليرتدي ثوب اليوم.

وهو قادر أن يندمج في أي دور بنفس الحماس. يلطم خديه وقلبه يزغرد و بعض الناس يحسبه قريبا للميت، وآخرون يظنون أنه أحد الورثة، يهتف للوزير الحالي فتظن أنه أصدق أصدقائه، و يلعن الوزير السابق فيوهمك أنه العدو الوحيد. لا يهمه مبدأ ولا رأي ولا عقيدة. كل ما يهمه أن يمشي في الصف الأول. قبل الحرب يزاحم ليمشي في الصف الأول.. فاذا وقعت المعركة كان أسرع الهاربين، وإذا جاء النصر عاد من جديد إلى الصف الأول لينال نصيبه من الأوسمة والنياشين.

مثل هؤلاء تجدهم في كل مجتمع غير ديمقراطي. يتسلقون على الأقدام إلى أن يصلوا فوق الأكتاف.. بضاعتهم الزلفى، سلاحهم الملق. وسيلتهم مسح الجوخ، وطريقهم النفاق.

لا تروج بضاعتهم إلا في الظلام. في غفلة الحرية. لا يجدون فرصهم الذهبية إلا في الليل عندما يغيب النهار، وتغيب معه القيم والأخلاق..

ولهذا فهم يخاصمون النور، ويخافون النهار، لأن النور يكشفهم والنهار يفضحهم. ولهذا يكرهون الحرية.. لأن الحرية هي الشمس المشرقة!



الزوج الصامت

ماذا تفعل الخطيبة إذا فوجئت بأن الرجل الذي ستتزوجه صامت لا يتكلم. له صوت ولا ينطق به. له لسان ولا يحركه. له فم ولا يفتحه!

هي خريجة من الجامعة تهوى المناقشة وتحب المحاورة وتعشق الكلام، أما زوجها فهو يرى أن السكوت من ذهب، وأن خير الكلام ما قل ودل. وخير من كل هذا أن لا يحدث كلام على الإطلاق!

هل يمكن للمرأة أن تضع أذنها فوق قلب زوجها لتسمع دقات قلبه وتعرف أنه يحبها. وهل دقات القلب تقول شيئا؟ كل امرأة تتمنى أن تسمع من زوجها كلمة أنه يحبها، أو أنه يقدر ما تفعله من أجله، أو أنه أسعد رجل في العالم لأنه تزوجها. ولكنها لا تطيق أن تجد في بيتها جهاز راديو لا ينطق أو تليفزيونا لا ينطق، أو زوجا لا يقول شيئا!

ويحدث كثيرا أن يكون الرجل الصامت خير زوج للزوجة الثرثارة، فاذا كانت المرأة مثلا تتكلم باستمرار والرجل يتكلم بلا انقطاع فالبيت سوف يتحول إلى ضوضاء مستمرة! وكم من الأزواج تمنوا أن يتزوجوا من زوجة بكماء، لا تتحول كل ليلة إلى نائب عام توجه له الأسئلة كمدفع رشاش. وكم من أزواج تمنوا لو أصيبوا بالصمم حتى لا يسمع الواحد منهم تقريع زوجته ونقدها ولومها وعتابها الذي لا ينقطع بالليل ولا بالنهار!

ولهذا فانني لا أنصح الزوجة أن تبحث عن ببغاء لتتزوجه. ولا أنصحها أن تفسخ خطبتها لأن الرجل الذي ستتزوجه يزورها كل يوم، ويجلس ساكتا لا يفتح فمه بكلمة واحدة من ساعة دخوله إلى البيت إلى ساعة خروجه من البيت. قد يكون الرجل خجولا! وكثير من الرجال لا يجدون الكلمات التي يقولونها للمرأة. فيفضلون أن يسكتوا خيرا من أن يخطئوا في التعبير. وكثيرا مايصبح الصمت بلاغة. وأحيانا يمكن أن تتحدث العيون فتقول أشياء تعجز أن تقولها الشفاه!

في إمكان المرأة الذكية أن تعلم الرجل الذي تحبه الكلام، كما تعلم الطفل الصغير النطق، وربما تحتاج المرأة إلى بعض الصبر كما تفعل الأمهات اللاتي يتأخر أطفالهن الصغار في الكلام!

لا أنصحك يا ابنتي أن تفسخي خطبتك مع هذا الخطيب الصامت!

أنصحك بأن تشتري معه جهاز راديو!

عندما تحكم المرأة

يطالبون و يلحون أن تعود المرأة الموظفة إلى البيت! ومع ذلك فانني أتوقع أن يصل عدد الوزيرات في مصر إلى خمس وزيـــرات خلال عشر سنوات.. ويجب الاعتراف بأن الحملة اشتدت في العالم ضد اشتراك المرأة في الحكم، مما يدل على أن أنصار المرأة يتناقصون، وأعداء المرأة يتزايدون. وتخرج المظاهرات الآن في سيلان تطالب بعودة المرأة إلى البيت وذلك لإسقاط مسز باندرنيكا رئيسة الوزراء في الانتخابات.

وكان أحد من انضم إلى أعداء المرأة هو موراجي ديساي رئيس وزراء الهند الجديد، فقد أدلى بتصريح قال فيه ان المرأة يجب أن تبقى بعيدة عن الاشتغال بالسياسة وذكر أن المرأة عندما تصبح شيطانة تضرب الأرقام القياسية التي سجلها الشياطين من الرجال.

وأضاف أنه كان في أول الأمر من أنصار تعيين المرأة رئيسة وزراء إلى أن رأى بعينيه تجربة أنديرا غاندي عندما أصبحت رئيسة وزارة الهند، وعـنـدمـا أصـبـحـت بـانـدرنـيـكـا رئـيـسة وزارة سيرالانكا، وجولدا مائير عندما أصبحت رئيسة وزارة اسرائيل، وهو يتوقع نفس الكارثة عندما تصبح مسز تاتشر زعيمة حزب المحافظين رئيسة الوزارة في انجلترا!.. ومن الغريب أن بعض الرجال في بريطانيا يقولون انهم يرضون بامرأة ملكة عليهم لأنها تملك ولا تحكم!

وقبل ذلك قال شاه ايران إن المرأة عندما تحكم تصبح مفترسة، وكلما زادت السلطات في يدها تضاعفت وحشيتها! وإن المرأة وهي في السلطة تنبت لها مخالب وأنياب!

والذين رأوا زوجة بيرون الثانية عندما انتخبت رئيسة لجمهورية الأرجنتين يقولون إنها كانت قبل أن تحكم امرأة وديعة فأصبحت شرسة! كانت لها ابتسامة فأصبحت لها أنياب. كانت تؤمن بالرحمة فأصبحت تنادي بالعنف. كان عجيبا أن تختفي الأنوثة منها ليطل الجبروت كأن الأنوثة كانت مكياج بودرة وأحمر ورميل، كلما غسلت وجهها بماء السلطان أطل الوحش من داخلها! والذين عاشروا جولدا مائير عندما كانت رئيسة وزارة اسرائيل يتذكرون قول بن جوريون بأنها كانت الرجل الوحيد في وزارته! كانت تشفق على الموظف الكبير بأن تؤنبه، وتقول إنها تكتفي بطرده! وكانت إذا سمعت عن مظاهرة أمرت بقمعها بشدة وعنف وقسوة وكأنها تطلب فنجانا من الشاي، وكانت تتحدث دائما عن الحرب كنزهة إلى أن ذبحتها معركة ٦ أكتوبر! وكثيرون من زعماء إسرائيل يقسمون أنه لن تحكمهم امرأة بعد الآن!

ولكنني لا أوافق أن نحكم هذا الحكم الجماعي على نساء الدنيا لأن أول أربع نساء فشلن في رئاسة الوزارة وفي الحكم.. فلو عرفنا أسماء أول أربعة رجال حكموا العالم لوجدنا أنهم لم يكونوا أحسن من الحاكمات الأربع!

و يبدو أن الرجل يخضع لديكتاتورية المرأة داخل البيت، و يتمرد عليها خارج البيت، وهذه طبيعة الرجل كلما لعن المرأة كان هذا أكبر دليل على أنه يحبها و يهواها و يعشقها ويخاف منها.



أعظم نساء العالم

أعظم نساء العالم هي المرأة التي تقف إلى جانب رجلها في محنته. إذا حطمت الضربات ظهره أصبحت عموده الفقري. إذا أمطرت السماء كانت هي مظلته. إذا تعثرت قدمه كانت هي عصاه.

الحياة ليست كباريه أو حفلة ساهرة تحتاج أن تذهب إليها مع غادة حسناء، إنما هي غابة تحتاج إلى رفيق، يصمد في العواصف، لا يفزع من صراع الوحوش، لا ينهار أمام الأعاصير.

المرأة تبدو في أروع جمالها وهي تصمد، عندما تستطيع أن تبتسم وسط الشدائد، عندما تضيء عود ثقاب في الظلام، عندما تجعل الرجل يشعر أنه ليس وحده حتى لو أحاطت به كل جيوش الطغيان، ولو تخلى عنه كل أصدقائه، ولو تنكر له كل الذين خدمهم وساعدهم ورفعهم، عندما تؤمن به وتجعله يرى الأمل في اليأس والضوء في الظلام والحياة في العدم!

عرفت رجالا هوت على رؤوسهم المطارق ولم يركعوا لأنه كان خلف كل واحد امرأة صامدة، بعض هؤلاء النساء زوجات وبعضهن أمهات وبعضهن حبيبات وبعضهن أخوات. ورأيت كيف تستطيع امرأة بشجاعتها أن تهزم دولة وتقتحم قلعة وتحطم الأسوار، عرفت نساء يمضين ٢٩ يوما من كل شهر باكيات حزينات جائعات، فإذا جاء اليوم الثلاثون، وهو يوم لقاء الواحدة منهن بالرجل الذي تحبه بلعت دموعها، وأخفت شقاءها وراحت تضحك وقلبها يبكي، وأسرعت تقدم لزوجها رطل اللحم الذي طهته له وهي لم تذق اللحم شهرا كاملا!

عرفت سيدة مكثت عشر سنوات دون أن تشتري فستانا واحدا. وعملت خياطة لتستطيع أن توفر المال لشراء طعام لأولاد زوجها..

كل الذين نجحوا في الحياة مدينون لامرأة ما.. قد تكون هي الوحي، وقد تكون هي القلعة، وقد تكون هي الاكسير، وقد تكون هي العذاب.. فبعض الرجال مدينون بما وصلوا إليه لامرأة عذبتهم أو جرحتهم أو حاولت أن تحطمهم فأخرجت أحسن ما فيهم!

أسعد رجل في العالم هو الذي يجد امرأة تحبه بشرط أن تعرف كيف تحبه!

جاء ليذبحني بسكين

جاءوا يقولون لي ان شابا حضر إلى دار «أخبار اليوم» وهو يحمل سكينا كبيرة في يده وقال انه جاء ليذبحني!

وطلبت منهم أن يدعوه إلى مكتبي!

وقالوا لي إنهم انتزعوا منه السكين. وإنه فر هاربا من أيدي رجال الشرطة!

ثم جاءوا لي بعد ذلك يحملون سكينا كبيرة. ولاحظت أن السكين جديدة ونظيفة وسررت أن السيد الفاضل حرص على أن يذبحني بسكين خالية من الميكروبات!

ثم قيل لي إن الشاب قرأ «فكرة» التي كتبتها أمس عن المرأة وكيف أنها تقف إلى جانب رجلها في محنته. وأنها عموده الفقري إذا حطمت الضربات ظهره. وأنها مظلة إذا أمطرت السماء. وأنه جاء «ليكذب» فكرة. و يؤكد أن ما قلته كلام فارغ بدليل أنه كان يتاجر في المخدرات. وحكم عليه بالسجن عشر سنوات. وانتهزت زوجته فرصة غيابه وأحبت رجلا آخر واستولت على كل ثروته وهي عشرة آلاف جنيه! وأنه لم يقصد أن يقتلني وإنما قصد أن يقنعني. وأنه حمل السكين في يده (ليهوش) العمال والموظفين حتى لا يمنعوه من دخول مكتبي!

وشعرت أنني أشفق على هذا الشاب المسكين. فلا شيء يحطم الرجل كما تحطمه خيانة امرأة يحبها.. وكلما كان الحب أكبر والثقة أكبر كان الألم أفدح والعذاب أقسى والجرح أكبر! ولا يمكن لعاشق مخدوع أن يداوي غدر امرأة إلا بامرأة أخرى و بحب آخر. و بعض الناس يفقد ثقته بكل نساء العالم لأن امرأة واحدة غدرت به، تماما كما أنني امتنعت عن أكل المشمش طول حياتي لأنني وجدت مشمشة واحدة معطوبة!

إنني أعذر مثل هذا الشاب إذا كان لم يرتكب جريمة تهريب المخدرات إلا ليحصل على المال ليسعد المرأة التي يحبها. فخسر حريته وخسر سمعته من أجلها. ثم جاءت تستمتع بهذا المال الحرام في حب حرام. مثل هذه المرأة تكون قتلت هذا الشاب أربع مرات. مرة عندما حرضته على الإجرام، ومرة ثانية عندما خانته مع رجل آخر. ومرة ثالثة عندما سرقت ماله. ومرة رابعة عندما أعطت هذا المال لعشيقها الجديد!

ولكن السكين لن تعيد المال المسروق، ولا الزوجة المسروقة، ولا الشرف الضائع، ولا السعادة المحطمة!

الذي سيعيد كل هذا هو حب جديد، ولكن دون مخدرات.



إقفال الكافيتريا

قرأت في جريدة الجمهورية أنه تقرر إغلاق كافتيريا كليتي الآداب والحقوق بجامعة القاهرة نهائيا بعد أن ضبط رجال مكتب الأمن بالجامعة بعض العاملين بها يبيعون المخدرات والحبوب المخدرة للطلبة، وأنه ينتظر إصدار قرار بإلغاء جميع كافتيريات الجامعة!

وعجبت لهذا الخبر، وذكرني بحكاية الزوج الساذج الذي سمع أن زوجته تخونه فوق كنبة في الصالون، وذهب إلى أصدقائه سعيدا مطمئنا لأنه باع الكنبة، وبذلك ضمن إخلاص زوجته إلى الأبد!

فليس إغلاق كافتيريا الكلية هو الوسيلة لمقاومة المخدرات، فيمكن أن تباع المخدرات في المعامل فنغلقها، ثم تباع في المكتبة فنغلقها، ثم تباع في قاعة المحاضرات فنقفل الجامعة بالضبة والمفتاح!

وليست الوسيلة لمنع الجريمة أن يصادر مكان ارتكاب الجريمة، فكثيرا ما سمعنا وقرأنا أن طلبة في الجامعة ضبطوا يسرقون السيارات، وألفوا عصابات لسرقة البيوت، ولم يفكر أحد أن يطالب باقفال الجامعات كلها لأن أفرادا قلائل خرجوا على القانون.

قرارات الاقفال والاغلاق والمصادرة هي وسيلة الضعفاء. أما أساتذة الجامعة فيجب أن يقاوموا انتشار المخدرات والأقراص المخدرة بوسائل علمية. يمكن القاء محاضرات. يمكن وضع بحوث. يمكن نشر دراسات علمية عن آثار المخدرات. يمكن تأليف حرس من الطلبة أنفسهم مهمتهم أن يحافظوا على طهارة الجامعة من هذا الوباء.

عندما كنا طلبة في جامعات أوربا وأمريكا لم تكن الكافتيريا للهو والغزل والعبث. كم من مرات رأينا أساتذة من أكبر أساتذة الجامعة يحضرون إلى الكافتيريا ويجلسون معنا و يتناولون طعامهم معنا، ونجلس حولهم نتسامر ونضحك ونفكر ونسأل..

لقد جاء وقت من الأوقات انتشرت فيه المخدرات في بعض جامعات الخارج ولم يخطر ببال عبقري هناك أن يقاومها باغلاق الكافتيريا أو باقفال نادي الجامعة!

أخشى أن يكون الذين فكروا في إغلاق كافتيرية الجامعة أن يكونوا اشتروا بعض الأقراص المخدرة من عمال بوفية الآداب والحقوق قبل أن يصدروا هذا القرار العجيب!

الشاعر محمود أبو الوفا

التقط المصورون مئات الصور في أمسية شوقي أمير الشعراء، و بينها صور لرئيس الجمهورية وهو يصافح الوزراء والكبراء والنجوم، ووجدت الصحف بين هذه الصور صورة لأنور السادات وهو يعانق رجلا معمما عجوزا مجهولا، وأهملت الصحف هذه الصورة، متوهمة أنها صورة بواب بيت شوقي أو صورة السفرجي القديم! ولكن الشيخ المجهول الذي أهملت الصحف صورته هو الشاعر القديم محمود أبوالوفا الذي كانوا يرشحونه في يوم من الأيام أميرا للشعراء خليفة لشوقي، ثم نسيناه ودفناه وهو على قيد الحياة!

وأمضيت أكثر من ساعتين أستعيد قصة حياته. حياة ولد قطعت ساقه وعمره عشر سنوات، ومكث ست سنوات ملقى على الأرض لا يجد ما يكفيه من طعام. وأمضى وقته في القراءة، وقرأ ذات يوم أبياتا لشاعر اسمه علي علي المغربي في دمياط يقول إن الشاعر هو الذي ينام على الأرض ولا يجد ما يأكله سوى الهواء. وتصور الولد أن شاعر دمياط يصفه، فهرب من بيته يتوكأ على عكاز ومشى على قدميه من المنصورة إلى دمياط. و بحث عن الشاعر فعلم أنه ناظر مدرسة وأخبره أنه جاء خلف كلمات قصيدته وأن أمنيته أن يدخل المعهد الديني في دمياط و يعمل كاتب حسابات في محل تجاري، وحقق له ناظر المدرسة أمنيته فعينه معلم أطفال في مدرسة شمس الفتوح التي يملكها بمرتب قدره أربعون قرشا في الشهر! وأقام الشاعر في غرفة فوق السطوح إيجارها خمسة قروش في الشهر. وكان يأكل مرة واحدة في اليوم، وكان طعامه هو الخبز والجبن الأبيض وكوب شاي وكان يكلفه كل هذا قرش صاغ كل يوم! ونبغ الشاعر في دراسته وجاء أعيان دمياط بأولادهم ليعطيهم دروسا خصوصية. وانهال الخير على أبوالوفا ولكنه استمر على تقشفه وصيامه لا يأكل إلا مرة واحدة في اليوم. ومنحه هذا الزهد قوة غريبة قوت ذاكرته وتألق فكره وابدع في شعره وحصل على الشهادة الابتدائية وجاء إلى القاهرة ليدخل القسم الثانوي، وأنكرته القاهرة! لم يجد الأذرع المفتوحة وإنما وجد الأبواب المغلقة! وعمل سمسار أراض وفشل، ثم فتح فترينة سجاير وفشل، ثم أصبح متعهد حفلات وفشل، ثم فتح محل فول مدمس وفشل!

ولم ييأس! بدأ تجارة غريبة. ينظم قصائد الشعر و يبيعها إلى الذين يريدون أن يشتهروا بأنهم شعراء، وكان يبيع بيت الشعر بخمسة قروش، ثم زاد الإقبال على بضاعته فرفع ثمن بيت الشعر الواحد إلى عشرة قروش! واشتهر شعراء بقصائده، و بقي هو مغمورا مجهولا.

وعندما نشرت الأخبار قصته اهتم الرئيس أنور السادات بأمره، وأوفد إليه وزير الإعلام ووكيل الإعلام ووكيل الثقافة.. ووعده الوزير ببيت يليق به.. و بعد أيام أوفد محافظ القاهرة عددا من كبار موظفي الإسكان ووعدوه ببيت لائق، وطلبوا منه الانتظار أربعة شهور حتى يجدوا له بيتا لائقا في الطابق الأول لأنه يعجز عن الصعود والنزول في شقته في الطابق الثالث!

وكل ما أتمناه أن يكون حظه في بيت المحافظة أحسن من حظه في بيت الشعر الذي كان ينظمه ثم يدعيه شاعر آخر لنفسه!

الشاعر ذو الساق الواحدة لا يستطيع أن يقف طويلا في انتظار الروتين!

هند صادق

عندما أسمع أن شابا مصريا سافر إلى الخارج، وبرز، ولمع، وانطلق، أحس بفخر وسعادة، وأتمنى لو انطلقنا إلى كل ركن في العالم نرفع أعلامنا، ونضع مواهبنا في خدمة الحضارة!

وأحس أن شعبنا يؤيد نظريتي وهي «ضرورة الاستفادة من الكوارث» ولولا الضيق الذي كان فيه لما انطلق وراء الحدود، وتعود بي الذاكرة إلى أيام شبابي عندما كنت أقيم في المفوضية المصرية في واشنطون وكان القانون الأمريكي يعطي للمصريين نسبة للهجرة إلى أمريكا، وكنا نبحث عن شاب مصري واحد يقبل الهجرة إلى أمريكا فلا نجد! وكان الشاب إذا نقل من القاهرة إلى بنها قال «وحياة غربتي»!!

واليوم أسمع في طهران شابة مصرية تشغل منصب رئيسة مصلحة المحافظة على البيئة، وهي مصلحة هامة تتبع مباشرة رئيس الوزراء، وأسمع أن الامبراطورة كلفتها أن تنشيء مدينة على مساحة ٧٠ فدانا لتعرض فيها جميع مدنيات العالم كله.

وعندما ذهب ممدوح سالم إلى ايران أقامت له في بيتها مأدبة حضرها أكبر الشخصيات الإيرانية.

أعرف هذه الشابة منذ أن كانت طفلة، وهي فتاة صغيرة الحجم حادة الذكاء، لها نشاط الكتروني، وهي هند صادق ابنة الدكتور حسن صادق باشا وزير الحربية الأسبق، وقد تخرجت من الجامعة الأمريكية، وسافرت إلى أمريكا وحصلت على الدكتوراه في علم الأجناس من جامعة هارفارد، وهناك أحبت طالبا إيرانيا وتزوجته وذهبت معه إلى طهران ولم تقنع بأن تبقى ست بيت، بل كافحت وعملت حتى أصبحت موظفة كبيرة في إيران!

وهي تجيد الفرنسية والإنجليزية والألمانية والفارسية والعربية أيضا وزوجها الآن مهندس من كبار رجال الأعمال في إيران، ولديها ولد وبنتان توأم استطاعت أن تعلمهم جميعا اللغة العربية!

المرأة المصرية استطاعت أن تحقق نجاحا في أنحاء العالم كالشاب المصري تماما..

ولقد رأيت فتيات مصريات في أمريكا وصلن إلى مناصب الأستاذ في أكبر الجامعات!

لا يمكن حصار النبوغ المصري داخل مصر وحدها.

عبدالوهاب في التليفزيون

الذين سمعوا الموسيقار عبدالوهاب وهو يتحدث في التليفزيون من بضعة أيام، عجبوا كان يتكلم وكأنه يلحن أو كأنه يغني، كانت أفكاره في مستوى ألحانه وأغانيه.. والفكرة الحلوة قد تطرب كالأغنية الحلوة أو النغمة الموسيقية الرائعة. وعندما كان في مصر عدد من الخطباء البلغاء كانت الجماهير تقاطعهم وتهتف (الله.. أعد) (وتاني) وكأنهم يسمعون أعظم المطربين.

وكان عبدالوهاب على حق عندما لاحظ أن إذاعاتنا متشابهة وأنه يجب أن يتكون لكل وحدة منها شخصية مميزة، ولاحظ أيضا انتشار اللغة العامية بين الاذاعات فنحن ننسى أحيانا أن هذه الاذاعات يسمعها الناطقون بالعربية من الخليج إلى المحيط، وهؤلاء لا يفهمون اللهجة الريفية أو الصعيدية في التمثيليات، ويمكن أن تكون في القصة بضع كلمات عامية ولكن مما يؤسف له أن اللغة العربية انحطت في لسان الاذاعة ونظلم المسؤولين عنها إذا حملناهم مسؤولية هذه الجريمة، فالحقيقة أنه كانت في مصر مدرسة تريد القضاء على اللغة العربية كما كانت تريد القضاء على الدين، كما كانت تريد القضاء على التقاليد وقد نذهل إذا عرفنا أن مستوى اللغة العربية في الاذاعة عندما كان يشرف عليها الانجليز كانت أعلى كثيرا من مستواها عندما أشرف عليها بعض المصريين.. وسوف نذهل أكثر إذا علمنا أن المذيعين في محطة لندن وفي محطة صوت أمريكا لا يخطئون في النحو والصرف كما يخطىء بعض المذيعين العرب في بلادنا!

ومسألة أخرى أثارها عبدالوهاب وهي تعيين الفنانيين في وظائف المديرين. إن طبيعة الفنان الكبير تجعله أسوأ مدير. الفنان غير منظم والمدير يجب أن يكون منظما. الفنان انسان له مزاج والمدير هو انسان يتحكم في مزاجه.. الفنان روح والمدير عقل.. الفنان يحلّق والمدير يمشي على الأرض. الفنان حالم والمدير واقعي. ونحن خسرنا كثيرين من الفنانين الممتازين عندما عيناهم مديرين.

لقد كان نجيب الريحاني أعظم فنان مصري وأسوأ مدير في العالم.. وكل فرقة أدارها بنفسه أفلست، ولم يستطع أن يتألق إلا عندما ترك الادارة وتفرغ للتمثيل والتأليف. فالأحلام لا تتفق مع الأرقام. والمدير يهتم بدقات ساعته ليحدد المواعيد و يراقب المواعيد، أما الفنان فلا يهتم إلا بدقات قلبه، فهذه الخفقات هي التي تستخرج أعظم ما فيه من فن وإلهام!

اننا نحتاج دائما إلى آراء وأفكار القدامى في كل ميدان إذا أردنا أن نبحث عن أفكار كبيرة، وأنا دائما أدعو إلى وجود سماع آراء الشباب، وقد شعرت وأنا أسمع عبدالوهاب أنني أسمع آراء شاب في الواحدة والعشرين.

الجاهلات الفاتنات

أشعر بحزن شديد عندما أرى خريجة جامعة وجاهلة في وقت واحد.. ليس في بيتها كتاب سوى دفتر التليفون، وليس في عملها فكر سوى ثرثرة الأندية والصالونات، لا تعرف شيئا عن خطف الشيخ الذهبي وزير الأوقاف السابق، وتعرف كل شيء عن مواعيد حفلات المطرب الفرنسي شارل ازنافور في نادي الجزيرة. لا تقرأ صحف بلادها، وانما تحفظ عن ظهر قلب مجلات الموضة. تجهل كل ما يحدث في العالم من تطورات هائلة، وتعرف اسم آخر عطر وصل إلى شارع الشواربي!

من حسن حظ مصر أن هذا النوع من الفتيات الفارغات التافهات هو أقلية ضئيلة. لا تمثل الفتاة المصرية الجديدة. التي تخرج من بيتها الساعة السادسة صباحا لتذهب إلى المصنع. التي تعمل فيه ٧ ساعات كل يوم لتحصل على أجر بسيط تساهم به في مصاريف البيت. التي تعرف أنها قطعة من صميم أرض الوطن، كل ما يصيب البلد بسوء يصيبها، وكل خير تحققه مصر يسعد قلبها، التي تشارك الناس في متاعبهم وعذابهم اليومي، تصبر ولا تشكو، تعمل ولا تتبرم، لا تلوم أهلها لأنهم فقراء عجزوا عن شراء فستان لها من شارع الشواربي، وانما تشعر بأنها تفخر بهم لأنهم ضحوا من أجلها حتى حصلت على درجة جامعية، التي تساعد الواحدة منهن أمها في كنس البيت ومسحه وفي الطهي قبل أن تذهب إلى الجامعة أوتذهب إلى عملها، التي تلتهم كل كتاب يقع في يدها، لأنها تعلم أن الثقافة تفتن الرجل كما يفتنه الجمال، التي تصنع ثوبها بيدها، لأنها لا تجد أجر الخياطة فتبدو في ثوبها البسيط أكثر روعة من ملكات الأناقة التي تنشر المحلات صورهن في الأفراح والحفلات!

جاءني شاب مصري يقيم في أمريكا، وقال إنه جاء إلى القاهرة خصيصا ليتزوج، بعد أن نجح في عمله وأصبح يملك هناك بيتا وحديقة وسيارتين وهليكوبتر! وانه رأى عددا من الشابات المصريات ليختار منهن عروسا. وفجع عندما رأى أن واحدة منهن تعرف أسماء كل نجوم السينما في هوليوود ولا تعرف اسم كارتر رئيس جمهورية أمريكا، وأن الثانية لم تعرف إذا كانت بنها مدينة في الوجه البحري أم في الوجه القبلي. وأن الثالثة كانت تعتقد أن الهند هى إحدى الدول العربية، وأن الرابعة رفضت أن تسافر إلى أمريكا عندما علمت أنها هى التي ستطهي الطعام في بيتها، وأنه ليس في البيت الأمريكي الآن طباخ وسفرجي وسائق سيارة!

وقلت له إنه أخطأ في العنوان، وإنه يجب أن يذهب إلى عنوان واحدة من الفتيات البطلات المكافحات المجاهدات.

وعجبت أنه خطب فتاة كل مميزاتها أنها تملك شقة وتليفونا، وأنها هى الفتاة التي قالت إن بنها هى مدينة في الوجه القبلي!

وظهر أن الشاب كان يبحث عن شريكة في رأس المال لا عن شريكة في الحياة!

الرياضة أخلاق!

كان فريق مانشستر يونايتد من أكبر فرق كرة القدم في انجلترا. ومنذ أربع سنوات بدأ يهوى، وكاد يهبط من فرق الدوري الأول إلى فرق الدوري الثاني.. واستعان النادي بالممرن العالمي تومي دوشرتي، ووقع معه عقدا بمائة ألف جنيه استرليني، واستطاع الممرن العبقري أن يصل بالنادي إلى البطولة.

وبعد أسبوعين من نجاحه في تحقيق هذه المعجزة اجتمع مجلس إدارة النادي وقرر فصل الممرن العظيم، لا لأنه فشل في مهمته، بل لأنه عشق زوجة أحد مديري الفريق، وأقنعها بالهرب من زوجها، وطلق زوجته وأصبح يعيش مع زوجة صديقه.

ورأى مجلس إدارة النادي أن هذا التصرف لا يتفق مع الخلق الرياضي، وأن الممرن يعطي مثلا سيئا للشباب الذين يدربهم عندما يستغل مكانته و يسرق زوجة رياضي آخر، ولهذا قرروا فصله لأن الرياضة ليست انتصارا في المباريات إنما هي قبل كل شيء أخلاق! وقال رئيس النادي إنه لا يهمه أن يكسب ناديه الكأس أو الدوري، ولكن الذي يهمه أن يحافظ كل عضو فيه على مبادىء الأخلاق.

وفي السنوات الأخيرة غابت الأخلاق عن بعض ميادين الرياضة، ومن أجل الانتصار في المباريات سكتنا على تصرفات كانت في الماضي تكفي لشطب ناد بأكمله لا شطب لاعب واحد! وأصبحنا نسمع في أحسن الأندية أقذر الألفاظ وأحط العبارات، وتركنا الجمهور يعتدي على الحكام واللاعبين يهددون بضرب الحكم..

ومنذ أيام رأيت في التليفزيون مباراة النادي الأهلي مع فريق من ألمانيا الغربية، وكان عدد الذين حضروا المباراة مائة ألف متفرج.

وحدث أن أصاب الفريق الألماني هدفا، ولم يصفق متفرج واحد من المائة ألف! بلغ التعصب بنا أننا سكتنا جميعا وكأنه نزل علينا سهم الله! وكأننا هزمنا أمام الجيش الإسرائيلي في ٥ يونيو!

هذا ليس رياضة، الروح الرياضية هي أن نهتف للعبة الجيدة سواء كانت لنا أو ضدنا، هى أن نشجع الغالب والمغلوب، هى أن نفرق بين المنافسة الرياضية والحرب في ميدان القتال!

وفي استطاعتنا أن نعيد الأخلاق إلى الرياضة يوم نعرف أن الرياضة ليست كؤوسا ولا دوريا ولا أهدافا إنما هى روح رياضية لا تعرف التعصب ولا الأنانية ولا العداء.



لا تنتحري!

طلبت ممرضة شابة مقابلتي لأنها تريد أن تعطيني نصرا صحفيا كبيرا! وقابلتها فقالت إنها بعد ساعة واحدة ستقتل بالرصاص طبيبا شابا ثم تقتل نفسها! وطلبت مني إرسال مصور الجريدة ليتقط الصورة المثيرة وأعطتني عنوان مكان ارتكاب الحادث!

وسألتها عن السبب فقالت إن الطبيب غرر بها ووعدها بالزواج ثم أخلف وعده، وإنها تحبه ولا تستطيع فراقه ولهذا قررت أن تقتله وتموت معه!

قلت لها إن الحب الحقيقي لا يقتل وإنما يحيى، وإن الذي بينك وبين الطبيب ليس حبا وإنما حقد وكراهية، ولنفرض أن الطبيب خضع للتهديد وتزوجك فأي حياة أن يعيش زوج فوق قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي لحظة؟ ولا يوجد في الدنيا شيء اسمه حب بالنبوت، فالحب بالنبوت كالحكم بالنبوت، وقد يخضع الشعب مضطرا لحاكم طاغية، ولكنه في كل لحظة يترقب الفرصة ليوقعه على الأرض!

وذكرتني هذه الشابة بممرضة أخرى زارتني منذ ١٥ سنة وقالت إنها قررت أن تنتحر لنفس السبب، وأقنعتها بأن تبدأ حياة جديدة، وبدأت حياة جديدة فعلا وتزوجت من مهندس أصبح الآن مديرا في شركة كبرى، ولها ثلاث بنات جميلات وولد. أما الطبيب الذي قررت يوما أن تنتحر من أجله فقد تزوج بعد ذلك أربع مرات، ولم تعش زوجة منهن معه أكثر من تسعة شهور!

إننا نصادف في الحياة أحيانا صدمات قاسية تجعلنا في لحظات ضعفنا نتوهم أنها نهاية الدنيا، وأنها أغلقت أبواب الحياة أمامنا.. وبقليل من الصبر سوف نعرف أن هذه الصدمة لم تكن إلا إشارة مرور حمراء في شارع الحياة.. وكل ما علينا أن نفعله أن ننتظر حتى تضاء الإشارة الخضراء ونمضي في طريق الحياة! وسوف نكتشف مع الزمن أن هذه الإشارة الحمراء منعتنا من الاصطدام بكوارث ونكبات، لا نستطيع أن نراها بنظرنا القصير.. وان الله شاء أن يصدمنا لنفيق ولنفتح عيوننا، ولينقذنا من مصيبة محققة!

وطلبت من الممرضة الشابة أن تبدأ من جديد وستكتشف بعد ١٥ سنة أن هذا الشاب الذي خدعها لا يساوي الرصاصة التي أرادت أن تطلقها عليه!

قالت ضاحكة سأعود إليك بعد ١٥ سنة!

قلت لها: لن تجديني يا ابنتي.. ولكن ستجدين أن الحياة جميلة فعلا!



الله لا ينسى المظلوم

كان من أنبغ طلبة كلية الهندسة وصل إلى سنة البكالوريوس وعمره ١٩ سنة. وفجأة قبض عليه، واتهم في قضية سياسية وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة.

كان مسجونا معي في ليمان طرة، وكان لا يكف عن الابتسام. الشدة لم تستطع أن تنزع الابتسامة من شفتيه، ولا تكسير الحجر في الجبل، ولا حمل الصخور على رأسه، ولا العذاب والقهر وسوء المعاملة والجوع والحرمان. فقد كان مؤمنا. وأعطاه الإيمان ابتسامة الصمود!

وحاول أن يحصل على البكالوريوس وهو مسجون منعوه حرموه من كتب الهندسة. حرموه حتى من القرآن! واستمر يبتسم!

وشردوه بين سجون الواحات وقنا وغيرها وبقى إيمانه وبقيت ابتسامته.

وبعد ١٨ سنة في السجن أفرج عنه الرئيس السادات، وبعد ٤ أشهر من خروجه من السجن أراد أن يركب المترو في مصر الجديدة ليقدم الشبكة إلى الخطيبة التي خطبها بعد خروجه من الليمان. ولكنه سقط تحت عجلات المترو لأنه نسى بعد ١٨ سنة في السجن كيف يقفز الإنسان إلى المترو وهو يتحرك. ومر المترو فوق قدميه وأصبح عاجزا عن المشي. ومع ذلك لم يفقد إيمانه، تقدم وهو راقد في المستشفى إلى امتحان البكالوريوس ونجح.

وتصور أن الدنيا تبتسم. ولكنها لم تبتسم طويلا فقد فسخت خطوبته بعد أن أصبح عاجزا عن المشي على قدميه!

وسافر إلى ألمانيا وأجرى هناك عمليات جراحية دقيقة، وفي المستشفى التقى برئيسة ممرضات قسم جراحة العظام. وفتنت الشابة الألمانية بابتسامة الشاب المصري بعد ١٨ سنة في السجن! وقالت له إنها هي الأخرى كانت في سجن لمدة ١٨ سنة. فقد ترهبت ١٨ سنة وطافت الأردن والصين والفاتيكان وعرفت العربية والصينية ثم تركت الرهبنة والتحقت بالمستشفى قبل وصول الشاب المصري بشهر ونصف شهر.. وتزوجا، ورزقا بابنة جميلة، وفوجىء بالسماء تفتح أبوابها وعرضوا عليه ثلاثة مناصب كبيرة في ألمانيا ورفضها. وفضل محمد شاكر خليل أن يعود إلى القاهرة ويبني مصنعا فيها. وينجح المصنع نجاحا كبيرا. وتبتسم له الدنيا بعد ٢٢ سنة من العبوس!

لولا الصدمات المتوالية التي انهالت كالصواعق على رأس شاكر لما وصل إلى ما وصل إليه. لولا إيمانه العجيب بالله لما استطاع أن يمشي هذا الطريق الملىء بالأشواك والمسامير والمطبات والابتسامة فوق شفتيه. ولولا هذه الابتسامة لما استطاع أن يصمد للضربات ولا أن يثبت أمام الصدمات.

وقد يدهش الناس إذا علموا أن كثيرين من المظلومين الذين نسيهم الناس لم ينسهم الله! ألوف من الذين سجنوا ظلما أو هربوا من الطغيان إلى خارج الدولة أصبحوا الآن من كبار رجال الأعمال في العالم يتبوأون مراكز مرموقة في المؤسسات والشركات والجامعات في أوربا وأمريكا، الله هو الذي دفع لهم التعويض...

إذا أحسست أنك مظلوم فلا تبتئس ولا تحزن ابتسم واصمد واعمل وازدد إيمانا.. إن الله يحب أن يرى ابتسامتنا في الشدائد فهي إحدى علامات الإيمان!

نطالب بالنور!

عندما وقعت كارثة نيو يورك بسبب الظلام قبضت الشرطة على ثلاثة آلاف مخرب قاموا بالسلب والنهب وإشعال الحرائق في غيبة النور، وواصلت الشرطة والقضاء الليل والنهار في التحقيق مع المتهمين بأنهم نهبوا ألف مليون دولار في ليلة الرعب!

ولم يكتفوا بالشرطة والقضاء، بل بدأت تحقيقات يقوم بها علماء التربية وعلماء الاجتماع وعلماء النفس، فليس المهم فقط أن نعاقب الجناة، بل الأهم ألا تتكرر الجريمة.. ولهذا يجب أن نعلم ظروفها ودوافعها وعواملها وما خلفها.

واكتشف الباحثون أن أغلب المتهمين من الزنوج والمهاجرين من جزيرة بورتوريكو. وظهر أن في مدينة نيو يورك بطالة بلغت ١٤ في المائة! بل إنه ظهر أن نسبة البطالة بين الزنوج ومهاجري بورتوريكو بلغت ٣٥ في المائة. وتبين أن الظلام هو السبب الأول للنهب. و يبدو أن الإنسان يظهر أحسن ما فيه في النهار وأسوأ ما فيه في الليل، وأن إضاءة الشوارع تخيف اللصوص واطفاء الشوارع يشجع اللصوص على السرقة والمجرمين على ارتكاب الجرائم.. ولم يظهر أن الجهل هو الذي يؤدي إلى الخروج على القانون، فإن أغلب المقبوض عليهم يجيدون القراءة والكتابة.

وطاف محررو ومخبرو محطات التليفزيون على البيوت التي ضبطت فيها المسروقات، وفوجئوا بالذين نهبوا فرحين بما نهبوا، وقالت سيدة زنجية: شعرت أن الله أطفأ النور ونشر الظلام لنأخذ من المحال التجارية كل ما نتمنى أن نحصل عليه ولا نستطيع!

وشعر الذين سألوا هذه الأسئلة وسمعوا هذه الاجابات أن التليفزيون مسؤول إلى حد كبير عن عدم اشمئزاز أسر المجرمين من فكرة الجريمة، فقد رأوا في كل ليلة أفلاما أبطالها لصوص وقتلة ومطاردات عنيفة بين البوليس والمجرمين، كان فيها المجرم يبدو جريئا مقداما مستهترا بكل مبادىء الأخلاق!

ما حدث في ليلة الرعب في نيو يورك ستؤلف عنه عشرات الكتب، وستنتج عنه مئات الأفلام، ولكن أهم ما نستفيد منه أن الشرطة وحدها لا تستطيع أن تحمي الأمن إذا وقف الشعب موقفا سلبيا، وانه لو خرج مائة رجل مدني في نيو يورك ليدافعوا عن مدينتهم ضد الغزاة اللصوص، لما استطاع اللصوص والمخربون والمدمرون أن يسيطروا على أكبر مدينة في العالم مدة ٢٥ ساعة! وهكذا فان أرقى شعوب العالم في حاجة دائما إلى توعية بضرورة احترام القانون ورجال القانون!

يجب أن نستفيد فائدة أكبر وهي أن النور هو خصم الفوضى واللصوصية والنهب والطغيان.. والخارجين على القانون!

ومن أجل هذا نطالب دائما بالنور.. وبمزيد من النور!



أين سيّد؟

أبحث عن رجل اسمه «سيد» ! أطلب رقمه في التليفون فلا يرد . أذهب إلى عنوانه فلا أجده . لا أعرف أين اختفى أو أين ذهب ؟

أنا مدين لهذا الرجل . أريد أن أسدد له بعض الدين الذي في عنقي ، وكلما مضت الأ يام دون أن أسدد الدين أحس بأنه يثقل على كتفي ، كأن أرباحه تتراكم وتتزايد حتى أصبح عاجزا عن السداد !

هذا الرجل المجهول ساعدني في محنتي ، وقف بجانبي عندما كان الوقوف إلى جانب المظلوم هو محاولة انتحار .

كان شجاعا عندما كان الجبن سيد الأخلاق .

وكان وفيا عندما كانت الخيانة سلما تستطيع الصعود عليه فتصل إلى أعلى الدرجات !

وكان أمينا في عصر كانت فيه التجارة الرائجة هي نهب طعام المسحوقين أو سرقة أكفان الموتى !

وكان فقيرا عفيفا ، وكان في امكانه أن يبيعني فيغتني ، وقد كانت لحوم المقهورين وأشباه الموتى والضعفاء هي فاكهة الضباع !

كان يمد يده نحوي ، وهو يعلم أن يدي مغلولة بالسلاسل ، لا تستطيع أن تصافحه ، وكان يخدمني وهو يعرف أن فمي مكمم لا يستطيع أن يشكره ، وكان يعلم أنني أعجز من أن أكافىء شجاعته وجرأته ·وتضحيته فقد كان الظلام مخيما ، وكان الليل طويلا طويلا كأن ليس له آخر، وليس له فجر ولا نهار!

وجاء النور واختفى سيد! ربما قد جاء ليهنئني بالعودة إلى الحياة ، فوجد صف المهنئين طويلا ولم يجد له في موكب الأفراح وزحمة الانتصار مكانا ، وقد تعود ألا يمشي في المواكب وإنما يظهر في الشدائد والأزمات والعواصف والأعاصير!

ربما جاء ليقابلني فرأى البواب ملابسه الرثة وجلابيبه الممزقة فطرده من أمام الباب ، متوهما أنني لا أقابل إلا الكبراء والعظماء !

ولم يعرف البواب الساذج أن سيد هذا كان من أكبر وأعظم الرجال الذين رأيتهم في حياتي !

لأنه وقف بجواري والضربات تنهال على رأسي !

ابحث معي عن سيد!

سوف تجده يقف بجوار مظلوم آخر.

الجرسون دكتور اقتصاد

قالت لي الفتاة الشابة، والدموع تملأ عينيها، إنها تشعر بالخجل والذل والعار، لأنها بعد أن تعلمت وحصلت على الدبلوم لم تجد عملا، واضطرت أن تعمل خادمة لتأكل ولتعطي أمها عشرة جنيهات كل شهر تعيش عليها هي وأشقاؤها الثلاثة! إنها تكنس وتمسح البلاط وتغسل، أصابع يدها تشققت وتشوهت، وهي تخجل أن تقول لزميلاتها في الدراسة إنها تعمل شغالة تبدأ عملها المضني من الساعة السادسة صباحا إلى ما بعد منتصف الليل..

قلت لها إنني أحترم حاملة الدبلوم التي تعمل شغالة.. ألف مرة أكثر من ابنة المليونير العاطلة التي لا عمل لها إلا زيارة بيوت الأزياء والجلوس في الصالونات والتحدث في التليفونات.

عمل الشغالة ليس عارا، وإنما العار أن يعيش الشاب أو الشابة على أهله، وأي عمل شريف لا يخجل، فالعمل شرف والبطالة هي الذل والعار!

وذات مرة كنت أشرب القهوة في مقهى بمدينة برلين وكان الجرسون الذي يقدم لي القهوة وهو ينحني أدبا هو دكتور في الاقتصاد! ولم يشعر بغضاضة أن ينحني أمامي وأنا لا أحمل شهادة الدكتوراة، وشكرني عندما أعطيته بضعة قروش بقشيشا.

وكنت يوما في أحد فنادق باريس وكانت خادمة الغرفة حاملة شهادة الماجستير من باريس، وكانت مخطوبة لأستاذ في كلية الحقوق، ولم يجد هذا الأستاذ عارا أن خطيبته تنظف غرف النزلاء وتمسح الحمامات وتحمل أحذيتهم للتنظيف. وعندما كنت طالبا في الجامعة في أمريكا كان زميلي على مقعد الدراسة من أسرة ديبون أحد أصحاب البلايين في أمريكا، وكان يعمل بعد الدراسة مرمطونا في بوفيه الكلية يغسل الصحون ليحصل على المصروف الذي يمكنه أن يذهب به إلى السينما و يدعو الفتاة التي يحبها لتناول العشاء! ذلك أن الآباء في أمريكا لا يدفعون مصروفا لأولادهم، بل يعمل كل ابن وابنة من سن العاشرة في وقت الفراغ ليحصلوا على المصروف. بعضهم يعمل بائع جرائد و بعضهم يعمل صبي بقال أو صبيا في مطعم أو حاجبا صغيرا في شركة.

وأسرة كيندي تعتبر من أغنى أسر أمريكا، وللرئيس كيندي شقيق هو ادوارد كيندي عضو مجلس الشيوخ، وله ابن صغير اسمه تيدي يبلغ الخامسة عشرة من عمره، وقد أصيب بسرطان العظام في ساقه اليمنى وقطعها الأطباء ليعيش، وقد كان من حق هذا الولد العاجز أن يعتذر بساقه المقطوعة ولا يعمل، وكان في امكان أسرته أن تغمره بالمال كما يشاء، ولكنه يعمل الآن في اجازة الصيف «منادي سيارات» يحرس السيارات في أثناء غياب أصحابها في النزهات البحرية. ولم يقل أحد كيف يحدث هذا الهوان وعم الولد رئيس الجمهورية وأبوه عضو شيوخ وجده أكبر مليونير بل أحس الذين عرفوا النبأ أن هذا الولد سوف يكون له مستقبل كبير، فقد تغلب على عجزه، وكانت ارادته هي الساق الأخرى التي يمشي بها إلى المستقبل.

وسوف يجيء يوم تفاخر فيه هذه الفتاة المتعلمة بأنها بدأت حياتها خادمة، فسوف تصبح العراقة

في العمل، وسوف يصبح «أصل الإنسان» هو العرق الذي بذله لا المال الذي ورثه!

هذه هي لغة المستقبل!

والمساكين هم الذين يتكلمون في المستقبل بلغة الماضي، ولهذا لن يفهمهم أحد ولن يفهموا أحداً.



نريد عدالة راكبة صاروخا!

لماذا يجيء الظلم راكبا فوق صاروخ، ويجيء العدل راكبا سلحفاة؟ وأي عدالة هذه التي تظلمني في دقيقة وتنصفني في ألف سنة! العدل البطيء هو ثلاثة أرباع ظلم، وليس أقسى على النفس من ساعة واحدة في جحيم الظلم والظالمين...

ولماذا لا نفكر في المحاكم الليلية التي نراها في مدينة نيو يورك مثلا ترتكب الجريمة في الصباح أو الظهر أو العصر، ويقدم مرتكبها في نفس الليلة إلى المحكمة، ويقرر القاضي أنه بريء فيطلق سراحه أو يقرر أنه مجرم فيلقى عقابه!

القضايا الصغيرة لا تمكث سنوات أمام المحاكم. لا يلقى الأبرياء في غياهب السجون شهورا بعد شهور إلى أن يحكم ببراءتهم، لا يبقى الحق ضائعا تائها مؤجلا من جلسة إلى جلسة حتى يموت الجاني والمجني عليه من طول الانتظار.

لا يضيع المتقاضون وقتهم ومالهم ويمضون عمرهم على أبواب المحاكم بين تأجيل للاطلاع، وتأجيل لاستدعاء شهود، وتأجيل لتقرير خبير، وتأجيل لمرض المحامي، وتأجيل لبلوغ القاضي سن الستين بعد أن يكون قد بدأ نظر القضية وهو في سن الثلاثين!

لماذا يبقى صاحب الحق تائها ضائعا بين أروقة المحاكم ومكاتب المحامين إذا كان في استطاعة العدالة أن تبت في القضية في نفس الليلة، المحاكم في مصر تقفل أبوابها في الساعة الثانية ظهرا.

إننا لسنا في حاجة إلى بناء دور محاكم جديدة للبت في مئات الآلاف من القضايا المؤجلة، كل ما نفعله هو أن نعين عددا من القضاة الليليين والكتبة الليليين.

لا أعرف لماذا كل شيء في بلادنا يختص بالعدالة بطيء بطيء.. فالقانون الذي يبيح الاستفادة من المستشارين بعد سن الستين لا يزال يتعثر، على الرغم من كل ما نقوله ونسمعه عن الثورة الادارية! ولقد كان من الواجب أن نبدأ الثورة الادارية من القضاء، وننشىء القضاء الليلي فتستيقظ القضايا النائمة، ولا نسمع أن قضية مضى عليها أكثر من عشرين سنة في المحكمة، ولا نسمع عن متهمين يبقون في السجن أكثر من الوقت اللازم لاستعداد المحامي والقاضي لنظر القضية، ولا نقف عاجزين أمام القضايا المتراكمة والحقوق المهضومة..

نريد عدالة سريعة... راكبة على صاروخ!

لا تقل للمظلوم سيجىء لك العدل غدا! إن العدل في الغد معناه ٢٤ ساعة من الظلم ابتداء من اليوم.



الجنة فوق السطوح

يخطىء بعض شباب هذه الأيام عندما يتصورون أن السعادة الزوجية لا تقيم إلا في غرفة نوم وصالون وانتريه! السعادة الزوجية قد ترفض الاقامة في قصر منيف بين الحشم والخدم. وقد تجد الجنة في غرفة صغيرة فوق السطوح!

الشبان الذين يتوهمون أن السعادة الزوجية لا يمكن أن نحتفظ بها داخل فريجيدير ٦ قدم، أو لابد لها من سيارة ننتقل بها ونتمسح بها. أو لابد أن نحتفظ بها في دولاب فاخر من ارتزان. هؤلاء الشبان قد لا يعرفون أن أسعد الأزواج في العالم هم الذين بدأوا من الصفر والذين بنوا عتبهم طوبة طوبة كما تبني العصافير عشها غصنا بعد غصن. أولئك الذين وفروا شهورا طويلة ليشتروا مائدة يأكلون عليها، ووفروا أياما كثيرة ليشتروا مرآة صغيرة، واقتصدوا ولم يذهبوا إلى السينما وحرموا أنفسهم من القيام برحلات يتمنونها ليشتروا سريرا ليناموا عليه بدل المرتبة!

البيت الجاهز لا يجيء بالسعادة، وإنما الذي يصنع السعادة الحقيقية هو المشاركة الحلوة في الخلق والبناء. وشعور العروسين الصغيرين بأن كل شيء في البيت من جهودهما وعرقهما وصبرهما أشبه بشعورهما بطفل صنعه الحب الذي يجمعهما. وهذا هو شعور الوالدين نحو ابن غريب تبنياه، وجاءهما بعد حلاوة المشاركة في البناء!

نسبة السعادة الزوجية بين راكبي السيارات أقل من نسبتها بين الذين يمشون على أقدامهم، وأقل من نسبتها بين الحفاة. ونسبة السعادة في الأكواخ أكثر ألف مرة منها بين سكان القصور فالسعادة الزوجية هي أشبه بقرص من العسل تبنيه نحلتان وكلما زاد الجهد فيه زادت حلاوة الشهد فيه. وكم من زيجات وفرت فيها كل أسباب الراحة والرفاهية كانت أشبه بالبيوت التي يبنيها الأطفال بالرمال على الشاطىء، لا تكاد تهب عليها الأمواج حتى تتهاوى وتذوب. وما أكثر الأمواج والرياح والعواصف التي تهب على بيوت المتزوجين، ولا يصمد لها إلا البيت الذي له جذور من التفاهم والثقة والمحبة والجهد المشترك والتضحية والصبر، والذين يريدون أن يجدوا السعادة الزوجية جاهزة أمامهم كأنها شقة مفروشة، سوف يكتشفون بعد دخولهم الشقة المفروشة، أنها شقة بلا سقف، أو أنها شقة مؤقتة تؤجر يوما بعد يوم لا شقة تعيش العمر كله!

إن بعض الذين بدأوا بغرفة فوق السطوح امتلكوا عمارة في يوم من الأيام!

أما الذين أصروا على أن يبدأوا بامتلاك عمارة فقد انتهوا إلى غرفة فوق السطوح.

صَاحِبُ السَّعادة

الرجل السعيد هو الذي يعمل من أجل التعساء!

ولهذا أشعر بسعادة غارمة عندما أستطيع أن أرسم ابتسامة على شفاه حزينة، أو أن أمسح دمعة من عين باكية، أو أمد يدي إلى إنسان سيىء الحظ وقع على الأرض فأساعده على الوقوف!

وكثيرا ما أشعر بتعاسة لا حد لها عندما أجد نفسي عاجزا عن أن أفعل ما أتمنى أن أفعله. أشعر أنني أتضاءل وأتضاءل أمام ثقة كبيرة وضعها فيّ انسان ضعيف، وتصور أنني قادر أن أدوس على زر فتنفتح له الأبواب المغلقة، فأسدد الديون للمقترض العاجز عن السداد، وأجد الدواء للمريض الذي فشل في علاجه أكبر الأطباء، أو أجد شقة لعشرة تعساء يعيشون في غرفة واحدة، أو أنجح في إدخال طالب لم يحصل على المجموع المطلوب في الثانوية العامة ليدخل كلية طب القاهرة!

وكم تمنيت أن يكون في اصبعي «خاتم» الملك الذي قرأنا عنه في قصة ألف ليلة وليلة، فلا أكاد أدعك الخاتم حتى يخرج لي ملك الجان ليسألني «شبيك لبيك عبدك بين ايديك»!

ولكن للأسف الشديد ليس لي صلة بالجان ولا بالعفاريت. وإنما أنا أحاول بالحب أن أصنع ما اعتاد أن يصنعه العفاريت في القصص والحكايات! و بعض الناس يرفعون من قدري أكثر كثيرا من حقيقتي و يبالغون في قيمة اتصالاتي في البلاد العربية. أنا مثلا لا أعرف شخصا واحدا من رؤساء المصالح والمؤسسات في البلاد العربية لأوصي على تعيين شابات وشبان في هذه البلاد. ولو كان الأمر بيدي لوجدت عملا لكل عاطل، وفتحت بابا أمام كل يائس. وأنا لا أعرف مثلا وأنا جالس في مكتبي الأمكنة الخالية في الشركات والمؤسسات في مصر.. وكثيرون يتصورون أن كلمة مني أشبه بجواز سفر إلى الوظائف الخالية. ياريت! لو كان الأمر كذلك فانني مستعد أن أعطي ألف كلمة لأسعد شابا تعسا أو فتاة حائرة. و بعض الناس يطلبون مني طلبات عجيبة.. طلبت مني سيدة أن أدعو القراء للتبرع لهم بثلاثين ألف جنيه لتدفعها للرجل الذي تحبه حتى يستطيع أن يطلق زوجته و يتزوجها هي! وكل واحد منا يتصور أن مسألته الخاصة ومشكلته الخاصة هي أهم مشكلة ومسألة في العالم. وهذا صحيح، ولكن هذه السيدة قد لا تعرف أن هناك ثلاثة آلاف أسرة يسعد أفراد كل أسرة منها لو حصلت على عشرة جنيهات.

ولكن المسألة نسبية في الحياة. فتاة تكتب لي أنها تريد مائة جنيه في ليلة القدر لتداوي كلبها المريض، وابنة تقول إنها في حاجة إلى عشرين جنيها لتجري عملية لأمها المريضة بالسرطان.. وصاحبة الكلب تكتب خطابها في ثماني صفحات، والابنة الملتاعة تكتب خطابها في بضعة سطور. وكل واحدة منها تتصور أن مشكلتها هي أهم مشكلة في الدنيا! إننا إذا أحببنا الناس نستطيع أن نحل مشاكلهم. إن بعض المشاكل يحتاج إلى كلمة طيبة و بعضها يحتاج إلى شيك بمليون جنيه.. ولو أننا عدنا نحب بعضنا فان كثيرا من مشاكلنا سوف تختفي وتزول!

إذا لم يحب الناس بعضهم بعضا.. تختفي الشمس!

إذا عاد الحب.. عادت الشمس تشرف من
جديد!

وسوف تشرق الشمس.

الحقـود !

كانت متعته أن يغدر بأصدقائه، ولذته أن يتآمر على زملائه، وهوايته أن يغمد الخنجر المسموم في ظهور أصحاب الفضل عليه. فأصبح أكثرهم ثراء، وكان يتيه فرحا إذا طرد أقرانه من وظائفهم، فأصبح الوحيد الذي يشغل منصبا وكلهم بين عاطل ومشرد وجائع. وكان يزهو كبرا إذا نجح في الكيد لمن حوله وزج بهم في السجون والمعتقلات، وأصبح دون سواه الحر الطليق. سعادته في شقاء الآخرين. و بلاغته تتألق إذا كممهم وأخرسهم وأصبح له وحده حق النطق والكلام!..

إذا دعاه صاحب إلى بيته أكل الحقد قلبه وتمنى أن يهدم البيت على من فيه. وإذا رأى الأثاث الفاخر تأمله في حسد وعمل بنفوذه أن يوضع الأثاث تحت الحراسة، ليستمتع وحده ببيت أنيق وأثاث فاخر ثمين. وإذا زار ضيعة جار له تعذب قلبه الأسود ولا يستريح حتى يقنع السلطان بمصادرة الأرض التي يملكها الجار ليكون هو وحده صاحب العزبة الواسعة والحديقة الغناء!

يجد السمو في الهوان بالناس، والسلوى في بلواهم، والفرح في مآتمهم، والضحكة في دموعهم وأنينهم وصراخهم، والعدل في ظلمهم، والأمان في تشريدهم!

كان هو العبقرية الشريرة بجوار الحاكم. إذا أراد الحاكم أن يرحم ألح عليه أن يبطش، وإذا أراد الحاكم أن يعفو ألح عليه أن ينتقم، وإذا كان الحاكم يريد أن يضرب خصمه بالسوط توسط وتشفع حتى يستبدل السوط بالمشنقة والسجن بالإعدام!

رحمته جبروت. وحنانه وحشية. وصداقته غدر. يغدر كما يتنفس. يحب نفسه و يكره الناس. يحترم جهله ويحتقر علمهم. يغدر أولا بأقرب الناس إليه، و يغدر أخيرا بأبعدهم عنه. غدة الحقد في قلبه تفرز بسرعة أكثر كلما رأى رجلا خدمه، أو صديقا وقف بجانبه، أو صاحبا غمره بمعروف. يحقد على الذين أحسنوا إليه أضعاف ما يحقد على الذين يحكمون بالعدل والحرية، جبان مع الذين يحكمون بالبطش والكرباج. جبار مع المتسامحين وفأر أمام الطغاة المتجبرين. فقد السلطان وهو يتمنى أن يجف النيل و يهوى الهرم. يعتبر نصر البلد هزيمته. ومكسبها خسارته، ونجاحها فشله، وتقدمها تأخره، ونجاحها فشله، وتقدمها تأخره، ورخاءها افلاسه، وديموقراطيتها زنزانته، وعدلها ظلمه، و بداية الفجر فيها قمة الظلام له!

لا يطيق أن يرى العيون التي عرفته قزما، قبل أن يتسلق على أكتاف العمالقة. يريد أن يوهم الناس أنه ولد عملاقا، ويحاول أن يخفي عنهم أنه لم يرتفع إلا فوق جثث وأشلاء من خلقوه من العدم.. فلما انتهى عصر الأشلاء والجثث وقف على الأرض فبدأ قصيرا ضئيلا صغيرا.. بحجمه الحقيقي!

كان فصيحا بين الألسنة المقطوعة! وكان منطلقا بين المقيدين في السلاسل والأغلال! وكان عملاقا في عالم من الأقزام!

من هو؟



حاول من جديد

عاد ..عاد مهموما حزينا مهزوما،فشل من جديد أن يجد عملا ، الأ بواب كلها مسدودة، النوافذ كلها مغلقة. لا توجد وظيفة خالية في أي مكان، كل ما حوله ظلام في ظلام.

الانكسار سهل والانتصار صعب، اليأس مريح والصمود مرهق، وبدأ يدق الأ بواب من جديد. والتقى بالفشل مرة أخرى، وطلبت منه أن يحاول مرة أخرى، ونظر نحوي في عجب. ظن أنني مجنون. إذا كان اليائسون هم العقلاء فأنا من أكبر المجانين! قلت له إن الفشل هو بواب يقف على قصر النجاح. يمنع الناس من الدخول.

وكلما كبر القصر تضاعف عدد الحراس والبوابين الذين يجب أن تزيحهم من طريقك لتدخل إلى قصر النجاح. عبطاء هم الذين يفزعون لرؤية البواب الكئيب فيعودون أدراجهم. فلتحاول من جديد! اذهب إلى الباب الخلفي.. تسلق السور. ابحث عن ثغرة في الجدار، ادفع الباب بيدك. عالج قبضة الباب. اضرب على الباب من جديد. كل فشل هو تجربة جديدة. لا ينقص الفشل من قدرك وإنما هو يزيد من رصيد تجاربك. كل صدمة من الخلف يجب أن تدفعك خطوة إلى الأمام. وكل ضربة فوق رأسك يجب أن تجعلك أكثر ثباتا على الأرض. المحن والأ زمات هي مدارس وجامعات ندخل فيها ونتعلم منها، والناجح هو الذي يخرج من الكارثة واقفا على قدميه. ويحاول من جديد. والراسب هو الذي ينهار أمام الضربات. الفرق بين الناجح والفاشل أن الناجح دائما هو الأكثر صبرا والأكثر جلدا والأكثر تصميما واستمرارا، والأكثر تفاؤلا وأملا!

كان صاحبي ضابطا في القوات المسلحة— شهد حرب ٦٧— رأى دبابات العدو وهي تهرس أصدقاءه.. رأى طائرات العدو وهي تحرق جنوده بالنابالم. عاد إلى القاهرة يطالب بمحاكمة من كانوا السبب في هذه الهزيمة. قبضوا عليه وحكموا عليه بالسجن المؤبد. أمضى خمس سنوات في السجن الحربي وليمان طره ومزرعة طره. وفي الزنزانة تعلم كيف يكتب القصة وعشق الأدب. وأفرج عنه السادات وحفيت أقدامه ليجد مكانا في جريدة يكتب بها قصته. ووجد أن موهبته التي ولدت في ظلام السجن لا تستطيع أن تجيء له بطبق فول مدمس! وحمل حقيبته وسافر إلى لندن. وذهب إلى فليت ستريت شارع الصحافة. وجد أبواب الصمت مقفلة في وجهه. باب واحد وجده مفتوحا وهو باب مطعم. عمل جرسونا. انحنى للزبائن ولم ينحن للزمن.. كان يحمل الصحون في النهار ويحمل القلم في الليل. واشتغل مشرفا في فندق مونتريال. واستمريكتب في وقت فراغه. وتقدم بقصته الأ ولى لمحطة إذاعة لندن، فلم تقبل. ولم ييأس. تقدم بالقصة الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة! وبعد تسعة شهور قبلت إذاعة لندن قصة منه!

وأصبح اسمه يتردد كقصاص في اذاعة لندن ولم يعد يحمل الأطباق في مطعم فليت ستريت!

وجاءني صديقي عصام درازيبتسم!

وسألته كم مرة التقى بالفشل؟

قال: مائة مرة!

وفي المرة الواحدة بعد المائة كان النجاح.

سقط والقلم في يده

كان موعده دائما مع «أخبار اليوم» في الصفحة الأولى!

واليوم ألتقي به في الصفحة الأخيرة!

كان يتصل بي في كل ساعات الليل والنهار ليحمل لي آخر خبر.. الضربة الصحفية.. النبأ الذي انتزعه من أفواه الأسود.. التحقيق الذي سيقيم الدنيا و يقعدها.

كان يعشق الصحافة.. حبها يسري في عروقه كالدم.. هواها يملأ عقله وتفكيره.. من أجلها تحمل الضربات والصدمات.. خاض المعارك.. خاصم الأقوياء.. كانت هوايته أن يرفع قلمه ويحارب، وكان أحلى ما فيه أنه يحارب وهويبتسم.. و يتلقى الطعنات وهويضحك!

كان سامي جوهر رئيس قسم الحوادث والأخبار تلميذي.. عرفته وهو شاب مبتدىء، يشق طريقه في الصخور بأظافره.. يستطيع أن يمضي اليوم كله بغير أن يفكر في أن يتناول طعاما أو يستريح.. كان يعتبر العطلة إهانة والاجازة عقابا. كان يدمن الصحافة، ومن أجل هذا العشق تحمل ما لا يتحمله بشر. الحب يحيي ويميت.. وقد مات سامي حبا!

وأجهد نفسه وأجهد قلبه.. وفي الصحافة نحن لا نكتب بأيدينا، وإنما نكتب بنبضات قلوبنا.. الكلمات لا تسطر بالحبر، وإنما تسطرها أنفاس محترقة.. شقاء الصحافة لذيذ.. ومتاعبها مريحة.. وعذابها نشوة.. وآلامها تصنع الأحلام.

وكان سامي صحفيا من قمة رأسه إلى أصابع قدميه.. كل ما في رأسه صحافة، وما في قلبه صحافة. وكانت كل أحلامه تدور حول الصحافة.. وكان يؤمن بالسرعة، وكان أحيانا من فرط حبه للسرعة يصطدم ويخطىء و يواجه المتاعب.. ولكن أجمل ما فيه أنه كان يعترف بالخطأ إذا أخطأ، و يتواضع خفرا وحياء إذا أصاب.. كان يغضب ولا يحقد، وكان يصارح ولا يتوقح.. وكان يحارب ولا ينتقم.

وعندما سجنت كان سامي جوهر أحد تلاميذي الذي استطاع بحكم اتصالاته العديدة أن يتصل بي في السجن، وأن يهرب إلى الأخبار، وأن يهرب لي بعض المستندات التي كنت أتمنى الاطلاع عليها وكانت ممنوعة من الدخول!

وكنت أطلب إليه أن يشتمني في مجالسه حتى لا يلفت إليه الأنظار، وكان يرفض أن يتنكر خلف ستار من العقوق والجحود.. وكان يرسل لي و يقول إنه يفضل المشنقة على أن يطعنني، ولو لينجو من عقوبة الإعدام!

كان شجاعا جريئا..

وكان مثلا يحتذى في الشجاعة والجرأة والإقدام والوفاء..

ألم أقل لكم إن بعض تلاميذي كانوا أساتذة لي!

وسقط سامي والقلم في يده.

جاءته الذبحة الصدرية، وهو جالس على مكتبه في أخبار اليوم.. وقد كانت أمنيته أن يموت والقلم على يده.

كل يوم عطلة!

طاف اثنان من كبار الصحفيين الأجانب بشوارع القاهرة في الساعة الحادية عشرة صباحا وكان يصحبهما أحد وكلاء الوزارات، وسألاه هل اليوم عطلة رسمية؟

قال وكيل الوزارة إن عطلتنا يوم الجمعة!

قال الصحفيان لم نشهد في لندن ولا باريس ولا طوكيو هذا العدد الهائل من الناس يتسكع في الشوارع في ساعات العمل! هل توجد في بلادكم بطالة ضخمة؟

قال وكيل الوزارة: لا يوجد في بلدنا بطالة. إنما الذي يحدث أن هؤلاء جميعا هم موظفون يذهبون إلى عملهم في الصباح و يقيدون أسماءهم في ساعة الحضور، ثم يزوغون، و يعودون إلى عملهم في موعد الانصراف و يسجلون أسماءهم في ساعة الانصراف!

قال الصحفي الأجنبي الكبير: الحل أن تغلقوا أبواب الوزارات والمصالح في ساعة الحضور.. ولا تفتحوا الأبواب إلا في ساعات الانصراف!

وقال الصحفي الأجنبي الثاني: الحل أن لا يخرج موظف من عمله إلا ومعه تصريح مكتوب بساعة انصرافه، وأن تقبض الشرطة على كل موظف في الشارع خرج من عمله بغير تصريح!

وضحك وكيل الوزارة وقال: للأسف ليس عندنا سجون تكفي هذا العدد الهائل من الموظفين «المزوغين»!

وظاهرة «التزويغ» كانت موجودة بين تلاميذ المدارس، ثم انتشرت في السنين الأخيرة بين الموظفين، حتى انه قيل لنا ان بعض النواب يوقعون على ساعة الحضور ثم يزوغون من الجلسات وعندما اقترح البعض اقفال أبواب مجلس الشعب ومنع خروج النواب خشي المهتمون بكرامة المجلس أن يلجأ بعض النواب إلى القفز من السور كما كان يفعل تلاميذ المدارس!

ولا يجوز الاحتجاج بأن عدد الموظفين أصبح أضعاف أضعاف حاجة العمل. ففي إمكان خبراء الادارة أن يدربوا أعمالا جديدة للزائدين عن الحاجة. وهناك بعض مصالح تحتاج إلى موظفين أكثر، وليس العمل في أعمال بسيطة أو صغيرة عارا، وإنما العار أن تقبض مرتبا من أموال الشعب دون أن تؤدي عملا. وهذا يسمونه في بلاد أخرى سرقة.. ويحاكمون الموظف الذي تقاضى أجرا دون أن يؤدي ما يقابله من عمل، ويحاكمون المدير الذي دفع أجرا لموظف لا يعمل.. ولم نسمع حتى الآن عن مدير شجاع يكتب إلى الدولة و يقول لهم ان موظفيه أكثر من حاجته، بل الذي يحدث دائما أن وزارات ومصالح تكتب إلى وزارة المالية تطلب إنشاء درجات جديدة لتعين فيها الأصدقاء والمحاسيب وأقارب الأصدقاء والمحاسيب..

منظر المتسكعين في شوارعنا أثناء ساعات العمل هو إعلان يومي بأننا نسرق مليون جنيه من الشعب كل يوم!

هذا ليس ذنبك!

بعض الناس يحيرونك.. تحبهم فيكرهونك.. تطعمهم فيعضونك.. تخدمهم فيسيئون إليك.. ترميهم بالورود فيلقون عليك الطوب!

هذا ليس ذنبك.. ولا هو ذنب الناس جميعا.. الأغلبية الساحقة من مخلوقات الله طيبة.. الخير يأسرها.. تعطيها الحنان فتعطيك الحب، تحيطها بالاهتمام فتغمرك بالعرفان. إذا قلت لهم السلام عليكم، أجابوا عليك السلام ورحمة الله و بركاته.. خمس كلمات طيبة مقابل كلمتين طيبتين!

وأقلية من المخلوقات من طينة أخرى.. الزهور أنواع.. ورود إذا رششتها بالماء تفتحت وازدهرت وضحكت.. أجابت على الماء فازدادت جمالا و شذى وعطرا. وزهور متوحشة ترشها بالماء، فتنطوي على نفسها، وتضم أوراقها كأنها تتحصن فيها من الماء.. وتلوي عنقها وكأنها تنظر باحتقار وازدراء وكراهية لمن رواها!

والحيوانات أنواع.. نوع تحتضنه فيذوب في صدرك حنانا.. وتربت على شعره فيتحول بين أصابعك في نعومة الحرير. وحيوانات متوحشة تلاعبها فتحاول أن تأكلك. تربت على جلدها فيبرز شعرها كالمسامير، كأنها القنفذ.

والبشر أنواع، نوع أليف، ونوع متوحش، وليس المهم أن تكون الأنياب والمخالب ظاهرة، بل أخطر أنواع الوحوش ما اختفت فيه الأنياب والمخالب، الكلمة الحلوة تثير فيه نوازع الشر والحقد والوحشية والكراهية كأنها ضربة سيف!

وهذه ليست طبيعة البشر، بل هي أقرب إلى طبيعة الأفاعي.. إذا أحطتها بالدفء لدغتك، وإذا أطعمتها قتلتك، ولأنها شريرة فهي تفترض الشر في كل الناس.. ولأنها أنانية فهي تتصور أن الشر يقف في انتظارك خلف كل باب!

هؤلاء الناس نوع من البنوك لا تنفع معهم العملة الصحيحة، بل تروج بينهم العملة المزيفة. العواطف الصادقة يرفضونها.. المحبة المصنوعة يرجون بها.. كلمات النفاق ترضيهم، وكلمة الحق تزعجهم.

وهم أشقياء بأنفسهم. كراهية الناس تجعلهم يشعرون بوحدة مريرة. تترك في قلوبهم نوعا من الربو الأسود، يعكر عليهم حياتهم.. و ينكد أيامهم.. يشعرون بالبرد بين العواطف الدافئة.. إذا أحسوا بالحب انزعجوا وظنوا أنهم تعرضوا لتيار الهواء.

علاج المريض بهذا المرض، هو الزمن، الزمن سوف يعلمهم أن الذي يشك في كل إنسان لا يثق به إنسان.. وأن الذي يتخيل الأعداء الوهميين هو الذي يفقد الأصدقاء الحقيقيين، ويخلق الأعداء الحقيقيين.

وان الفرق الوحيد بين الجنة والنار أن الجنة مليئة بالأصدقاء وأن النار مملوءة بالأعداء، أو من نتوهم أنهم أعداء!

طاوعيني يا بنتي! وتعالى معي إلى الجنة!



أماني ليلة القدر

بدأت تنهال خطابات ليلة القدر. تنهال على (أخبار اليوم)..

هذه الأماني الصغيرة هي أحلام صبايا، وخفقات قلوب، ونبضات أطفال وآمال شيوخ. ما أغربها وما أبسطها، الطمع فيها قليل والجشع دون قليل، وأغلبية الحالمين تحلم بأشياء صغيرة بسيطة. هذه طفلة تطلب عروسة وهذه سيدة تريد سيارة مارسيدس. ما أبسط حلم هذه الطفلة البريئة اليتيمة التي لم تحدد شكل العروسة ولا لونها ولا طولها ولا ثمنها. وما أصعب تحقيق حلم السيدة ذات الأحلام الواسعة التي تشترط أن يكون السيارة المارسيدس لونها أزرق سماوي وفيها بيك اب وراديو، و يظهر أنها أصيبت فجأة بنوبة قناعة وزهد فلم تطلب في السيارة (تليفزيون وتليفون و بانيو!.. وهذا عامل بسيط كل ما يريده شقة من غرفتين في أي حارة أو أي زقاق، وله ١١ ابنا وابنة. وأولاده طلبة الجامعة لا يستطيعون أن يراجعوا دروسهم إلا في ضوء مصابيح الشارع، لأن الغرفة التي يسكنونها أصبحت فرعا لمستشفى الأمراض العقلية! وهذا موظف يطلب من ليلة القدر فيلا! وهولا يجهل ما وصل إليه ثمن الفيلا في الوقت الحاضر لأنه يشترط ألا يقل ثمن الفيلا عن خمسة وعشرين ألف جنيه، وأن يكون لها حديقة، وأن تكون في حي محترم.. ولم يطلب أن تقدم له ليلة القدر السفرجي والطباخ والسواق والبواب!

(أخبار اليوم) كانت تتمنى أن تحقق المستحيلات! أن تعيد الشباب لجدة في السعبين، وأن تنظم رحلة حول العالم لتلميذ في الاعدادية، وأن تجد عريسا لسيدة طلقت سبع مرات وكانت سيئة الحظ مع الأزواج السبعة! وأن تسدد مبلغ خمسة عشر ألف جنيه لموظف اضطر أن يختلس هذا المبلغ من خزانة إحدى الشركات ليسدد ديون القمار..

ولكن الفكرة في ليلة القدر أن تحاول أن تسعد أكبر عدد من الناس. الا تعطي لفرد واحد وتحرم مئات. أن ترسم ابتسامة على شفاه حزينة. أن تضع نقطة ماء في فم يموت من الظمأ. أن تقدم شمعة مضيئة في ظلام إنسان. أن تفتح بابا مقفولا. أن تزرع حلما في مكان كابوس!

كل ما نستطيع أن نفعله هو أشياء بسيطة جدا لأشخاص صغار بسطاء قنوعين طيبين.. تسعدهم مرتبة سرير، كما تسعد غيرهم سيارة رولزرو يس!

لاتضق بالحياة!

إياك أن تضيق بالحياة. إنها لا تقف أبدا. تتغير وتتحرك. لا تقف أبدا على حال. انتظر قليلا. ستجيء الابتسامة بعد العبوس. وسيحل الفرج بعد الضيق. الأبواب المغلقة لا يمكن أن تبقى مغلقة إلى الأبد. ستدفعها بيدك وتنفتح أمامك. ربما تجيء يد مجهولة وتفتح الباب على مصراعيه. ربما يهب ريح فيفتح الباب المقفول. وإلا سيقع زلزال فتنفَتح كل الأبواب!

كل شيء تراه أمامك مؤقت! لا شيء دائم إلا وجه الله. المخلوقات والدول كلها إلى زوال أذكر أنني كتبت ذات يوم من زنزانتي إلى صاحب نفوذ وسلطان أقول له: «تذكر أن العزلا يقف أمام باب واحد إلى الأبد»! وضحك السلطان ساخرا من هذا التحذير ومزق الورقة اربا ورمى بها في سلة المهملات!

ومضت الأيام فوجد نفسه مع الورقة الممزقة في سلة المهملات!

وكم من مرات رأيت فيها الدنيا وهي تضيق وتضيق حتى أصبحت مثل خرم الابرة. ثم إذا بيد الله توسع الخرم الصغير الدقيق، فيدخل منه شعاع بسيط من نور، ثم يتحول بعد ذلك الشعاع إلى ضياء ساطع! كم من مرة تصورت أنها نهاية الدنيا. كم من مرة رأيت الحياة تدير لي ظهرها. ونظرت إلى السماء فاذا بي أرى وجه الدنيا الجميل الذي لم أره على الأرض ثم تحول العسر إلى يسر، والكابوس إلى حلم، والقبح إلى جمال!

وكم من مرة التقيت بالفشل، وتصورت في لحظات ضعف أنه زائر دائم مقيم. ولم أستسلم له ما كدت أقاومه حتى تركني وولى الأدبار. الفشل حيوان مفترس يفتك بمن يستسلم له، ويهرب من الذي يصمد أمامه، ولا يتراجع ولا ينهار!

ولا أدعي أنني كنت دائما أصعد من الهاوية وحدي! كثيرا ما وجدت أيادي ممدودة تمتد نحوي لترفعني من القرار السحيق. بعضها أيد تعرفني. وأكثرها أيد لا أعرفها وهي دائما يد الله. يلهم بعض عباده الخير والحب والتضحية والوفاء فاذا بهم يتحولون إلى فرسان للمروءة وجنود للوفاء وملائكة للرحمة، يمسحون الدموع من العيون، ويضمدون الجروح من الأجساد ويزرعون الأمل في صحراء اليأس، ويجيئون بالنهار في ليل الأيام!.. الدنيا تدور.

أنظر إلى السماء وقل يارب! إن واحدا من هؤلاء الفرسان لابد أن يدق عليك الباب!



عذاب الشعب

لابد من البحث عن طريقة لإراحة الناس. بعض لوائحنا وقوانيننا مقصود بها اتعاب المواطن، والتنكيد على حياته، وجعله يقسم بالطلاق أن لا يعامل الحكومة مرة أخرى بعد الآن! كيف تكون مهمة ادارات الشكاوى في كل مصلحة الدفاع عن الظلم لا رفع الظلم؟!

طريقتنا في معاملة أصحاب المظالم لا تزال طريقة الظالمين لا طريقة المؤمنين بالعدل! كيف أطالب المظلوم أن يضع ورقة تمغة على مظلمته! كيف أصر أن يدفع المتضرر من فاتورة التليفون ثم بعد ذلك يشكو. كيف اعتبر كل مواطن مجرما إلى أن يثبت براءته؟!

وعندما نضع إدارة حكومية للمعاشات مثلا في الطابق السادس نتحول إلى وحوش! ليس من المعقول أن أطلب من شيخ مسن أن يصعد على قدميه كل هذه الطوابق. ليس من المعقول أن أطلب من مريض القلب أن يصعد كل هذه الطوابق لأن المصاعد معطلة! المفروض أن تكون كل إدارات الحكومة التي لها علاقة بالجمهور في الطابق الأول مادامت المصاعد معطلة ومادامت شركات المصاعد ليس لديها قطع الغيار لإعادة هذه المصاعد إلى الحياة!

يذهب المواطن إلى إدارة حكومية عشرين مرة من أجل قضاء طلب يمكن أن ينجز في خمس دقائق، ولكن أنظمة الدولة ومزاج بعض الموظفين يهوى تعذيب المواطن وإذلاله، وإشعاره بأنه تافه لا قيمة لوقته، فيطلب إليه أن يعود غدا، و يعود غدا فيجد الموظف في اجازة، و يعود بعد غد فيجد الموظف مشغولا، و يعود في اليوم العاشر فيقال له اذهب إلى إدارة أخرى في شارع واحد.

لابد من تأليف لجنة عليا تضع نهاية لعذاب الشعب مع الدوائر الحكومية، ولا نطلب من هذه اللجنة أن تلغي اللوائح وتعدل القوانين فهذا يحتاج إلى زمن.. كل المطلوب أن تعود «الإنسانية» إلى بعض المصالح التي لها علاقة بالجمهور. أن يعلم الشعب أنه لا مكان لأي موظف يسيء للجمهور أو يحتقره أو يقول له: تعال بكره.

الفلوس!

أتعس الناس هم الذين يعبدون الفلوس. الذين يتوهمون أن الفلوس قادرة أن تشتري لهم كل شيء، تشتري لهم السعادة والحب والصحة والشباب. ثم يكتشفون بعد ذلك أن السعادة الحقيقية والحب الحقيقي والصحة الكاملة والشباب الحقيقي لا يشترى بالمال. نعم يمكنك أن تشتري من السوق السعادة الفالصو والحب المزيف والصحة الوهمية، ولكن أموال الدنيا كلها تعجز أن تشتري قلبا أو تزرع حبا أو تصنع هناء!

أعرف كثيرين بذلوا شبابهم وصحتهم ليجمعوا الفلوس. ثم عاشوا طول عمرهم ينفقون كل ما كسبوه ليحصلوا على السعادة فحصلوا على الشقاء. أو ليستردوا الشباب فدهمتهم الشيخوخة. أو ليحصلوا على الصحة فهزمهم المرض العضال!

لا أنسى من سنوات طويلة منظر الشاب أنور وجدي الممثل المبتدىء في الفرقة القومية وهو يقول لي إن أمنية حياته هي الفلوس.. فلوس، فلوس، فلوس كثير..!

كان يتوهم أنه بالفلوس يستطيع أن يكون أسعد رجل في العالم لمدة مائة سنة! كان واثقا أنه قادر بالفلوس أن يحقق كل ما يتمناه. أن يجعل الأماني والأحلام والدنيا تسجد صاغرة بين يديه. وبعد عشرين سنة أعطاه الله الفلوس. أضعاف ما تمنى من فلوس. ولكنه أخذ منه الصحة والشباب والأحلام! وقال لي وهو يبكي:

ليتني ما طلبت من الله الفلوس. ليتني طلبت أن أعيش مائة سنة فقيرا آكل الفول المدمس وأتشعبط على سلم الترام حتى لا أدفع التذكرة! ولم يعرف أنور قيمة الصحة إلا عندما فقدها. ولم يكتشف أن الفلوس عاجزة عن أن تشتري له أي شيء إلا عندما أصبح أغنى فنان في مصر وعرف أنه لا يستطيع أن يضيف بكل أمواله يوما واحدا إلى عمره المخطوف!

ورأيت عبدالحليم حافظ وهو يلعب بالذهب. رأيته شقيا تعيسا معذبا محسورا محروما لأنه لايستطيع أن يمد يده إلى طبق الطعمية و يقول لي هامسا «من يعطيني هذه و يأخذ كل أموالي..»!

ورأيت أم كلثوم بعد أن كونت ثروة ضخمة وهي تقول انها مستعدة أن تدفع نصف ما تملك لتأكل بيضة واحدة مرة كل يوم! فقد منعها الأطباء سنوات طويلة من أكل البيض الذي كانت تعشقه وتهواه!

وأذكر دائما أن أم كلثوم كانت تقول لي دائما إن أيام فقرها الشديد في قريتها كانت أسعد أيامها عندما كانت أكبر أمنية في حياتها أن تأكل طبق مهلبية، وإنها كانت تتصور أن الفرق الوحيد بين فقرها المدقع وبين ثراء السلطان فؤاد سلطان مصر في تلك الأيام أن السلطان كان يأكل مهلبية في الصباح ومهلبية في الغداء ومهلبية في العشاء!

وكانت أم كلثوم تتجه بعد عشائها المتواضع إلى السماء وتقول يا رب خذ نصف عمري، واعطني طبق مهلبية!

وأعطاها الله عمرا، وأعطاها رزقا تشتري به ملايين أطباق المهلبية!

ولكنه لم يعطها الصحة لتأكل المهلبية في الصباح والظهر والمساء.

شاب عشق مصر

مكث ٢١ يوما يحاول أن يتصل بي بلا جدوى! تليفون «أخبار اليوم» لا يرد أو مشغول أو عامل التليفون يتركه ينتظر بلا جواب أو السكرتيرة تعتذر لأنني مشغول.. ولم ييأس.. وقابلني ورفض أن يذكر اسمه.. اسمي قارىء فكرة.. ليس لي عنوان!

كان عمره ٢٦ سنة في عام ١٩٦٧ عام الهزيمة.. متخرج من كلية الهندسة.. متزوج من خريجة صحافة.. الدنيا مظلمة.. الأبواب مغلقة.. الوجوه حزينة كئيبة مقهورة.. الناس خائفون ساخطون. أحس بالقرف.. كأنه مسجون في داخل ماسورة مجاري! كل ما يسمعه كذب.. كل ما يقرأه نصب.. كل ما يراه أوهام.. وأباطيل. قال لزوجته لا أستطيع أن أعيش في كل هذا الخداع.. لايوجد شيء حقيقي، انا مهندس اؤمن بالمنطق والحساب.. واحد زائد واحد يساو يان اثنين.. ولكن هنا يساو يان ثلاثة، او يساوى مليونا او يساو يان صفرا! وترك زوجته وعمرها ٢٤ سنة وهاجر..

وقبل اصغر الوظائف.. رضى بالقليل، حتى وصل إلى الكثير.. نجح و برز، ولم يشعر في هذه السنوات العشر بالتعب والارهاق. ما ألذ العمل في جو الحرية. ما أحلى الكفاح في دنيا حقيقية ليس فيها كذب وتضليل وخداع! ولحقت به زوجته بعد شهور وشاركته في الكفاح المرير.. وكلما غاب عن مصر اكثر احس انه يحبها اكثر.. واكثر!.. لم يكرهها لانها كانت مقيدة بالسلاسل.. بل ازداد حبا لها وعشقا.. انها مظلومة مثله ومجني عليها مثله.. وكان يشعر دائما بالشوق اليها والحنين الى ترابها وشمسها ونيلها و ناسها.. وكان يتجه إلى الله وهو في اول طريقه و يقول: يارب! لو وصلت إلى ما اتمناه فسوف اعطى الفقراء والمحرومين في بلدي جزءاً من المال الذي كسبته بعرقي ودمي!

وكسب وحقق امله، وركب طائرة وجاء يقابلني في «اخباراليوم» وروى لي قصته.. وقال انه يريد ان يتبرع بمبلغ متواضع جدا لليلة القدر..

وقدم لي في خفر وحياء شيكا مطوياً. وفتحت الشيك.. فاذا به بمبلغ اثنى عشر الف دولار!

قلت: ارجو ان تخبرني باسمك لاكتب ايصالا لك!

قال: لا اريد ايصالا!

قلت: لا بد من الاتصال.. لابد ان نكتب في الايصال اسما.

قال: اكتب قارىء فكرة!

قلت: كلا.. سأكتب شابا عشق مصر!

لماذا ننام في المكاتب؟

دخل مدير المؤسسة إلى مكتبه فلم يجد أحدا!

لا موظفا ولا عاملا ولا فراشا! ونظر إلى ساعته فوجد أنها ساعة حضور الموظفين! وبعد نصف ساعة بدأ يحضر الموظفون واحدا بعد واحد!

أين كنتم! كنا نائمين! كيف تنامون حتى الآن؟ كنا نتفرج على التليفزيون حتى الساعة الثالثة صباحا!

لا يوجد بلد في العالم يترك التليفزيون يعمل حتى الساعة الثالثة صباحا ثم ينتظر عماله وموظفيه أن يجيئوا إلى مكاتبهم في مواعيد الحضور!

وقد يدهش الناس إذا علموا أن تليفزيون الاذاعة البريطانية ينهي برامجه قبل منتصف الليل!

ولو أن جهاز الاحصاء قام باحصاء في المصانع والمكاتب لاكتشف أن نسبة التأخير في حضور العمال والموظفين زادت زيادة ضخمة بعد دخول التليفزيون، وبعد أن أصبحت التسلية هى الأساس وأصبح العمل هوغير الضروري!

ونحن لا نستطيع أن نتغلب على هذه الأزمة الطاحنة إلا إذا ضاعفنا من العمل والإنتاج، وكيف نستطيع أن ننتج ونحن ننام في الساعة الثالثة صباحا، ونمضي الصباح في مكاتبنا نتثاءب، وننظر إلى الساعة نستعجل موعد الانصراف!

إذا أردنا أن نتحول إلى مجتمع منتج بدلا من مجتمع مستهلك يجب أن نبدل في طريقة حياتنا، فننتهي برامج التليفزيون والاذاعة والمسارح والسينما في الساعة الحادية عشرة مساء.

رحم الله أجدادنا! كان الواحد منهم يصلي الفجر ثم يذهب إلى دكانه يفتحه.. أما الآن فإنك تمر في الشوارع في الساعة العاشرة صباحا وتجد كثيرا من المحلات التجارية والدكاكين مغلقة!

وسوف يكون من نتيجة هذا النظام الجديد أن يستقيظ الذين ينامون في المكتب!

دقت ليلة القدر على الباب

دقت ليلة القدر أمس على الباب!

وسوف تدق اليوم وغدا وطوال الأ يام المقبلة على أبواب كثيرة.

ستحاول أن تضع بعض الابتسامات مكان بعض الدموع. ستحاول أن تضع مرهما على بعض الجروح.. ستحاول أن تسعد بعض الأشقياء التعساء.. ستحاول أن تجيء بالأمل إلى بعض اليائسين. ستحاول أن تضيء بعض الشموع الصغيرة في الظلام الكبير!

وما أقل ما سوف تستطيع أن تفعله ليلة القدر للناس! ولو كان الأمر بيدها لجاءت بسرير لكل نائم على الأ رض.. وجاءت ببدلة لكل عار، وحذاء لكل حاف.. ولوضعت طقم أسنان في فم كل عجوز عاجز عن دفع ثمن طقم الأسنان.. ولاشترت نظارة لكل طالب في حاجة إلى نظارة.. ولسددت ديون كل مدين أثقلت كاهله الديون!

ولكن أمامنا أكثر من مليون طلب في ليلة القدر.. الكثير منها يطلب الضروريات. والقليل جدا منها يطلب السيـــارات والفريجيديرات وأجهزة التكييف!

وقد غمرنا المحسنون بأموالهم.. ولم يحدث في أي عام إقبال على التبرع كما حدث في هذا العام. وهذا يؤيد إيماني بأن الدنيا بخير. إنها مليئة بالناس الطيبين، الذين يحسون بآلام الآخرين، الذين يشعرون بعذابهم و يشاركونهم في دموعهم! وما أكثر عدد المحتاجين والمحرومين والذين يستحقون مساعدة حقيقية في بلادنا. إن كل واحد منا يستطيع أن يقيم لنفسه «ليلة قدر» خاصة به فيساعد طفلا يتيما، أو سيدة فقيرة، أو رب أسرة لا يستطيع أن يكسو أولاده الثمانية في العيد.. إنك وأنت تساعد إنسانا آخر ستشعر بسعادة لم تعرفها طوال حياتك. إذا كنت عجوزا فستحس ببعض الشباب.. إذا كنت مريضا فستحس ببعض الشفاء.. إذا كنت شقيا فسترى في عين من أسعدته أجمل منظر في الدنيا، منظر الشكر والعرفان! إنك لا تسعد واحدا!.. إنك تسعد اثنين.. الذي أعطيته وأنت!

إننا لا نستطيع أن ندق على كل باب!

إن ليلة القدر جاءت إلى مصر عندما جاء النصر والحرية والديمقراطية والعدالة!

وسوف تجيء ليلة القدر بالرخاء إلى مصر. عندما يساهم كل واحد منا فيها بالعمل والتضحية وإنكار الذات!

الصعوبات تصنع الرجال!

عندما ترى الباب مسدودا في وجهك لا تتوهم أن هذه نهاية الدنيا بالنسبة لك!

ربما يكون الباب المسدود هو بداية الدنيا، قد تكون أخطأت وطرقت الباب الصغير، بينما القدر قد أعد لك الباب الكبير، ولهذا لم يشأ أن يفتح لك الباب الصغير لأنه ليس بابك!

تخرج الشاب في كلية الطب في مصر. ثم سافر إلى أمريكا وحصل على نصف دستة من الدرجات العلمية في الطب، ثم على شهادة الدكتوراه. وعاد إلى مصر مزهوا بالمجد العلمي الذي حصل عليه، وتصور أن الجامعات ستفتح له أبوابها وتتلقفه، وفوجىء بهم يعرضون عليه وظيفة طبيب وحدة في شطانوف! وأبرز شهاداته الجامعية الضخمة وقال له المسؤول في سنة ١٩٦١ في الجامعة نحن لا نعترف بشهادات أمريكا! وعاد الشاب المصري محسورا إلى أمريكا، وعمل وكافح وأصبح أعظم طبيب أطفال في الولاية يبلغ دخله السنوي نصف مليون دولار. ويملك قصرا من أجمل قصور أمريكا نزلت فيه أم كلثوم عندما زارت أمريكا قبل وفاتها. وأصبح يملك ٤٠٠ فدان!

ولولا الباب المغلق الذي واجهه لأصبح الدكتور شوقي الآن طبيبا قد الدنيا في مستشفى شبين الكوم يتقاضى خمسين جنيها في الشهر!

وفي أمريكا أيضا الدكتور صلاح مجاهد. كان طبيبا خاصا للملك سعود وجمع ثروة قدرها ٨٠ ألف جنيه وجاء بها إلى مصر واشترى بها اسهما في المصانع المصرية وفي اليوم التالي أممت كل ثروته وثروة زوجته وأصبح لا يملك شيئا، واشتغل طبيبا في مستشفى امبابة في الدرجة الخامسة. ولم يطق أن يعيش في مصر بعد تحديد الآمال! وسافر إلى أمريكا، وبدأ من الصفر، وبعد سنوات أصبح الدكتور صلاح مجاهد من أكبر أطباء الأمراض العصبية في العالم.. وتصدر جامعة بافلد مجلة طبية تختار في كل عام أحسن طبيب في العالم..

وفي هذا العام اختارت الطبيب المصري صلاح مجاهد! وفي مدينة بافلد يوجد معهد من أكبر معاهد الأبحاث في العالم ومن الغريب أن ٤٠ في المائة من أطباء هذا المعهد من المصريين!

وفي كل مدينة أمريكية مثلا تجد بين أشهر الأطباء الدكتور مفيد راغب الطبيب الباطني والدكتور يوسف بشاي طبيب أمراض النساء والدكتور فاروق معوض طبيب أمراض النساء والدكتور رمسيس فهيم الجراح وعبدالكريم شعلان الجراح والدكتور سمير حسن الجراح والدكتور سمير راغب الجراح ثم تجد من أشهر الأطباء امرأة مصرية هي الدكتورة كلير أمون! وكل واحد من هؤلاء مدين بما وصل إليه إلى أبواب كانت مسدودة في وجهه حرمته من أن يكون طبيبا في الدرجة الخامسة، وإذا بهذه الصعوبات والعقبات تدفعه إلى سلالم المجد، ويتحول من طبيب مغمور إلى طبيب عالمي مشهور!

إن الصعوبات لا تقتل الرجال وإنما تصنع الرجال!

والنساء أيضا!



صنعاء أنظف من القاهرة

الذين زاروا مدينة صنعاء عاصمة الجمهورية العربية اليمنية ذهلوا عندما وجدوها أكثر نظافة من مدينة القاهرة!

لا بحيرات من المجاري، ولا أكوام من القمامة، ولا أرصفة محطمة، ولا بقايا أكوام الأسمنت والرمل تمنع المشي على الرصيف!

ولقد أذهلهم أكثر أن المرأة في اليمن خرجت تكنس شوارع العاصمة وتحمل مقشتين في يديها الاثنتين.. لا مقشة واحدة!

أغلب الكناسين في اليمن من النساء، وتكاد تصل نسبتهم إلى ثمانين في المائة. وتبدأ الكناسة عملها في الساعة الثامنة مساء ولا ينتهي عملها إلا عندما ينتهي تنظيف المنطقة المكلفة بها!

وقد بدأ هذا النظام العجيب مع حركة التصحيح بقيادة الرئيس ابراهيم الحمدي وهي حركة التطوير الذاتي التي جعلت الشعب اليمني يشارك الدولة بنفسه في شق الطرق و بناء المستشفيات وغرس الأشجار.

وفي اليمن ظاهرة غريبة يبدأ المواطن اليمني في النزول إلى ميدان العمل ابتداء من سن التاسعة أو العاشرة. والظاهرة الأغرب أنك تجد اليمني موظفا وتلميذا في نفس الوقت وتاجرا مع ذلك أيضا!

وكثيرا ما ترى الوزير بنفسه ينزل إلى السوبر ماركت ويشتري لنفسه اللحم والخضار، دون أن يقوم ساعي الوزارة بهذه المهمة، بل إنك تجد وزير الزراعة مثلا يحمل في سلة اللحم الذي اشتراه من السوق وكيلو الكرات والبصل و يسير به من سوق الصباح إلى شارع الزبيري وهو الشارع الرئيسي في صنعاء!

ويحدث أحيانا أن يقف المقدم محسن اليوسفي وزير الداخلية في وسط أحد ميادين العاصمة لينظم حركة المرور، ويشير بذراعه كأي جندي مرور!

والأغرب من كل هذا أن لديهم عيدا سنويا اسمه عيد الشجرة ،يزرع فيه كل مواطن في كل أول مارس من كل عام شجرة، وهم يزرعون مليون شجرة كل عام! ومن سخرية القدر أننا بدأنا في مصر مشروع زرع الشجرة منذ ٢٥ سنة ونسينا أن نروي الشجر فمات الشجر كله! وجاء مسؤولون بمشروع ذبح الأشجار وأصبحوا يذبحون مليون شجرة في مصر كل عام!!

هناك يزرعون الشجر على قمم الجبال..

ونحن هنا نقلع الشجر في الوادي الجميل.

جيش يغزونا!

عندما نعلم أن جيشا معاديا يستعد لغزو مصر يتقدم الجيش المصري ليدافع عن كل شبر في الأرض التي يريد أن يحتلها العدو.

ونحن الآن نواجه عدة جيوش من الأعداء لا جيشا واحدا. وهي ميكروبات الكوليرا التي أصابت لبنان والأردن وسوريا والسعودية وباكستان.

وواجب كل مصري ومصرية أن يقاوم هذا العدو لتبقى مصر نظيفة من هذا الوباء، وهذا تحد خطير نعتقد أننا قادرون على مواجهته، إذا اعتبرنا أن كل مصري هو قلعة تواجه هذا العدو. وإذا سقطت قلعة واحدة هددت باقي القلاع وتساقطت واستسلمت!

إننا نستطيع أن ننجو من هذا الخطر الفادح إذا علمنا أن في أيدينا وحدنا أن نقاوم وننتصر. وإن ألف وزارة صحة لا تستطيع أن تواجه هذا العدو وحدها. وإن التطعيم مفيد ولكنه ليس أهم من حصن ماجينو الذي حطمه هتلر أو بارليف الذي دمره المصريون.

يجب أن يقوم الشعب باجراء جماعي من أجل منع تسرب وباء الكوليرا بأن يقوم بحملة من أجل النظافة، وأن يرشد جيرانه على أن يضعوا القمامة في أكياس، وأن يمنع أطفاله وأطفال الشارع من أكل الأطعمة المكشوفة، وأن يراقب أي بائع متجول لا يلتزم بالاشتراطات الصحية الواقية وأن نطبق القوانين على كل محل بيع العصير والمثلجات التي لا تتوافر فيها كل أسباب الوقاية، وأن لا نرحم أي مخالف للقانون فنحن إذا رحمنا فردا فإننا بذلك نعرض شعبا بأسره للهلاك. وأن نعلم أن غسل الأيدي قبل الأكل أهم الآن كثيرا من غسل الأيدي بعد الأكل!!

وزير الصحة يقول إن التطعيم ليس ضروريا الآن، ولكن الضروري الآن هو النظافة. هو تغطية الطعام هو ألا نسمح بأي طعام مكشوف يوضع على عربة بائع متجول. هو ألا نترك أكوام القاذورات بغير أن نغطيها أو نحرقها.

مصر الآن تعاني اختناقا ماليا وأزمة اقتصادية. أموالها كلها ذهبت في الحرب. مصانعها مستهلكة. آلاتها تنقصها قطع الغيار.. ولكن مع كل هذا فان شعب مصر يقبل هذا التحدي الجديد، سوف نمنع الكوليرا من اختراق حدودنا وسوف يشعر كل مصري أنه عندما ينفذ تعليمات الصحة إنما هو يدافع عن الشعب كله، لا عن نفسه فقط وأسرته وأولاده!

إن النظافة دائما من الإيمان.. ولكن النظافة اليوم هي الحياة.. حياة شعب بأسره!



صديق رئيس الجمهورية !

كان صديقا حميما لرئيس الجمهورية قبل أن ينتخب رئيسا للجمهورية. بل كان أقرب الأصدقاء إلى قلبه. وكانت الأسرتان تتزاوران. وكان الصديق رئيسا لمجلس أحد البنوك ومن أكبر المساهمين فيها. وعندما رشح كارتر نفسه رئيسا للجمهورية تفاني بيرت لانس رئيس بنك جورجيا الوطني في تأييد المرشح المغمور المجهول. اشترك في الحملة الانتخابية. ساهم في دعمها ماليا. وضع كل كفايته وجهده في خدمة الصديق العزيز. وانتخب كارتر رئيسا للجمهورية وعين صاحبه الحميم وزيرا للميزانية وهو منصب اسمه الرسمي مدير مكتب الادارة والميزانية ولكنه من أكبر المناصب في الوزارة إذ أن هذا الوزير يشطب و يضيف ما يشاء من اعتمادات الوزارات..

وفجأة اتهمت الصحف وزير الميزانية بأنه عندما كان رئيسا للبنك استعمل طائرة البنك في رحلاته الشخصية أو لتوصيل أصدقائه. وما دامت الطائرة لم تستعمل في عمل البنك فيجب أن تخضع للضرائب، ومادام لانس لم يدفع ضريبة عن استعمال الطائرة فهو متهرب من دفع الضرائب. والرجل الذي يتهرب من دفع الضرائب لا يجوز أن يكون وزيرا للميزانية !

وقامت الدنيا وقعدت وطالبت الوزير أن يستقيل ! وثبت أن الأصدقاء الذين استعملوا هذه الطائرة هم كارتر وأسرته قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية. وتضاعفت الحملة على كارتر. وامتدت الاتهامات إلى أن رئيس البنك أقرض أصدقاءه وأقاربه من البنك بغير ضمانات. وقيل ان كل هذه التهم قبل أن يتولى منصبه الحكومي. ولكن الرأي العام أصر على محاسبة وزير الميزانية على كل تصرفاته قبل أن يصبح وزيرا، لأن النزاهة ليست مقصورة على سنوات العمل الرسمي ! واهتزت شعبية الرئيس كارتر، فقد عرف عنه تمسكه بمبادىء الأخلاق. حار بين الوفاء لصديقة و بين المبادىء الجديدة للأخلاق التي أراد أن يدخلها في نظام الحكم الأمريكي. صديقه لم يرتكب جريمة إنما هو خالف أخلاقية البنوك وكثير من البنوك تخالف مبادىء الأخلاق. ولكن الوفاء للبلد والمبادىء أهم ألف مرة من الوفاء للصديق. وفي المناصب الكبرى يجب أن يتجرد شاغلها من عواطف البشر العادية ! صديقه الأول هو الدستور والقانون و بعد هذا الصديق يجيء جميع الأصدقاء، ليس من حقه أن يحابي صديقا وليس من حقه أن ينتقم من عدو. له أن يجامل من يريد بكلمة أو ابتسامة ولكن ليس من حقه أن يجامل من يريد على حساب المصلحة العامة أو القانون.. ووقف الشعب الأمريكي ينتظر ماذا سيفعل كارتر. هل يضحي بأعز صديق له أو يضحي بمبادئه ! .. وقرر كارتر أن يترك للكونجرس الأمريكي أن يحقق و يقرر باعتباره الممثل للشعب..

وسيخسر كارتر صديقا واحدا وسيكسب صداقة الشعب كله !



أسهل طريقة لقتل الأزواج !

هل تريدين أن تكوني أرملة يا سيدتي !!

لا داعي لاستعمال السم. ولا داعي لأن تطلقي الرصاص على زوجك العزيز. ولا داعي لأن تخنقيه أثناء النوم. كل هذه جرائم تؤدي إلى محكمة الجنايات وتوصل إلى السجن المؤبد أو المشنقة!

وإنما هناك طريقة مضمونة مأمونة. لا يمكن إثباتها. ولا تتركين بصمات فيها. ولا يعاقب عليها القانون. وهي تقصف عمر الزوج حتى ولو كان في ريعان الشباب!

يقول كبار أطباء علم النفس: إن «النكد» يمكن أن يفتك بالزوج أكثر مما يفتك به مدفع رشاش. ما عليك إلا أن تنكدي عليه حياته في الصباح والظهر والمساء في كل أيام الأسبوع، وخاصة في أيام الجمع والعطلات والأعياد ضاعفي كميات النكد. و بفضل المواظبة في إعطاء الزوج هذه الأقراص من النكد سوف تحترق أعصابه وتحترق خلايا مخه وتذوب الكرات البيضاء والحمراء في قلبه.. و بعد فترة غير طو يلة يتم الاجهاز على الزوج، ولا يمكن لأعظم الأطباء عندئذ أن ينقذه من عزرائيل!

و يقول الأطباء الخبراء أن الوجه الصبوح الباسم في الصباح يطيل العمر، و يساعد الدورة الدموية، وان ابتسامة الصباح تهدىء الأعصاب وتنشط خلايا المخ وتجدد كل خلايا الجسد، بينما أن التكشيرة هي السلاح السري الذي يحول الزوج الشاب إلى شيخ، و يوقف الدورة الدموية ويجعل الأعصاب تحترق. ومن رأي بعض الخبراء أن تكشيرة الزوجة تستطيع أن تفعل في الرجل ما تفعله مباراة للملاكمة مع محمد على كلاي تنتهي بالجولة القاضية!

ويجري البحث الآن عن ممرضات باسمات ضاحكات تستعين بهن المستشفيات ودور العلاج لإطالة عمر المرضى.. وعندما يلاحظ مستشفى كبير في أمريكا أن ممرضة ما في حالة نفسية سيئة، أو تصادف ظروفا عائلية غير طيبة، ينقلها مؤقتا إلى المخازن أو إلى الأعمال الكتابية، حتى لا يواجه المرضى بوجوه كئيبة حزينة تفسد كل علاج وتضيع أثر كل دواء!

و يتصور العلماء أنه بعد تقدم التكنولوجيا لن يعاقبوا المجرمين بعقوبة الإعدام وإنما سيكتفون بتزويجهم من زوجات عابسات مكشرات ينكدن عليهم في الصباح والمساء!

و يومها ستقوم المظاهرات احتجاجا على وحشية الحكومات لاستعمالها هذا السلاح الوحشي في قتل المجرمين!

دفاع عن هتلر!

هل كان يعرف، أو لا يعرف؟!

هل كان هتلر يعرف المذابح التي ترتكب والمظالم والجرائم التي تقع، أم أنه كان يجهل ما يقوم به أعوانه من طغيان وإرهاب وجبروت.

وقامت قيامة العالم كله بسبب كتاب ألفه المؤرخ الانجليزي ديفيدايرفنج بعنوان «حرب هتلر» أكد فيه أن زعيم الرابخ الثالث وطاغية ألمانيا الأكبر لم يكن يعرف بأمر المذابح التي حدثت في عهده، بدليل أنه لم يعثر على ورقة واحدة فى أوراق هتلر بخطه أو بامضائه يأمر فيها بذبح أحد خصومه أو حرقه حيا أو تعذيبه حتى الموت!

قامت قيامة الكتّاب والمؤرخين والعلماء ضد هذه المحاولة الساذجة لتبرئة أكبر مجرم في التاريخ الحديث. ولو طبقنا هذه القاعدة على نيرون لبرأناه من حرق روما لأنه لا توجد ورقة بخطه يأمر فيها بحرق روما. ولبرأنا الطاغية المجنون هولاكو من حرق المدن وذبح النساء والأطفال لأنه لم يوقع أمرا بارتكاب هذه الجريمة. ولبرأنا السفاح جينكيزخان من المجازر التي ارتكبها لأننا لم نجد على بقايا أصابعه دم الذين قتلهم وخنقهم وفتك بهم من ألوف الأ برياء! بل لبرأنا كل طاغوت وسفاح وكل طاغية وكل دكتاتور من كل جرائمهم لأنه ليس بينهم من ترك خلفه اعترافات تدينه أمام محكمة التاريخ!

وليس هذا بالشيء الجديد، كان من عادة شهود زور التاريخ من محاسيب الطغاة أن يدعوا دائما أن أسيادهم الطغاة كانوا يجهلون كل شيء مما كان يحدث وذلك حتى يبرئوا أنفسهم من مسؤولية الاشتراك في هذه الجرائم النكراء.

ولكن سبير وزير التسليح في عهد هتلر وأحد أقرب الوزراء إليه لا يزال لحسن الحظ على قيد الحياة، وسأله الصحفيون عن ذلك، فقال: إن هتلر كان يعلم تفاصيل كل ما يجري، ولم يكن في ألمانيا كلها مسؤول واحد يستطيع أن يفعل أي شيء بغير موافقة هتلر ومباركته.

ونشرت الصحف فقرة من مذكرات جوبلز وزير دعاية هتلر وأقرب زعماء النازي إليه يقول فيها في إحدى يومياته «تركت الآن الفوهرر بعد أن أعطى موافقته على جميع نقط المذابح»! وقال سبير ان هتلر لم يكن يعطي أوامر كتابية بل كانت أوامره إلى مساعديه شفوية، ولو أن واحدا منهم جرؤ وفعل شيئا بغير أمر هتلر لحدث له ما لا تحمد عقباه!

ومن حسن حظ الطغاة أن الموتى لا يتكلمون!

ولكن من سوء حظهم أن التاريخ لا يموت!

أجر الطبال أكثر من أجر أستاذ الجامعة!

لو كان لي ابن لأنفقت عليه دم قلبي في مدرسة الحضانة والابتدائية والاعدادية والثانوية، ولخربت بيتي في الدروس الخصوصية، ولأصبت بالهستيريا في سنة امتحان الثانوية العامة حتى يحصل على المجموع الملائم. فاذا عبرت به كل الصعوبات والعقبات والامتحان فسوف أدخله كلية الاقتصاد السياسي، وبعد أربع سنوات من الدراسة والدروس الخصوصية سوف يحصل على بكالوريوس الاقتصاد السياسي، وبعد عامين من الانتظار بلا مرتب سيجيء جهاز التعبئة ويعينه في وظيفة «قد الدنيا» بخمسة وعشرين جنيها في الشهر!

وسيشقى ابني عشرين سنة حتى يوفر ثمن شقة وعربية نصر وفريجيدير وتليفزيون ملون.. وعندما يقترب من سن المعاش سوف يستطيع أن يقتصد المهر والشبكة ويتزوج ويعيش في التبات والنبات ويخلف الصبيان والبنات!

وإذا أردت أن أوفر على نفسي هذا المجهود فسوف أعلمه في سنة واحدة كيف يكون طبالا في فرقة موسيقية. فقد علمت أن أجر الطبال الآن هو ١٥ جنيها في الليلة الواحدة! فاذا اشتغلت الراقصة في ثلاث حفلات في ليلة واحدة ارتفع أجره اليومي إلى ٤٥ جنيها، فاذا تواضع وعمل في شارع الهرم يمكن أن يحصل في الليلة من الأجر والنقوط على مائة جنيه!

وهكذا يستطيع ابني الطبال أن يشتري شقة، وربما يبني عمارة وأن يشتري سيارة كاديلاك وعددا من التاكسيات يعمل عليها بعض حاملي بكالوريوس الاقتصاد السياسي في أوقات فراغهم!

أما ابنتي فسوف أعلمها أن تكون مطربة!.. وقد علمت أن المطربة وردة الجزائرية تحصل الآن على مبلغ ٣٥٠٠ جنيه في الليلة الواحدة على أن يدفع صاحب الحفلة الضرائب من جيبه!

وهكذا فان وردة الجزائرية تتقاضى في ليلة واحدة أكثر مما تأخذه مائة من خريجات كلية الطب أو الهندسة في شهر كامل!

وهذه صورة تدل على الخلل الاجتماعي الموجود، ولا عيب أن يتقاضى الفنان ما يشاء، ولكن العيب أن الفن سيعود ويصبح للملوك والأمراء كما كان في عهد القرون الوسطى! ونحن نسمع أن الكرسي وصل الآن إلى أربعين جنيها في حفلة أخيرة لوردة الجزائرية! ونذكر أن أقصى ما وصل إليه الكرسي في أيام أم كلثوم —وما أدراك ما هي أم كلثوم— كان خمسة جنيهات وكان من الممكن أن تسمع أم كلثوم بجنيه واحد!

منذ ٥٠ سنة كان يوسف وهبي وفاطمة رشدي يقيمان حفلات نهارية للطلبة،الدخول فيها بقروش معدودة!

متى نسمع من حفلات تقام للشعب!..

ولكنا نحب الشعب بكلمات الأغاني وحدها!

السباك في عربة مرسيدس!

أرسلت فتاة تحمل بكالوريوس كلية الزراعة في طلب سباك ليصلح السيفون و يضع جلده في الحنفية بدورة المياه في منزلها!

و وقفت في نافذة بيتها تنتظر وصول السباك . وطال انتظارها . ثم وقفت سيارة مرسيدس فخمة أنيقة جديدة . ونزل منها شاب أنيق يرتدي بدلة على آخر طراز. وقميصا حريريا . وفي يده مبسم سيجارة طو يل ، وفي رقبته كرافتة من سولكا .

وفوجئت بالبيك يدق جرس بابها و يطلبها هي بالذات!

وسألته من أنت؟

فقال : أنا السباك!

ولم تصدق حاملة بكالوريوس الزراعة أننا نعيش في عالم جديد، وأنك الآن تستطيع أن تعرف أن كل من يتشعلقون في الاتوبيس و يزاحمون في الترام هم من الموظفين وأن تقول ان كثيرين من ركاب السيارات سباكون ونقاشون ومبيضون وحدادون! وقد سمعت من مقاول بياض أنه كان يدفع ١٦ جنيها في اليوم الواحد أجْرا لعامل البياض في عملية بمدينةالاسكندرية.

وهذا التطور الهام يقتضي من كل أب أن يراجع نفسه وهو يفكر في مستقبل ابنه . فوظائف الحكومة لن تكون في المستقبل إلا للشباب الخاملين والكسالى ومحدودي الآمال والعصر الذي سيولد بالانفتاح سوف يمتلىء بفرص لا حد لها، للعمال الفنيين المدربين، لا في مصر وحدها ، بل في جميع أنحاء العالم والذين يريدون أن يعاروا إلى الخارج في وظائف موظفين في الحكومات يجدون أغلب الأ بواب مسدودة، فكثير من الحكومات أصبحت تفضل أن يكون كل موظفي الحكومة والادارات التابعة لها من مواطني هذه الحكومة، ولكن هناك جنيه ذهب يستطيع أن يدخل كل دولة . و يقتحم كل بلد. ويجد الأ بواب مفتوحة على مصارعها في أنحاء العالم وهو العامل الفني المدرب، ولو كان الأمر بيدي لفتحت على الفور كلية اسمها «كلية السمكرية» ورحبت فيها بحاملي شهـــــادة الثانو ية العامة...

وأراهن أن الإقبال سوف يزداد عليها في العام المقبل كما يتزايد على كلية الطب وكلية الهندسة!

وسوف يجيء يوم غير بعيد يعتذر فيه شاب عن قبول منصب وزير الأ شغال لأنه يكسب أكثر من عمله «كسباك» !

فرص المستقبل أمام الشبان المصريين الأكفاء بلا حدود!

بشرط ألا يبحثوا عن وظائف في الحكومة!



الحب لا يموت

التقى الشاعر العظيم بالأرملة الحسناء. كان عمرها ٣٤ سنة وعمره ٥٦ سنة. ولكن الحب انتصر على فرق العمر وهو ٢٢ سنة! وانتصر على الفرق الاجتماعي بين أعظم شاعر في الاتحاد السوفيتي وامرأة مغمورة!

وانتقلت الأرملة الحسناء بابنتيها إلى كوخ بجوار بيت الشاعر الكبير. وترك الشاعر بيته الفخم وأقام في الكوخ. وحول الحب الكوخ البسيط إلى قصر الأحلام!

ولكن ستالين كان يكره الشاعر لأنه ينادي بالحرية.. والحرية كلمة بذيئة في الاتحاد السوفيتي تخدش الآداب والحياة! وقبض البوليس السري على العاشقة وأودعها السجن وراحوا يعذبونها لتعترف كذبا بأن الشاعر الذي تحبه جاسوس انجليزي.. وهددوها بالقتل والذبح فرفضت أن تشتري حريتها وتبيع الرجل الذي تحبه! وأمضت أربعة أعوام في السجن، وتولى بارسترناك العناية بالأم وابنتيها أثناء سجنها. وعند دخولها السجن كانت حاملا في مولودها من باسترناك، وقالوا لها سنأخذك الآن للرجل الذي تعشقينه وأدخلوها غرفة وأغلقوا الباب، ووجدت نفسها في المشرحة وحولها الجثث في كل مكان، ففزعت وأغمى عليها، وأصيبت بنزيف ومات الجنين في بطنها.

ثم أفرج عنها وعادت للشاعر الذي يحبها. ومات ستالين ولكن السلطات السوفيتية رفضت طبع قصة باسترناك (دكتور زيفاجو).. واستطاع الشاعر أن يهربها إلى الخارج، وطبعت وأحدثت ضجة عالمية، ونال باسترناك جائزة نوبل للسلام.

وجن جنون قادة الحزب الشيوعي لأن القصة كلها مهاجمة للديكتاتورية والطغيان والاستبداد والظلم والإرهاب.. وطلب خروشوف من باسترناك أن يرفض الجائزة. فأبى وهوجم الشاعر بعنف في صحف الحكومة واشتدت الرقابة البوليسية عليه وحذروا أصدقاءه من زيارته، ووضع في الكوخ الذي يعيش فيه مع المرأة التي يحبها ميكروفون لتسمع المخابرات كل كلمة تدور بين العاشقين. وتعود العاشقان أن يعيشا مع الميكروفون. كان الميكروفون هو الرجل الثالث الذي يشاركهما حياتهما حتى في غرفة النوم و يلتقط كل كلمة وكل همسة.

واشتد الضغط والإرهاب والشتائم والسباب وطلبت أولجا من حبيبها أن يخضع للضغوط و يكتب خطابا إلى خروشوف يعتذر فيه عن قبول جائزة نوبل.. ووقع الشاعر الخطاب وندم عليه طوال حياته. ولم يلبث أن مات محسورا، وبعد وفاته قبضوا على العاشقة ووضعوها في السجن ٤ سنوات في معسكرات سيبيريا، عقابا لها على إخلاصها للرجل الذي تحبه! ولكن حبها الذي عاش ١٤ سنة أعطاها قدرة على الصمود والمقاومة والثبات!

لم تنهزم. كتبت قصة حبها مع الشاعر العظيم. وهربتها إلى أمريكا. وستطبع القصة في أمريكا وكل دور أوروبا في شهر فبراير!

وستعرف الدنيا كلها قصة الحب الذي حاربه القهر الشيوعي.

اعشق عملك !

زارني طبيب شاب حصل على بكالوريوس الطب، وسألني ما هي النصيحة التي أوجهها إليه وهو يبدأ حياته العملية لأ ول مرة!

قلت له أن تحب عملك. فبقدر ما تعشق عملك تنبغ فيه.. كل الناجحين الذين سبقوك كانوا عشاقا مدلهين في هوى وغرام مهنتهم.. أما إذا لم تحب عملك فلا تستمر فيه.. اتركه. ابدأ عملا جديدا تهواه.. احذر من أن تبقى في مهنة تكرهها أو تحتقرها أو تشعر أنك مرغم على احترامها.

إذا كان مدير البنك لا يحب عمله فتأكد أن هذا البنك سوف يفلس.. أما إذا أعطى البنك روحه وقلبه وفكره فإنه يستطيع أن يجعل من هذا البنك أعظم بنوك العالم..

لقد رأيت طلعت حرب منشىء بنك مصر يتحدث عن بنك مصر كأنه فتى مراهق يتحدث عن أول حب في حياته.. عيناه تلمعان.. شفتاه ترتعشان.. صوته يختلج.. وكان إذا سمع خبرا طيبا عن البنك اهتز وكأنه يرقص وفرح وكأنه طفل صغير.. وكان يذهب إلى مكتبه في البنك وكأنه ذاهب إلى موعد غرام!

كان أطباؤه ينصحونه بأن يقلل من العمل حرصا على صحته، فكان يرفض نصيحة الأطباء.. وفوجىء الدكتور على ابراهيم باشا الطبيب المشهور بأن صحة طلعت حرب تسوء في الاجازة وتتحسن في مكتبه فنصحه بأن يزيد من ساعات عمله لتتحسن صحته!

واستطاع هذا العشق أن يصنع المعجزات، فيدخل هذا البنك إلى مصر صناعات الغزل والنسيج والطيران والسينما وصيد الأسماك و ينشىء مسرحا ضخما، و يؤلف فرقا مسرحية، و ينشىء أسطولا بحريا يرفع علم مصر لأ ول مرة منذ هزيمة البحرية المصرية أيام محمد علي، واستطاع إنقاذ مئات الألوف من أصحاب الأ رض المصرية من المرابين ومصاصي الدماء، وفتح مئات الألوف من الفرص أمام العمال المصريين.

وذات يوم انقض عليه أعداؤه وأخرجوه من بنك مصر، واتهموه ظلما وعدوانا بأنه يسيء إدارة البنك لأنه رفض نصائح محافظ البنك الأهلي الإنجليزي!

وزرته في حلوان حيث يعتكف هناك.. وقال لي إنني لست متألما لأنهم أخذوا مني البنك. بل لأنهم أخذوا مني حبيبي!

و بعد وقت قليل عرفت أنهم لم يأخذوا حبيبه وإنما أخذوا منه روحه فقد كان عمله هو حياته وغرامه وكل أحلامه!

ومات محسورا!

تماما كما يموت العصفور حزنا في قفصه عندما ينتزع منه رفيقه وأليفه!..

النجاح العظيم هو قصة حب عظيم!..



التوصية شهادة بالعجز!

ضاق بعمله أحس أن كفاءته واستعداده ومواهبه وقدرته أكبر كثيرا من العمل الصغير الذي يتولاه في الحكومة. وجاءني يطلب أن اكتب إلى مدير إحدى شركات الاستثمار الجديدة ليعينه في وظيفة هناك. لقد سمع أنهم يدفعون مرتبات خيالية. سكرتيرة أخذت ٢٥٠ جنيها. مراجع حسابات أخذ ١٨٠ جنيها. متخرج جديد في كلية الآداب عين بمائة وعشرين جنيها!

قلت له إن المديرين الذين يتولون هذه الشركات يريدون أن تربح، ولهذا فهم لا يعينون أصحاب الوساطات والأقارب والمحاسيب، يريدون موظفين يستفيدون منهم. إنهم يدفعون مرتبات ضخمة ويطالبون في مقابلها بجهد ضخم، وهم يصرون في عقود الاستخدام عادة على أن يأخذوا الموظف لمدة شهر على سبيل التجربة فإذا لم يعجبهم رفدوه بغير لجنة ثلاثية ولا بحكم ولا التجاء إلى القضاء. وإذا أعجبوا بموظف جددوا له ثلاثة أشهر ثم تعاقدوا معه لمدة عام واحد! هذه الشركات تريد أن تستفيد من كل جنيه تدفعه لموظف عشرة جنيهات، فليست هي تكايا، ولا يمكن فيها لموظف أن يوقع على الساعة ويزوغ ثم يعود ساعة الانصراف ليوقع على الساعة من جديد! هذه شركات أغلبها يعمل في الصباح والمساء! بعض الموظفون يعملون في مكاتبهم حتى منتصف الليل، فاذا تبرم الموظف قالوا إنه لا يصلح إلا لوظيفة حكومية وشكروه وأوصلوه باحترام شديد إلى الباب الخارجي!

قال لي مدير أجنبي لإحدى الشركات الكبرى إنه أجرى امتحانا لإحدى الوظائف فنال شاب أعلى درجات الامتحان، ولكنه لم يعينه في الوظيفة لأنه وجد أنه كتب في طلب استخدامه أنه يعول أسرة من ثمانية أشخاص!

وعجبت أن يكون هذا السبب مبررا لتخطيه فقال لي المدير إن مثل هذا الشاب سيمضي ثلاثة أرباع وقته قلقا مهموما يفكر كيف يستطيع بمرتبه أن يطعم هؤلاء الثمانية — نحن نريد موظفا يعطينا وقته كله — أما الموظف المرتبك ماليا فيضر العمل أكثر مما يفيد. وشركتنا ليست ملجأ خيريا للمساكين والفقراء واليتامى والأرامل إنما هي شركة للعمل، كل من فيها يعيش ٨ ساعات لعمله فقط! وهذا هو الفرق بين العمل في بلادنا والعمل في الخارج. نحن نفكر بعواطفنا وهم يفكرون بعقولهم. نحن نحب بقلوبنا، وهم يحبون بمصلحتهم، نحن نعتبر مرتب الوظيفة حقا يتقاضاه الموظف حتى ولم يؤد أي عمل، وهم يعتبرون العمل هو شرط الحصول على المرتب، فمن لا يعمل لا يقبض، ومن ينقص عمله ينقص دخله، نحن نعتبر كارت التوصية ضرورة مع تقديم طلب الاستخدام أهم كثيرا من الشهادة الجامعية، وهم يعتبرون أن التوصية هي شهادة بالعجز، ودليل أنك لا تستطيع.. أن تقف على قدميك فجئت بعكاز تستند إليه..

فاذا أردنا وظائف متخلفة يجب أن نفكر بعقلية مختلفة.. متخلفة جدا!

وبعد أن انتهيت من هذه المحاضرة!

عاد الشاب يستحلفني أن أكتب له كارت توصية!

أخطائي!

اعتدت في كل ليلة أن أراجع نفسي قبل أن أنام. أحصي أخطائي وحماقاتي. وأكذب عليك إذا قلت لك انني رجل بلا أخطاء ولا حماقات. كثيرا ما ألوم نفسي لأنني غضبت. كنت أفضل لوأنني كتمت غيظي وتحكمت في أعصابي. وحاولت أن أعالج خطأ غيري بابتسامة. فاذا بالابتسامة تضيع من فوق شفتي وتحل مكانها كلمة ساخرة مؤلمة!

كم تمنيت لو كان قلبي أكبر مما هو حتى يتسع لمن أساء إليّ. وكم وددت لو كان صدري أوسع مما هو ليتقبل الأخطاء الكبيرة والأخطاء الصغيرة بغير أن أجرح حتى من جرحني. ولكن عيبي أنني بشر. أفرح أحيانا كما يفرح الأطفال. أبكي أحيانا كما تبكي الثكالى! ينزف قلبي من جروح الناس. وأحس بآلامهم وعذابهم وكأنها آلامي وعذابي، ثم أعيش مهموما لعجزي أن أضمد جرحا. أو أن أبرىء مرضا، أو أن أخفف ألما! و يؤنبني ضميري لأنني أخشى أن أكون خدعت الناس وأوهمهم أنني قوي وفي حقيقتي أنني ضعيف، وأنني قادر وأنا عاجز، وأنني صاحب سلطان وأنا مجرد من أي نفوذ وسلطان!

وأراجع نفسي لأحصي أخطائي طول حياتي فأجد أنها كثيرة جدا! كم من مرة وثقت بأشخاص وغدروا بي ولا أريد أن أتعلم من هذه الدروس، فلذتي الكبرى في الحياة أن أثق بالناس، وأن أؤمن بهم، وألا أحملهم جميعا مسؤولية بضعة أفراد غادرين!. وكم من مرات توسمت الخير في اناس ووجدت فيهم الشر، فلم أكره الخير بل زدت عشقا فيه، ولم أحمل الخير مسؤولية ما جرى لي، وإنما حملت نفسي مسؤولية سوء الاختيار.

ولقد كان سوء تربيتي سببا في شقائي وخيبة أملي في بعض الأحيان، فقد تعلمت في المحيط الذي تربيت فيه بأنك إذا خدمت إنسانا خدمك إذا كان عارفا بالجميل، ونسى خدماتك إذا كان ناكرا للجميل. ثم التقيت بأفراد كلما خدمتهم أساءوا إليك، وكلما رفعتهم فوق رأسك داسوا على رأسك بأقدامهم! ومن حسن حظي إن هذا النوع من المخلوقات قليل، فالأغلبية العظمى من الناس طيبون، يعطون أكثر مما يأخذون، يجتمعون حولك وقت الشدة و ينفضون عنك وقت الرخاء! وفي بعض الأحيان ينكسر قلبي من النكران، ثم لا ألبث أن تلتئم جراح قلبي عندما أرى البراءة والطيبة والحب والتسامح في عيون الملايين!

ومن أخطائي أنني كثيرا ما رميت الحبوب في أرض جدباء! ولكن عمري لم أندم على الحبوب التي نثرتها ولا لمت الأ رض التي لم تتجاوب معي! كنت ألوم نفسي فقد أكون أنا الذي أخطأت لأنني لم أقم بري الحبوب، حتى تنبت وتكبر وتثمر. ربما أنا الذي لم أتعهدها بالعناية فذوت وذبلت وماتت في الأ رض نتيجة الإهمال!

إنها أخطائي أنا... وليست أخطاء الأ رض الجدباء!

إنها تحتاج إلى مراجع حسابات!



العرب في أمريكا الجنوبية !

كان عمره ١٩ سنة عندما أغلقت الدنيا كل أبوابها في وجهه، واشتد حوله الظلام الدامس المخيف. ولم يبق له إلا إيمانه، وهذا الإيمان هو عود الثقاب الوحيد الذي أضاء في هذا الظلام!

ولم يكن الشاب محمد مراد يملك ثمن تذكرة السفر على الباخرة من بيروت إلى البرازيل! سافر على سطح المركب وعمل بائعا متجولا لمدة عامين في مدينة سان باولو. مكث عامين يجوب الشوارع يحمل الخرج على كتفيه، و يعرض القماش على البيوت. يطرق ألف باب فتفتح له ثلاثة أبواب! وتعلم اللغة وكون رأس مال صغير جدا فتح به دكانا صغيرا لبيع القماش، ثم فتح مصنعا صغيرا للغزل فيه نولان فقط، واليوم أصبح صاحب أكبر مصنع غزل في البرازيل ورأس مال مصنعه ٤٠ مليون دولار! ولم ينس وطنه فأنشأ مصنعا للسجاد في بيروت رأس ماله ١٠ ملايين دولار. وقال لي إنه يفكر في أن يقوم بعمل في المنطقة الحرة ببورسعيد، وهو حائر بين أن ينشيء فندقا أو ينشيء مصنعا في المنطقة!

واسكندر هالاس أحد وزراء شيلي الكبار هو ابن مهاجر في الأردن تركها معدما فقيرا عام ١٩١٣ وهاجر إلى شيلي و بدأ بائعا متجولا ثم أقام مصنعا، وأفلس المصنع ولكنه ترك ثروة غريبة وهي أولاده الذين علمهم، وعائلة تتكون الآن من ٣٠ فردا معظمهم من أساتذة الجامعات ومنهم اسكندر هذا وقد أصبح وزيرا في شيلي وعمره ٢٩ سنة وسفيرا وعمره ٣٢ سنة.

وزارني الإثنان أمس — محمد واسكندر — ومعهما عدد من كبار رجال الأعمال العرب في أمريكا الجنوبية.. وعلمت منهم أن عربيا مرشح لرياسة جمهورية كولومبيا، وأن في برلمان البرازيل ٨٠ نائبا من أصل عربي، وأن في شيلي أكبر ناد فلسطيني في العالم لكرة القدم، وأن هذا النادي العربي نال الدوري في أمريكا اللاتينية!

وقالوا لي إن الجالية العربية في جمهورية شيلي تملك أكثر مصانع الغزل والنسيج في هذه البلاد، و وصل بعض رجالها إلى الوزارة، ومن بينهم وزير الاقتصاد!

ودهشت عندما علمت أن أغلب البنوك الآن في أمريكا الجنوبية يملكها مواطنون من أصل عربي، وأن عدد العرب في البرازيل الآن ٥ ملايين عربي، أي ان عددهم أكثر من سكان كثير من الدول العربية! وفي البرازيل الآن ٥ مجلات أسبوعية تصدر باللغة العربية.

كلما رأيت عربيا ناجحا خارج الحدود أشعر بأن علما عربيا يرفرف خارج بلادنا. أزهو وأعتز به، وأتمنى لو أن شبابنا عرف أن المخاطرة والمغامرة هي التي تشق الطريق إلى النجاح!

كل واحد من هؤلاء بدأ من الصفر... ثم أصبح على يمينه ستة أصفار تكون المليون دولار!

أما الذين قنعوا بوظائف الحكومة فقد عاشوا وماتوا والأصفار على يسارهم!!



شيء غريب !

شيء غريب !

لا يكاد الشاب المصري يخرج إلى خارج الحدود حتى تظهر مواهبه و يلمع ذكاؤه وتشع كفاءته ! كأن الواحد منا أشبه بالكرة المطاط لا يرتفع إلى أعلى إلا إذا رموها على الأ رض بعنف. وكلما ارتطمت بالأرض بقوة كان انطلاقها بقوة !

سافر صديقي شوكت التوني المحامي إلى أمريكا، وفي مدينة شيكاغو التقي بمعلم مصري الزامي من أبنوب، في قرية مهجورة على سفح الجبل هناك. ترك المدرسة الالزامية وأبنوب وأسيوط ومصر وهاجر إلى أمريكا منذ أربع سنوات. واشتغل عاملا. عمل في كل شيء. عامل بناء وساعيا في محل تجاري وخادما في مطعم ! وأصبح الآن يتقاضى مرتبا ضخما مكنه من أن يشتري سيارة فاخرة ومسكنا في شقة أنيقة، و يقيم مأدبة كبيرة لشوكت وزوجته وابنه في مطعم من أكبر مطاعم المدينة ! ومشكلة معلم أبنوب الوحيدة أنه أعزب و يرفض أن يتزوج أمريكية، ولا يطيق تحرر الأمريكيات فهو صعيدي متمسك بتقاليد الصعيد ولهذا يصر على أن يتزوج فتاة من أبنوب !

والتقى هناك بطه الغوابي خريج كلية التجارة الذي وصل بعد ست سنوات من الكفاح الشاق والعمل المتواصل إلى أن يصبح شريكا في مكتب من أكبر مكاتب المحاسبة في شيكاغو، ودخله ٢٠٠ ألف دولار في السنة !

وفي ديترو يت التقى بعصام أسعد لطفي وهو مدرس تربية بدنية في مصر، هاجر إلى أمريكا و بدأ صغيرا ثم شق طريقه وفتح ناديا رياضيا من أكبر أندية المدينة، وأصبح شريكا لعدد من كبار رجال البنوك !

وفوجىء بأن المدير العام في شركة فورد مصري، متزوج من ابنة عبدالقادر الابياري المحاسب المعروف. وإن هذا الشاب حصل على بكالوريوس الهندسة، واستطاع في سبع سنوات أن يشق طريقه إلى أكبر شركات السيارات في العالم..

ووجد هناك ابن شقيقة حسين التوني.. كان وهو في مصر يكره العمل ويحب السهر.. عمل موظفا في شركة السكر مدة ٩ أشهر منها ٦٥ يوما اجازة بغير مرتب غير أيام العطلة الأسبوعية والاجازات الرسمية ! ثم سافر إلى أمريكا وإذا بجو العمل هناك يغيره و يبدله. و يلتحق بالجامعة ويحصل على الماجستير، ثم يعمل في شركة تأمين و يلف على البيوت والمصانع وتحفى قدماه حتى أصبح أكبر منتج فيها، ثم اشترك في أعمال اقتصادية كبيرة، وهو اليوم يدرس إقامة فندق في القاهرة بعشرين مليون دولار !

الشاب المصري لا ينقصه الذكاء ولا الكفاءة.. كل ما ينقصه هو الفرصة.. ولكن الفرصة لا تجيء إليك.. أنت الذي تذهب إليها !

لا تيأس من الغد. عملك وجهدك وكفاحك هو السماء التي تمطر ذهبا !

لا تجلس في مكانك.. تحرك يا بني !

حركة الكشافة !

هل تبعث حركة الكشافة من جديد؟

كانت في بلادنا حركة كشافة عظيمة. فرق كشافة في المدارس والمصانع.. فرق الزهرات الصغيرات والمرشدات .. وكنا نتعلم في فرقة الكشافة الفروسية.. و يربوننا على الصبر والتحمل وروح الجماعة، و يغرسون فينا كثيرا من الفضائل النبيلة.

ونحن الآن في حاجة إلى هذه الفضائل من جديد! كان الواحد منا يحرص على راحة جاره، ولكننا الآن نحرص على رفع صوت الراديو لنزعج الجيران.. كانوا يعلموننا التعاون، فأصبح الواحد منا يفكر في نفسه فقط.. كانوا يأخذوننا لنبيت في خيمة في الصحراء، وأصبحنا الآن نغضب إذا لم نجد السرير.. كنا نمشي على أقدامنا من القاهرة إلى حلوان ذهابا وإيابا، والآن نريد أن نركب سيارة بدلا من أن نمشي بضع خطوات!

نحن نريد تيارا فكريا جديدا يعيد إلى نفوسنا الخلق المصري الأصيل. نساعد الضعيف..

نقف بجوار المظلوم.. نعطف على المقهور. نساعد الصديق. نرحم المهزوم. نعيد رابطة الأسرة. كل هذه أمور كنا نتعلمها في فرق الكشافة ولم تكن جديدة علينا، بل كانت هي ثابتة كالجذور العميقة في قرانا وفي الحواري وفي الأزقة، فكانت الشهامة فضيلة ولم تكن حماقة.. وكانت الشجاعة قوة ولم تكن جنونا، وكانت المروءة قاعدة لم تكن استثناء.. وكانت في كل فرقة عدة أسر، كل أسرة تحب بعضها كأنها أسرة حقيقية. إذا أصيب فرد منها اندفع باقي أفرادها للوقوف إلى جانبه. وكانوا يعلموننا الإسعاف! ولم يكن الإسعاف هوتضميد الجروح وحدها، بل كان الإسعاف أن نضمد جروح النفوس والقلوب! وكانت ملابسنا البسيطة الموحدة تعطينا شعورا بالمساواة..

هذا البلد سوف يعود إلى أصالته وإلى أجمل ما فيه، بعودة الحرية إليه. فالقيود لا تقيد الألسنة وحدها، وإنما تقيد العواطف النبيلة، وتطلق العواطف الشريرة. القيود تنشر البغضاء والدس والنفاق ومسح الجوخ والضعف والتخاذل والأنانية. أما الحرية فهي تطلق أنبل العواطف كالمروءة والشهامة والنجدة والصداقة والثقة والحب والكرامة والإيمان!

الزهور الجميلة لا تتفتح إلا في الهواء الطلق!



ساعة مع
١٥ بليون دولار

زارني في مكتبي ١٥ ألف مليون دولار! ..
نعم أمضيت ساعتين في مكتبي مع ثمانية من كبار رجال الأعمال الذين يملكون و يديرون مؤسسات مالية وصناعية قيمتها ١٥ بليـــــون دولار. وهم يقومون برحلة إلى عواصم الشرق الأوسط يبحثون و يدرسون و يستقصون، ليقيموا مؤسسات ومصانع في هذه المنطقة، وهم يعلمون أن الغد هنا، والثروة لابد أن تمر من هنا.

ولم أشعر بالدوار وأنا جالس مع كل هذه الملايين، وإنما شعرت أنني أسمع موسيقى وأنا أتلقى أسئلتهم عن بلادي تنهمر سؤالا بعد سؤال! فهم يريدون أن يعرفوا كل شيء قبل أن يبدأوا أعمالهم في مصر.. يريدون أن يتأكدوا هل القانون أصبح سيدا في هذه البلاد.. هل من الممكن أن يستيقظ صاحب العمل في الصباح و يقرأ في الصحف أن قانونا قد صدر دون أن يعرض هذا القانون على الشعب و يناقش في مجلس الشعب.. و يسمع رأي كل الأطراف.

هل من الممكن أن تستولى الدولة على مصنع بغير تهمة و بغير تحقيق و بغير حكم محكمة؟ هل من حق المواطن أن يسافر و يعود بلا إذن من الحكومة.. وأن يرسل برقية فلا يوقفها الرقيب، أو يتلقى خطابا فلا تصادره مصلحة البريد؟.. هل يمكن أن يعترض صاحب الرأي على قرار فلا يقصف قلمه، ولا يقطع لسانه، ولا يتهدد في رزقه، ولا يجد نفسه في اليوم التالي في غياهب السجون!.. هل نستطيع أن نحتفظ بهذه الحرية الجديدة برغم الضيق الاقتصادي و برغم الحرب الباردة التي يشنها الاتحاد السوفيتي و برغم مؤامرات الظلام.

وعندما علموا أن الحرية جاءت إلى مصر لتقيم، وأنها لم تجيء في زيارة قصيرة، وعندما شعروا أن النوافذ المفتوحة التي يدخل منها الهواء وأشعة الشمس لن تغلق من جديد خشية أن يصاب بعض الناس بالزكام من الهواء الطلق، أو بضربة الشمس من أشعة الشمس. و بعد أن تأكدوا بدأنا من تحت الصفر فعلا، وأننا نحاول ونحاول ونحاول.. وأننا نعلم أن الطريق شاق ولكننا مصممون على اجتيازه، وأن المهمة خطيرة ولكن جيل أكتوبر أهل لها. وعندما فهموا أننا اليوم أحسن من الأمس، وأن الغد سيكون أحسن كثيرا من اليوم. وعندما قلنا اننا نعرف أغلاطنا ولا ندافع عنها، وإنما نحن ندافع عن كل ما يمس استقلالنا.. واننا نريد السلام، ولكننا نرفض الاستسلام، واننا لا نطلب من أمريكا أن تنحاز إلينا، بل كل ما نريد ألا تنحاز إلى الذين يحتلون أراضينا.. وعندما قلنا لهم ان مصر لا تريد أن تكون منطقة نفوذ روسية، وترفض بنفس القوة أن تكون منطقة نفوذ أمريكية.

عندما سمعوا كل هذا قالوا: لكم حق.. المستقبل في مصر!

وسيكون المستقبل في مصر باذن الله.

العقاب!

تقدم مهندس شاب إلى أسرة وطلب يد فتاتها، قدم شبكة كبيرة ودفع مهرا كبيرا، وأقيم عرس ضخم في أحد الفنادق الكبرى. و بعد ستة أشهر من الزواج السعيد قالت الزوجة إنها تريد الطلاق!

وعجب العريس لهذا الطلب المفاجيء، فلم يحدث بينهما خلاف أو سوء تفاهم، وهو يحب زوجته وهو شاب مخلص مستقيم ناجح في عمله، من بيته إلى عمله ومن عمله إلى البيت!..

ولجأ العريس إلى والد العروس وأم العروس يسجد لهما. فقالا إنها مصرة على الطلاق لأنها لا تحبه وأنهما حاولا المستحيل لإقناع ابنتهما بالعدول عن قرارها فرفضت وأنها مستعدة أن تتنازل عن مؤخر الصداق وحقها في النفقة. وأن تعيد له جميع المجوهرات التي قدمها لها هدية، وأبى الشاب وتملكته الشهامة فدفع مؤخر الصداق والنفقة لمدة عام ورفض أن يستعيد المجوهرات وأوقع يمين الطلاق النهائي...

ثم علم المهندس المسكين أن مليونيرا عربيا رأى عروسه وأعجب بها، وطلب الزواج منها وعلمت أم العروس بهذه الرغبة فأقنعت ابنتها أن تصر على الطلاق من عريسها المهندس لتتزوج من المليونير!

ثم فوجيء العريس بأسرة العروس تنكر أنها استلمت كل حقوقها وترفع عليه قضايا تطالبه بالمؤخر والنفقة!

وجن جنون الشاب. وسأل ماذا يفعل؟ هل يشكو إلى الشرطة؟ هل يذهب إلى القضاء؟

وقيل له إن القانون لا يحمي المغفلين! وإنه كان مغفلا عندما رفض تنازل زوجته لأن الزوجة تفقد كل هذه الحقوق عندما تطلب الطلاق! وطلبوا منه أن يترك أمره إلى الله! والله يفعل عادة ما تعجز الشرطة والقضاء والناس جميعا أن يفعلوه!

و بعد أيام فوجئت أسرة العروس بأن الصندوق الذي فيه مجوهرات العروس والشبكة والمؤخر والنفقة اختفى فجأة من الدولاب! وفشلت كل المحاولات في معرفة من الذي دخل الغرفة ومن الذي سرق هذا الصندوق بالذات! ولم يستطيعوا اتهام العريس لأنه كان في ذلك الوقت في المملكة العربية السعودية يؤدي العمرة، و يقف أمام الكعبة يترك أمر الذين ظلموه إلى الله!

ثم فجأة دق جرس التليفون وإذا بالمليونير العربي هو المتحدث. و يقول إنه يعتذر عن عدم إتمام اتفاق الزواج مع المطلقة الحسناء لظروف طارئة!

وأصبحت الكارثة الواحدة كارثتين!

ماذا تسمي هذا؟ مصادفة عجيبة؟.. أم انتقام القدر؟.. أم ان الله لا يرضى أن يهنأ الظالم بظلمه؟!

تظهر نتائج الشر أحيانا بعد مائة سنة..

وأحيانا تظهر بعد خمس دقائق!



طبيب شجاع!

لا تتصور إذا وقعت في محنة أن الذي سيقف معك هو أعز أصدقائك، أو أقرب أقربائك، أو أحد الذين خدمتهم في حياتك. كثيرا ما يتخلى عنك أصدقاؤك وأقرباؤك واخوانك ومن خدمتهم طول حياتك، ثم تفاجأ بإنسان لم تعرفه طول حياتك يخرج من تحت الأرض ليقف بجانبك!

ذات يوم كنت في زنزانتي بليمان طرة. الظلام الدامس يحيط بي من كل مكان، وإذا برسالة من أم كلثوم تقول لي إنها كانت في عشاء خاص والتقت بالدكتور مظهر عاشور صديق الرئيس عبدالناصر وقالت له: جرى إيه في البلد؟ كيف تملأون السجون بالمظلومين؟ أنا واثقة أن فلانا مظلوم ومؤمنة بوطنيته. ولا أجد رجلا لديه الشجاعة ليقول هذا لعبدالناصر. وقال الدكتور مظهر عاشور إنني سأذهب إلى الرئيس صباح غد وأقول له كل هذا!

تلقيت هذه الرسالة الغريبة. ولم أصدقها. فأنا لا أعرف مظهر عاشور! وليس بيني و بينه صداقة. وغير معقول أن يذهب في اليوم التالي و يقابل الرئيس عبدالناصر الذي لا يستطيع أن يقابله الوزراء!

و بعد أسبوعين تلقيت رسالة أخرى من أم كلثوم بأن الدكتور مظهر عاشور قابل الرئيس وقال له إنني بريء وطالب بالإفراج عني— فسأله الرئيس من الذي قال لك هذا؟ قال: أم كلثوم! وقال الرئيس عبدالناصر إنه يعلم أنني مظلوم، ولكن الظروف السياسية تمنع الإفراج عني في الوقت الحاضر وأنه إذا أفرج عني فهو مضطر أن يفرج عن الشيوعيين والإخوان المسلمين المقبوض عليهم.

وسكت ولم أخبر أحدا في هذه القصة. وأمس زارتني السيدة حرم الدكتور مظهر عاشور في مكتبي، وفوجئت بها تروي لي القصة نفسها بحروفها، وتضيف إليها أنها حضرت حديث أم كلثوم بنفسها وأنها أشفقت على زوجها من أنه كان لا يبالي أن يقول ما يعتقد، ولا يهمه أن يقول كلمة الحق حتى ولو فقد رأسه!

وأذكر ذات يوم كان مظهر عاشور جالسا في كابينته في رمل الاسكندرية وقال بصوت عال إنه يعترض على الحراسات وعلى الاعتقالات والمظالم وانها ستؤدي إلى كارثة! وكان وزير الداخلية في تلك الأيام يقيم في كابينة بجواره فأرسل له رسولا يقول له إن صوتك يصل إلى وزير الداخلية ولكن بعض الكلمات سقطت في الضوضاء، فماذا كنت تقول؟ فأرسل له الدكتور مظهر عاشور الكلام الذي كان يقوله!

إن مصر في حاجة دائما إلى رجال لا يخافون!

رجال يقفون مع المظلومين دون أن تربطهم بهم علاقة أو صداقة أو مصلحة!

وسيجد في مصر كثيرين كثيرين من هؤلاء.. ولكنك لا تعرفهم وستعرفهم في يوم من الأيام..

إعادة الشباب

أسوأ ما يصاب به شاب أن يمشي في طريق الحياة ثم ينطفىء الأمل في قلبه!

الأمل للشباب أشبه بالبصر للإنسان، فإذا انطفأ الأمل أصيب القلب بالعمى واشتد حوله الظلام!

حصل يحيى نافع على بكالوريوس الهندسة من جامعة الاسكندرية. كان شابا متفوقا مكث عامين في دراسة الطاقة الذرية، وتصور أن علمه الجديد سوف يفتح له أبواب الدنيا، وفوجىء بالطغيان والهزيمة.. مات أمله في الحياة بالسكتة القلبية! ما أتعس الانسان وهو يعيش يحمل في داخل جثة ميت!

الأمل هو الشباب، ولا شباب بلا أحلام. فإذا مات الأمل ذوى الشباب وأصبح شيخاهرما في سن الشباب! كل شيء حوله يشحب و يذبل و يضعف و يتهاوى و يتلاشى ويموت! يجد طعم الهزيمة والقهر في كل شيء حتى في فنجان الشاي!

وأراد يحيى أن يهرب من اليأس فهاجر إلى أمريكا، وعجب عندما ارتفعت الطائرة فوق الدلتا، لم يشعر بألم أنه يرى وطنه لآخر مرة على العكس أحس بفرح، إحساس سجين هرب من السجن، أو محكوم عليه بالإعدام نجا من المشنقة، أو جثة بعثت من قبر، هل رأيت هاربا من مشنقة يحس بحنين إلى حبل المشنقة؟

وعمل مهندسا صغيرا جدا في قسم الطاقة الذرية بشركة جنرال الكتريك في مدينة ستانفورد، عمل بالليل والنهار. لم يحتج على الأجر البسيط المتواضع، لم يأنف من العمل الشاق المتواصل، لم يطلب اجازة، لم يزوغ من العمل يوما واحدا.

وكانت الشركة تختار واحدا في المائة من عمالها لتعلمهم على حسابها في جامعة ستانفورد، واختارته هو في بروجرام الشرف، دفعت له خمسة آلاف دولار مصاريف الدراسة كل عام لمدة خمس سنوات حتى حصل على الماجستير ثم حصل على الدكتوراه وعرضت عليه شركة فورد أن يعمل في شركة الأقمار الصناعية التابعة لها. وتقدم ونجح وربح، وبعد عشر سنوات شعر بقلبه يأكله — عرف أن وطنه بدأ يحطم قيوده، علم أن مصر ستصبح مركزا بين أكبر تجمعين اقتصاديين في العالم، السوق الأوربية المشتركة ورأس المال العربي الضخم.

وعاد إلى مصر لينشىء في المنطقة الحرة بالاسكندرية مصنعا لصنع كمبيوتر باللغة العربية، وهو يعتقد أنه سيمكنه محو الأمية في الوطن العربي كله بالكمبيوتر الذي يتكلم اللغة العربية للمرة الأولى!

من سنوات طويلة رأيت أحلام شباب بلادي وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.. وأرى اليوم البعث الجديد وقد بدأت الأحلام تنبض من جديد في قلوب الشباب المصري.

منظر رائع، وأنا أرى شبانا في السبعين من عمرهم يعودون إلى سن العشرين من جديد!

الحرية وحدها هي التي ستعيد الشباب لبلادي!



المقاومة بالابتسامة !

نريد أن نملأ البيت المصري بالابتسامات. إذا لم تستطع أن تزين بيتك بالزهور والورود فزينه بابتسامة! الزهور قد تذبل، ولكن الابتسامة الحلوة لا تذبل ولا تموت.

وإذا كنا قد قلنا ان تكشيرة الزوجة تقصر عمر الزوج تنكد على الزوجة الحياة وتحولها إلى جحيم. في استطاعة الزوج عندما يخرج من البيت أن يترك تكشيرة زوجته وراءه. و ينساها في زحمة عمله.. أما الزوجة فإنها تصحب تكشيرة زوجها معها إلى كل مكان تذهب إليه وربما تأخذها معها إلى القبر!! ذلك أن المرأة حساسة أكثر كثيرا من الرجل.

وإذا كان الجرح الروحي للرجل يلتئم في عشرة أيام فإن الجرح الذي في قلب المرأة قد يبقى مفتوحا عشرة أعوام، فإذا التأم الجرح ترك أثرا ظاهرا على الجلد.. وإذا زال الأ ثر بقيت المرأة طوال عمرها تتحسس مكان الجرح أو تتحدث عنه! و يستطيع الزوج أن يضمد الحرج بكلمة حلوة. فالكلمة الحلوة كالمرهم حينا وكالترياق أحيانا! بل إن الكلمة الحلوة تفقد المرأة ذاكرة السيئات في رأسها! ومن عيب بعض الرجال في بلادنا، أنهم يتصورون أن الوجه المتجهم يبعث على الاحترام، و يثير الخوف، ولا يعرفون أن الدنيا قد تغيرت، وأن الوجه المتجهم أصبح يثير الضحك ، وأنه ممكن بابتسامة حلوة أن تأخذ من الإنسان الذي يحبك أكثر مما تأخذه بالسيف! وكان بعض الرجال الأقدمين، يتعمدون التكشير في بيوتهم، ولا يبتسمون ولا يضحكون إلا في أيام الجمع والأعياد والعطلات الرسمية! وقد توهموا أنهم بهذا العبوس يحكمون و يتحكمون في بيوتهم، ولكن الأ يام أثبتت أن الصرامة في المعاملة لا تؤدي إلى الطاعة وحسن السير والسلوك، بل إنها غالبا ما تؤدي إلى الانفجار والثورة والانحراف.. وقديما كانوا يقولون لنا إن «الضحك من غير سبب هو قلة أدب».. وأتصور أنه سيجيء يوم نقول فيه ان العبوس من غير سبب هو قلة الأدب!

وقد يقول بعض الأ زواج إنهم لا يستطيعون الابتسام في بيوتهم لأن الحياة أصبحت شاقة ومضنية، فهم ينتظرون ساعات على محطة الأ توبيس، و ينحشرون في الأ توبيس، و يصلون إلى البيت فيجدون المصعد معطلا، و يضطرون أن يصعدوا الأدوار العشرة على أقدامهم، و يدقون الجرس فلا يفتح لهم أحد لأن الكهرباء مقطوعة، و يفتحون الحنفية ليغسلوا وجوههم فلا ينزل الماء، فكيف نريد منهم أن يبتسموا بعد كل هذا العناء؟! وهم ينسون أن الزوجة تتعرض لنفس العناء ولنفس العذاب، والمطلوب منها أن تدير دولة صغيرة، المصروفات فيها أكثر من الإيرادات، وما كان يحتاج لخمس دقائق في الماضي أصبح يحتاج لخمس ساعات.. و يكفي أن تطلب الزوجة أمها في صباح كل يوم بالتليفون وتمكث ست ساعات تطلبها ثم تجيء الحرارة بعد ذلك، فاذا جاءت الحرارة جاءت النمرة غلط!

لا يمكن أن نقاوم كل هذه المتاعب إلا بالابتسام. اضحك تضحك لك الدنيا. أما إذا كشرت دقيقة فلا تلم زوجتك إذا كشرت لك عشر سنوات!

الإيمان وحده هو الذي يصنع الأقوياء

لست جبلا! أنا من لحم ودم. شكة الدبوس تؤلمني. صرخة الطفل تزعجني. مصيبة أي إنسان تنكد حياتي.

دخلت معارك كثيرة. خضت حروبا عديدة. لا أكاد أقف على قدمي حتى تجيء مطرقة وتهوى على رأسي فأهوى على الأرض، وأتحامل على نفسي وأقف من جديد لتسقط على رأسي صاعقة أنجو منها بأعجوبة!

هزائمي أكثر من انتصاراتي. جروحي أضعاف أوسمتي... وقد علمني الزمن أن جروح المعارك أكثر احتراما من الأوسمة والنياشين!

أنا أشعر دائما أنني ضعيف بنفسي قوي بإيماني. هذا الإيمان يجعلني دائما أحس أنني لست وحدي. ولولا هذا الإيمان لانهرت تحت أول مطرقة، ولاستسلمت أمام أول عاصفة، ولهربت من أول ميدان قتال!

وعندما يشتد الظلام أتفاءل. لا أنزعج ولا أيأس. اشتداد الظلام هو علامة مؤكدة على بداية الفجر، كما أن اشتداد الظلم دليل يشير إلى اقتراب مصرع الطغيان. وإذا رأيت البطش لا أتخاذل وإنما أتذكر مصير طغاة بطشوا وطغوا واستبدوا، ثم ذهب الباطل وبقي الحق. ودائما أبدا يجيء النور بعد الظلام... وأنا أؤمن بالغد لأنني أؤمن بالله!

وطوال حياتي لم أشأ أن أسوي حساباتي مع الذين ظلموني، تركتهم دائما لله، فرحمني وعذبهم، وأسعدني وأشقاهم، ورفعني وهوى بهم إلى الحضيض، وما كان في قدرتي أن أفعل بهم واحدا على ألف مما فعل بهم الله، وفي بعض الأحيان يخيل إليّ أن النار ليست بعد الموت فقد رأيت بعض الناس يدخلون جهنم وهم على قيد الحياة، رأيتهم يتعذبون، كأن النار تأكلهم، وكأنهم يغيرن جلدهم كل يوم ليحترقوا من جديد!

ما أشقى الذين تجبروا على الناس يوم يفقدون السلطان، يوم تضيع منهم أبهة المنصب. يوم يمشون في الشوارع فلا تنحني لهم الرؤوس، يوم يتكلمون أي كلام فيهز الناس رؤوسهم استهزاء وسخرية، وقد كانوا في سلطانهم وعزهم إذا نطقوا كفرا وجدوا من يقول لهم آمين، وإذا هددوا وتوعدوا وجدوا من يخرون لهم راكعين ساجدين!

ما أتعس القزم الذي يترك الكرسي فيعود قزما بعد أن كان عملاقا، و يعود أبكم بعد أن جعله الكرسي فصيحا، و يعود وحيدا شريدا بعد أن كانت أمامه صفوف متراصة وكأنه جمعية تعاونية تبيع الفراخ!

الإيمان وحده هو الذي يصنع الأقوياء.. أما الضعفاء فهم أشبه بالبالونات تنفخهم المناصب.. إلى أن تجيء شكة الدبوس فتفرقعهم... بعد أن «فرقعت» منهم الملايين!

الذين عرفوا الله لم يعرفوا الهزيمة أبدا.

هذا هو الفرق بين الذين في داخلهم الإيمان والذين في داخلهم الهواء!

موقف نبيل للسويد

أعلنت حكومة السو يد أنها تنازلت عن جميع ديونها لدى ثمان دول فقيرة هي: الهند وباكستان وكينيا والحبشة وسيرلانكا و بنجلاديش و بتسوانا وتنزانيا وتبلغ هذه الديون أكثر من مائتي مليون دولار.

وقررت حكومة كندا التنازل عن جميع ديونها لدى عدد من الدول النامية وتبلغ هذه الديون ٢٥٤ مليون دولار.

والسو يد ليست دولة كبرى، وكندا ليست دولة عظمى، ولكن موقف هاتين الحكومتين يجب أن تقدره كل دولة فقيرة في العالم، فالتعاون بين الدول ليس عواطف وكلمات حماسية وقصائد شعراء، إنما هو عواطف عملية بين الدولة الغنية والدولة الفقيرة.

وفي الماضي كانت الدول الامبريالية تضحك على القبائل الساذجة في افريقيا وآسيا و تقدم لهم الزجاج البراق الملون في شكل أساور وعقود وخواتم وأقراط، وتنهب في المقابل الذهب والماس والمعادن الثمينة وكنوز الأرض التي تملأ بها هذه البلاد المغلوبة على أمرها!

ولكن هذه الشعوب كبرت وتعلمت، ولم يعد في إمكان أحد أن يخدعها بالشعارات الملونة ولا بالوعود البراقة ولا الألفاظ المعسولة..

كل دولة صغيرة فقيرة هي دولة مجني عليها، وهي ضحية استغلال ونهب مئات السنين، ومن واجب الدول الغنية أن تقف بجانب الدول الفقيرة في محنتها وهي تحاول أن تقف على قدميها، وتعوض لها بعض ما خسرته في عصور الحرمان والاستغلال والاستعمار..

ومن الأسف أن مصر لم تطلب من حكومة الاتحاد السوفيتي إلغاء ديونها كما فعلت السو يد أو كندا، كل ما طلبته هو تأجيل هذه الديون إلى أن تستطيع مصر أن تسترد أنفاسها بعد أن سارت سنوات طو يلة وراء أصدقائها السوفيت مغمضة العين إلى أن وصلت إلى ٥ يونيو وإلى اقتصاد تحت الصفر!

إن مصر ليست مدينة للسو يد أو كندا بشيء، ولكنها مع ذلك تحيي هذا الموقف الكريم النبيل فان أي موقف عملي مع أي أمة فقيرة في العالم هو موقف نبيل مع مصر!

القرصنة الجوية

تنفس العالم ارتياحا لإنقاذ الطائرة الألمانية المخطوفة، ولنجاة ركابها الأبرياء بعد مائة ساعة من الرعب والقلق والفزع وتوقع الموت بين لحظة وأخرى.

لم يعد أحد يعجب ولا يرضى بهذا النوع من القرصنة الجوية، فالبطولة ليس أن تهاجم بالسلاح الأطفال والنساء والرجال العزل من السلاح، البطولة هي في ميدان القتال وحده، أما أن أحمل مسدسا وقنبلة وأهدد بها ركابا آمنين لا ذنب لهم ولا جريرة فهذا أصبح في نظر العالم وحشية وجبنا..

ولأول مرة نرى إجماعا دوليا في كل مكان يلعن الإرهاب ويرفضه ويطالب بإنزال أشد العقوبات على الذين يهاجمون الطائرات، فالارهاب لا يسند الحق وإنما يخذله ويهدمه!

كل المؤمنين بالديمقراطية شعروا بسعادة لأن حكومة المانيا استطاعت أن تسحق خاطفي الطائرة، ورفضت أن تستجيب لتهديدهم ووعيدهم، وصرح الرئيس شيل رئيس جمهورية المانيا الغربية «انه إذا كان للديمقراطية بعض المساوىء إلا أنها تعرف كيف تدافع عن نفسها في وجه الإرهاب».

وكانت بعض الأصوات قد ارتفعت في المانيا تقول إنه لا يمكن القضاء على الإرهاب إلا بالبطش والعنف والحكم الديكتاتوري وبفتح معسكرات الاعتقال.

فقد أحدثت حوادث الإرهاب المتكررة في المانيا هستيريا بين الشعب، وقال بعض العبيد إنه لو كان هتلر موجودا لما حدث هذا الإرهاب، وأقام عدد من خريجي المدرسة الحربية سهرة وشربوا فيها نخب الديكتاتورية، وظهرت علامة النازي مرسومة على الجدران في بعض الشوارع، وحدث قبل ذلك أن أحد ضباط الطيران في عهد النازي أقام له ضباط الطيران حفلة تكريم، وبدأت الديكتاتورية تطل من قبرها.

وتصورت صحف العالم أن النازية ستعود إلى المانيا وأن الديمقراطية أعجز من أن تقاوم الارهاب وأن القانون أضعف من أن يدافع عن القانون! وإذا بالموقف الذي اتخذته الحكومة وبتأييد المعارضة التام يثبت أن الحكومة الديمقراطية قادرة أن تصمد، وأن القانون أقوى من المسدس، وأن الحرية قادرة أن تدافع عن نفسها ضد أعدائها.

ولهذا كان انتصار حكومة المانيا على الارهاب هوعيدا للديمقراطية وللحرية في كل بلد يؤمن بالحرية والديمقراطية وسيادة القانون!



مظلوم قليل الحياء

منذ سنوات استنجد بي مظلوم.. وذهبت إلى الظالم أتوسط عنده ليرفع الظلم، فوجدته غاضبا ثائرا حانقا ساخطا على المظلوم، وعجبت أن يتألم القاتل من القتيل، وإذا بالظالم يقول لي إن المظلوم رجل وقح قليل الأدب قليل الحياء لأنه تجرأ وقال «آه».

كان من المفروض أن تنهال فوق رأسه مطرقة الظالم فيطبق شفتيه، فتأوه المظلوم بضوضاء تزعج مزاج الظالم! أو كان المفروض أن يخر المظلوم راكعا ساجدا يشكر الظالم على الظلم الذي أسبغه عليه و يقول له «كمان»!

وقد لا يعرف الناس أنه في عهود الظلام كان إذا أقيل وزير من منصبه اتصل به بعض المسؤولين ونصحوه بأن يذهب إلى قصر عابدين و يقيد اسمه في سجل التشريفات شاكرا على طرده أو على الظلم الذي أحاق به! فالظالم لا يريد منك أن تسكت فقط على الظلم الذي أنزله بك، بل هو يصر فوق ذلك على أن يمتهن كرامتك لتشكره على الظلم الذي شرفك به! وقديما حدثونا عن وزير ضربه الخديو بالشلوت، فقال له «ضربك شرف يا أفندينا»!

وهذا هو الفرق بين عهود الظلام وعهود النور. في النور لا تمتهن كرامة الفرد، ولا يستطيع أحد أن يدوس بقدمه على عنقك. ومن حقك دائما أن تشكو الظلم الذي وقع عليك. ولا يطلب منك أحد أن تسكت على إهانة أو على هوان، أما في عصور الظلام فليس من حق مواطن أن يرفع رأسه إلا حامل الكرباج!

أقسى عذاب يحس به الانسان ليس ضرب السياط، وإنما أن تظلمه وتحرمه من حق الدفاع، أن تنقله من عمله ولا تواجهه بسبب نقله، أن تحرمه من حق مناقشة حكم أصدرته عليه غيابيا.. فالله لا يحكم على الناس غيابيا، بل هو يمهلهم إلى يوم القيامة ويحاسبهم بملكين، و يوازن بين السيئات والحسنات قبل أن يصدر حكمه بوضع الإنسان في الجنة أو الجحيم، والله لا يغضب إذا سألته «ليه يا رب عملت في كده»؟ فإذا كنت أستطيع أن أقول للخالق «لماذا»؟ أفلا يكون من حقي أن أقول لرئيسي في المصلحة «لماذا»؟

وعندما أنشأت مصر ديوان المظالم فعلت ذلك لأنها مؤمنة بأن المواطن الحر من حقه أن يشكو، ومن حقه أن يتظلم، ومن حقه أن يقول لماذا؟

فلا تقولوا للمظلوم لا تبك قبل أن تقول للظالم لا تظلم! ولا تقولوا للمضروب إياك أن تشكو قبل أن تقولوا للضارب لا تضرب!



بائعة الفجل

قررت ليلة القدر توزيع عشرة آلاف جنيه على ألف طالب وطالبة من طلبة الجامعة، عشرة جنيهات لكل طالب لشراء ما يحتاج إليه من كتب أو ملابس- وهذا مبلغ متواضع، ولكنه مساهمة صغيرة في تخفيف بعض العبء عن هؤلاء المجاهدين الذين يحرمون أنفسهم من القوت الضروري ليتموا دراستهم، بينهم شبان يمشون ساعات طويلة كل صباح ليصلوا إلى المدن التي فيها جامعاتهم لأنهم لا يملكون ثمن تذكرة درجة ثالثة في قطار السكة الحديد! بينهم شبان يرتدون القميص على اللحم في الشتاء القارس لأنه ليس لديهم ما يشترون به الفانيلا! بينهم من يمضي الليل كله ساهرا في الشارع تحت عمود النور يستذكر دروسه، لأن الغرفة التي يقيم فيها مع اخوته العشرة ليس فيها كهرباء، ويكاد نور عينيه ينطفىء لأنه لا يملك ثمن نظارة! بعضهم يمضي الأيام الطويلة ينقل بخطه كتابا لأنه لا يستطيع أن يشتري الكتاب المقرر.. كل واحد من هؤلاء له قصة كفاح جبارة، تستحق أن نحني لها رؤوسنا، هذه الشابة الصغيرة التي كتب لي عنها قارىء مجهول وقال لي إنها حصلت على شهادة الثانوية العامة بنسبة ٧٨ في المائة بالرغم من أنها تحمل على رأسها كل يوم «المشنة» وتبيع الفجل في الشوارع والحواري وتحصل على ستين قرشا في اليوم تنفقها على أسرتها المكونة من أم وخمس بنات أصغر منها سنا، ولكن كيف تبيع الفجل وتدخل الجامعة! إن مواعيد الفجل هي نفس مواعيد المحاضرات! وكتبت مجلة المصور قصة هذه التلميذة المكافحة، وإذا بشاب مصري يعمل في دولة الامارات العربية يرسل لي شيكا بمبلغ عشرة جنيهات لهذه التلميذة المجهولة بائعة الفجل، و يتعهد أن يرسل لها عشرة جنيهات كل شهر لمدة أربع سنوات حتى تحصل على الشهادة الجامعية!

هذا الشاب المصري ليس مليونيرا ولا يتولى منصبا كبيرا، حصل على دبلوم التجارة عام ١٩٧٠ وعمل في الامارات منذ ١١ شهرا فقط، لم يكوّن ثروة، ولم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب.. ولكنه عانى الفقر والكفاح، ابن عامل له أربعة أولاد.. رباهم أبوهم من أجره البسيط، عرف طعم الفقر ومرارة الحرمان، لم ينس قسوة الجوع.. رأى شبابه في بائعة الفجل التي تحاول شق طريقها إلى بكالوريوس الجامعة..

وتقدم ليساعدها!

ولم يتجمد قلبه لأن أحدا لم يمد له يده وهو يتعثر في الطريق!

الدنيا بخير!

شقة للإيجار

كل ليلة أذهب فيها إلى فراشي أتذكر مئات الألوف من الشبان والشابات الذين يبحثون عن شقة فلا يجدون ، الألوف الذين عقدوا قرانهم من ثمان وسبع سنوات ولا يستطيعون إتمام الزواج لأنهم لا يملكون ثمن شقة أو خلو رجل ، مئات الألوف من الشبان الذين يتخرجون و يبدأون حياتهم العملية والنظرية و ينظرون إلى الزواج كأنه سراب في الصحراء لا يستطيعون الوصول إليه إلا بعد سنوات وسنوات !

المانيا الغربية صادفت مشكلة اسكان مثل مشكلتنا ، ورأت أن الحل الوحيد هو العرض والطلب ، وأطلقت حرية البناء ، وشجعت كل من يملك مالا على أن يبني .. وحددت أن يدفع الساكن لصاحب البيت ثلث مرتبه فقط إيجارا ، وتدفع الحكومة الفرق وعندما يزيد مرتب الساكن في العام التالي يزيد ما يدفعه بنفس النسبة ، و ينقص ما تدفعه الحكومة بنفس النسبة .

فاذا كان مرتب الشاب ثلاثين جنيها دفع عشرة جنيهات شهريا ودفعت الحكومة عشرين ، فاذا ارتفع مرتب الشاب إلى أربعين جنيها دفع ثلاثة عشر جنيها ونقص ما تدفعه الحكومة إلى ١٧ جنيها ، وهكذا حتى يجيء اليوم الذي لا تدفع فيه الحكومة شيئا ، فاذا زادت المباني فان نتيجة العرض والطلب أن تنقص قيمة الإيجار و بذلك تنقص الحكومة قيمة الدفع الذي تقدمه ، و يؤمن صاحب البيت على الساكن فاذا توفى أو عجز عن العمل دفعت شركة التأمين ما كان يدفعه من راتبه ، ومن الممكن بعد عشرين سنة أن يمتلك كل ساكن بيتا و يعيد للدولة ما دفعته على أقساط .

المهم أن نجد حلا لمشكلة كل بيت .

نحن الآن في حاجة إلى مليون ونصف مليون شقة جديدة لنحل أزمة المساكن ، ولو أن الحكومة هي التي تولت حلها فهي تحتاج إلى ألوف الملايين من الجنيهات ، والطريقة الوحيدة أن نشجع الناس على البناء ، أن نجعل الذين يخفون أموالهم تحت البلاطة أو الذين ينفقون أموالهم على المطالب الاستهلاكية أن يتقدموا للمساهمة في إقامة بيت سعيد لكل شاب مصري وكل شابة مصرية ..

ولهذا يجب أن يعرف كل من يستطيع أن يبني غرفة واحدة في مصر أنه يساهم في بناء كل البيوت السعيدة فيها ، واننا سنقدم له كل ما يريد من أمان واطمئنان وتسهيلات !

الذين يبنون مصر هم أحب أبنائها لديها !



طلعت حرب على مكتبه في الساعة السابعة والنصف صباحا

كان أحد كبار الاقتصاديين العرب في سويسرا، وخرج في الساعة السادسة والنصف صباحا من الفندق يتمشى في شوارع المدينة، ومر أمام أحد البنوك السويسرية الكبيرة المعروفة، ووقف أمام البنك مذهولا مشدوها، لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، ولم تكن مصابيح الشوارع الكهربائية قد أطفئت بعد، ولم يكن ظلام الليل قد اختفى ليشرق ضوء الصباح، ولكنه رأى أنوار البنك مضاءة، وأشباحا تتحرك وراء زجاج النوافذ!.

واعتقد الاقتصادي العربي الكبير أن عصابة من اللصوص هاجمت البنك عند الفجر، وبدأت تنهب خزائنه ووقف يرقب المغامرة العجيبة..

ثم اشتد ذهوله أكثر عندما لم يجد الشرطة تهب لنجدة البنك المنهوب، ووجد عددا من الموظفين والموظفات يدخلون في الساعة السابعة صباحا!

ودخل الاقتصادي العربي الكبير إلى البنك ليشهد هذه الأعجوبة، وقابل مدير البنك فقال له إن النظام في بنوك سويسرا أن تحضر مجموعة من الموظفين إلى البنك في الساعة السادسة والنصف صباحا، وتبدأ العمل، ثم تجيء مجموعة ثانية في الساعة السابعة صباحا، ثم تجيء مجموعة ثالثة في الساعة السابعة والنصف، وتجيء مجموعة رابعة في الساعة الثامنة صباحا، ويفتح البنك بابا جانبيا للذين يريدون إنهاء أعمالهم بسرعة أو إيداع ودائع، أو فتح اعتمادات قبل أن يفتح البنك أبوابه رسميا في الساعة الثامنة صباحا، مهمة البنك أن يحترم وقت الناس!

وقال مدير البنك السويسري إن الموظف الذي يحضر في الساعة السادسة والنصف صباحا ينصرف قبل زميله الذي حضر في الساعة الثامنة بساعة ونصف ساعة، وبهذه الطريقة أمكننا أن نحل مشكلة المواصلات ومشكلة الزحام، وزودنا ساعات العمل من غير أن ندفع أجر وقت إضافي للموظفين!

فاذا دخلت بنكا في سويسرا لا تقف في طابور كطابور الفراخ أمام الجمعية التعاونية الاستهلاكية، وتستطيع أن تصرف الشيك في دقيقة دون أن تفقد أعصابك وتضيع وقتك وتلعن الساعة التي قبلت فيها أن تتعامل بالشيكات!

إنني أتلقى الآن رسائل من مواطنين يقولون ان المعاملة في البنوك المصرية تحسنت عما كانت في العام الماضي، وإنني أتمني أن يتضاعف التحسين، عندما تصل الآلات الحديثة التي حرمت منها البنوك المصرية سنوات طويلة، وأتمنى أن يجيء اليوم الذي يصرف فيه الشيك من بنك مصرفي في نصف دقيقة!

وتذكرت أن طلعت حرب باشا كان يجلس على مكتبه في بنك مصر كل يوم ابتداء من الساعة السابعة والنصف صباحا وكان في السبعين من عمره!!

وعادت إلى ذاكرتي القصة التي كنا نقرأها في كتاب القراءة الرشيدة عن فوائد التبكير وعن الرجل الذي ذهب إلى عمله مبكرا فوجد كنزا في الطريق!

الكنز لا يزال ينتظر الذين يبكرون في الوصول إلى أعمالهم!

جنازة صديقي

مشيت أشيع جنازة صديقي، أحسست أن في هذا النعش قطعة مني، كان هذا الرجل صديق شبابي ورجولتي وكهولتي، صديق مرضي وصحتي، صديق محنتي وآلامي وأحزاني، كان طبيبي الخاص منذ مطلع شبابي، وعندما أصدرت «أخبار اليوم» اخترته طبيبا لعمالها، فكان يعني بالعامل عنايته بصاحب الجريدة، كان يهتم بكل فرد فيها كأنه أخوه أو ابنه أو أبوه أو بنته و بكل هذه العواطف أحبه العمال.

ولم يكن الدكتور أنور حسن طبيبا باطنيا فقط، بل كان طبيبا نفسيا أيضا، كان قلبه المليء بالحب أشبه بصيدلية فيها دواء لكل داء، وكان على شفتيه دائما بلسم يشفي الجراح ومسكن يخفف الآلام.

كنت أتقلب في فراشي والأوجاع تذبحني كأنها السكاكين، ثم يدخل أنور حسن إلى غرفة نومي فاذا الآلام تتوارى، وكأن ابتسامته أفزعت الآلام وأخافت الأوجاع، كانت ضحكاته أعلى من أناتي، وكانت الأنات تذوب في هذه الضحكات.

كان أصدقاؤه يبحثون عنه وهم أصحاء كأنهم مرضى يستعينون بطبيب يشفيهم، فقد كان يملأ المجلس مرحا وسخرية وضحكا، وكان يجد لذة أن يسخر من نفسه ولا يسخر من الناس، فقد كان إنسانا حساسا لم يمسك مشرطا في حياته، لأنه كان لا يريد أن يؤلم إنسانا، حتى من أجل أن يشفيه!

والغريب أنني خلال الأسبوعين الماضيين كنت أطارده وكان يطاردني! ولم أكن أريد منه شيئا، ولم يكن يريد مني أي شيء! ولكن كنت أبحث عنه في مستشفى الحميات فيقال لي إنه في العيادة، وأبحث عنه في العيادة فيقال لي إنه في المنزل، وأبحث عنه في المنزل فأعلم أنه في وزارة الصحة! وكان تليفوني يخذله كلما سأل عني..

وكان آخر مرة التقيت به سعيدا لأن الأطباء المصريين انتصروا على ميكروب الكوليرا، ونجت مصر من هذا الوباء القاتل، على الرغم من كل الظروف السيئة التي كانت تحاول أن تفتح الأبواب على مصراعيها لهذا الوباء اللعين!

وكان فخورا بالطبيب المصري، ودعته هيئات طبية عديدة لالقاء محاضرات فيها، وكان علماء أمريكا يحيطونه بتقدير كبير لكفاءته وعلمه وتجربته الواسعة.. وكانت جامعات أمريكا دعته ليسافر في الشهر الماضي ليلقي محاضرات مختلفة في مقابل مبالغ طائلة! فكتب إليها يعتذر بأنه لا يستطيع أن يغادر بلاده إلا بعد أن تنجو من ميكروب الكوليرا!

ونجت مصر..

ومات أنور حسن! دهمته الذبحة الصدرية وهو يؤدي واجبه.

الفقر حشمة

عرفه صاحبي منذ سنوات، وهو يملك مائة ألف جنيه، عرفه رجلا طيبا قنوعا، يحب الناس و يطمئن إليهم. وديع وخير، يجد متعة في العطاء وفي مساعدة المحتاجين. يضحك للدنيا والدنيا تبتسم له. يحمد الله على ما أعطاه..

ومضت سنوات، وأصبح صاحب المائة ألف جنيه يملك أكثر من مليون جنيه. وزاره صاحبي في قصره المنيف. وعجب للتغيير الكبير الذي حدث فيه. أصبح رجلا آخر. أصبح جشعا لا يشبع، ومتوحشا يريد أن ينقض على كل شيء و يبتلع كل شيء. لا يبتسم إلا لصفقة ولا يحزن إلا لخسارة. قلبه أصبح خزانة حديدية يفتحها ليدخل فيها المال الجديد. لا مكان فيه للعواطف والصداقة والمحبة والمروءة. لا يطمئن إلى صاحب. ولا يثق بصديق. يعتقد أن كل موظفيه لصوص يريدون أن يسرقوه، وكل أقاربه ضباع تريد أن تأكل لحمه ميتا!

وقال صاحبي إنه أصبح يعتقد أن المال يفسد الناس. إنه كالخمر قليل منه يصلح المعدة والكثير منه يذهب العقل!

وقلت له إنني عرفت اناسا اغتنوا فارتفعوا، وعرفت اناسا اغتنوا فانحطوا!

فالرجل القوي يركب المال، والرجل الضعيف يركبه المال. القوي الخلق يعرف أن قيمة ماله بما ينفقه للخير أو بما يساعد به المحتاج أو بما يساهم في إقامة صناعة تفتح ألوف البيوت السعيدة.. والضعيف يزداد ضعفا وذلا أمام ماله، يعيش يتلفت حوله في خوف وذل. يحيط ماله بذراعه فلا يستطيع أن يمد يده ليرفع إنسانا سقط على الأرض. تتحول الدنيا كلها في عينيه إلى عملة. الدولارات هي الأشجار، والمارك الألماني هو الورود، والفرنك السويسري هو الرياحين. هذه حديقته التي يطل عليها طوال اليوم، و يستنشق هواءها، وهو لا يسعد بهذا المال المكنوز، بل يشقى به، وكلما زاد، زاد خوفه وقلقه.

لدينا مثل عامي يقول: «الفقر حشمة.. والعز بهدلة» وكم بهدل المال اناسا، وجعلهم أفقر من المتسولين، وحول حياتهم إلى جحيم!

ولكن بعض الأغبياء يفضلون أن يدخلوا الجحيم وفي جيبهم مليون جنيه على أن يدخلوا الجنة وفي جيبهم عشرة قروش!



مسرات هانم

اعتادت سيدة أن تتصل بي كل صباح لتخبرني بآخر أنباء المصائب التي حلت بها وبأقاربها وأصدقائها وجيرانها. ما من مرة أخطأت وأبلغتني خبر خطبة أو فرح أو ولادة مولود أو ترقية موظف أو نجاح مؤسسة. وأطلقت عليها لقب «مدام مسرات هانم» كما اعتادوا في القهاوي أن يطلقوا على الفنجان الفارغ اسم الفنجان المليان!

وفي يوم تبلغني مسرات هانم أنها أصيبت بمغص كلوي، وفي اليوم التالي تؤكد لي أنها تشتبه في أنـها مريضة بالسرطان، وفي اليوم الثالث تقول انها تحس بالتهاب في أصبع قدمها وتتوقع أن الجراح سيقطع ساقها. فاذا انتهت من جميع الأمراض والأوبئة المعروفة وغير المعروفة نكدت عليّ حياتي بنبأ أن ابن بنت عمة خالتها داسه الترام أو أن شقيق زوج سلفتها صدمه قطار حلوان، أو أن أخت حرم ابن شقيقة عمها غرق وهو يسبح على شاطىء الاسكندرية فاذا تخلصت من جميع أقاربها وأنسبائها وأصهارها وشيعت جنازتهم ودفنتهم بكل إجلال واحترام بدأت تجيء لي بأنباء النكبات والمصائب التي حلت بجيرانها!

والعجيب في أمرها أنها تحفظ جميع الأسماء المنشورة في صفحة الوفيات، وأحيانا تعرف أسماء موتى لم تنشر أسماؤهم بعد في صفحة الوفيات، مما يدل على أن مسرات هانم لها صلات وثيقة بجميع الحانوتية والتربية في أنحاء الجمهورية!

ولست أعرف لماذا اختارتني مسرات هانم دون سواي من الشعب المصري الكريم لتنكد عليَّ حياتي كل يوم بأنباء الكوارث، ولقد بلغ من اهتمامها بهذا الشأن أنها تتتبع محطات اذاعات العالم لتعرف آخر أنباء الزلازل والبراكين وسقوط الطائرات وغرق البواخر واندلاع الحرائق وعدد القتلى والجرحى والمفقودين في كل حادث. وفي بعض الأحيان أتصور أن «مسرات» تجد في «مصائب أبيل» بدل «السكس ابيل» أي الجاذبية الجنسية، وأن هذه الجاذبية هي التي تدفعها إلى أن تغمرني كل صباح —على الريق— بكل مصيبة تحدث في أنحاء العالم!

واليوم دق جرس التليفون. وسمعت صوت مسرات هانم. وقلت لها «ازيك»!

فقالت: «كويسه! الحمد لله» ودهشت وعجبت وذهلت! هذه أول مرة في حياتها أقول لهـا «ازيك» فتقـول مسـرات هانم إنها «كويسه»! وإنما كانت تقول إنها زفت وقطران وإنها مريضة وإنها تعيسة!.. قلت في استغراب: ماذا حدث في الدنيا يا مسرات هانم؟ هل أنت مريضة؟!

وفوجئت بها تقول لي: أنا لست مسرات هانم.. النمرة غلط!

السكرتيرة تصنع القهوة!

استدعى المدير العام للشركة سكرتيرته الحسناء وقال لها:

ــ ابتداء من اليوم أنت التي ستصنعين لي القهوة!

وصرخت السكرتيرة الحسناء في فزع وقالت:

ــ أنا ؟ أنا أصنع القهوة!

قال المدير العام: نعم ابتداء من اليوم سنلغي السعاة والفراشين من الشركة! لن نرفتهم لا سمح الله. إنما سننشيء معاهد لتعليمهم الحرف والصناعات. سنجعل من الساعي سباكا أو نجارا أو سمكريا أو ميكانيكيا أو نقاشا يكسب الواحد منهم أكثر من مائة جنيه في الشهر. بدلا من مرتباتهم الزهيدة القليلة، وبدلا من مستقبلهم المحدود حيث يتجمد مرتب الواحد منهم عند مبلغ بسيط لا يتعداه ولا يتخطاه إلى أن يحال إلى المعاش. و بعد أن يتدرب الواحد منهم على حرفة سيفتح المستقبل أمامه على مصراعيه بلا حدود. هذه المعاهد تعلم الحرف في شهور قليلة. لا تحتاج إلى شهادات دراسية. يمكن للطالب أن يبدأ دراسته فيها وهو في سن الستين.

عمل الساعي عمل روتيني ليس فيه تجديد ولا تغيير ولا ابتكار. وإنما العامل المدرب يستطيع أن يستغل مواهبه فيتقدم و ينطلق و يرفع مستواه ومستوى أسرته!

ووقفت السكرتيرة مذهولة! كيف تعمل الشركة بلا سعاة؟! ولم تعرف أن نظام السعاة هذا غير موجود في أي بلد متمدين!

لقد قابلت منذ سنوات مستر هارولد و يلسون رئيس الوزراء البريطاني ولم يدق الجرس و يطلب لي فنجان قهوة أو فنجان شاي. بل قام من مكتبه وأخذ ترموس به شاي خلف مكتبه، وسكب لي فنجانا وسكب لنفسه فنجانا. وبعد أن شربنا الشاي جاءت السكرتيرة وأخذت الفنجانين وغسلتها! لا سعاة ولا حجاب ولا خدم ولا حشم!

لا تجد أمام مكتب الوزير أورطة من السعاة يقفون لتحيتك و يأخذون لك تعظيم سلام!

لا ينتظر السعاة أمام باب الوزارة ليهرعوا لفتح باب سيارة الوزير! عملية تنظيف الوزارة تبدأ عند منتصف الليل، ولا تبدأ في الصباح كما هو الحال عندنا وكأن الأتربة والعفار والقمامة تقول للموظفين يا صباح الخير!

سوف يغضب السعاة اليوم لالغاء هذا النظام، ولكن بعد سنوات عندما يصبح الواحد منهم أسطى «قد الدنيا» فسوف يحمد الله على أنه انتقل من ساع إلى مرتب وزير!

وسوف تبقى أكبر مشكلة في الدولة أن بعض السكرتيرات لا يعرفن كيف يصنعن فنجان القهوة!



لاتيأس!

وقفت إلى جانبه في قصة كفاحه.. كانت عموده الفقري إذا عجز أن يرفع قامته، وكانت درعه إذا انهالت السهام عليه.. وكانت شعاع الأمل إذا أظلمت الدنيا في وجهه. وكانت العصا التي يتوكأ عليها وهو يصعد الجبل. وكانت المظلة التي تقيه حرارة الشمس وسقوط الأمطار!

وصل فوق كتفيها ثم دفعها بقدميه. ارتفع على رأسها ثم داس عليها بحذائه. ما أشقى المرأة التي تعطي للرجل كل حياتها و يبخل عليها باسمه.. ما كاد الشاب يحصل على درجته العلمية ويجد وظيفة مرموقة، حتى أدار ظهره لها. بدأ يهرب منها.. ثم يختلق الأعذار للتخلص منها.. الحب التهب عندما كان محتاجا إليها.. وتحول إلى رماد عندما استغنى عنها. كانت سلما يصعد عليه إلى أحلامه وعندما حقق الأحلام دفع السلم بقدميه..

وهي شقية بنذالته. ولكنني قلت لها انني سعيد بهذه النذالة. من حسن حظها أنها جاءت مبكرة قبل أن تتزوج وترزق بأولاد. مثل هذا الرجل كان سيتخلى عنها في أي لحظة.. سيتخلى عنها إذا وجد امرأة أخرى يزيد دخلها عشرة جنيهات عن حبيبته.. سيتخلى عنها إذا استطاع أن يصل إلى قلب بنت مدير الشركة التي يعمل بها.. سيتخلى عنها إذا مرضت.. سيتخلى عنها عندما تجيء لها الشيخوخة قبل أن تجيء إليه.. مثل هؤلاء الأنذال لا نعرف متى يكشفون عن وجوههم. بعضهم ينجح في أن يخفي وجهه تحت القناع السنوات الطويلة!

قلت لها ان الله يحبها.. في بعض الأحيان تقع لنا كارثة ونظن أنها قضت علينا، ومع الأيام نكتشف أن الله أنقذنا بهذه الكارثة من كارثة أكبر. تماما كما تكون ماشيا على شريط السكة الحديد، فتجيء يد قوية وتدفعك وتلقيك على الأرض، وتغضب وتتألم وتثور، ثم تكتشف أن هذه اليد التي دفعتك بعنف إنما أنقذتك من أن يدوسك القطار..

في حياة الإنسان ضربات غير منتظرة، نتوهم أنها سحقتنا، ثم تجيء الأيام وتثبت لنا أن هذه الضربات دفعتنا إلى الأمام.. أنقذتنا من مطارق كانت ستسقط فوق رؤوسنا إذا لم تقذف بنا الضربة بعيدا عن الخطر المميت!

أعرف شابا فوجيء بقرار ظالم برفته من وظيفة صغيرة في الدولة.. لم يجد إنسانا يشكو إليه.. لم يجد بابا يفتح في وجهه.. ثم هاجر إلى الخارج يائسا شقيا، وبعد سبع سنوات أصبح نائب رئيس مجلس إدارة أحد أكبر البنوك العالمية بمرتب شهري أكبر من مرتبه في الوظيفة الأولى لمدة عشر سنوات!

إن الله أغلق كل هذه الأبواب في وجهه.. ليجعله يتجه إلى الباب الوحيد الذي كان ينتظره..

إذا دقت مصيبة على بابك.. فانتظر! لا تيأس! إن الذي سيدق بابك بعد ذلك سيكون الفرج!

بدأنا بشقة فوق السطوح

في مثل هذا اليوم منذ ٢٣ سنة صدر العدد الأول من «أخبار اليوم» إنها قصة حب. فيها لقاء وفراق، وعشق وشوق، وفرحة ولوعة، وقرب وهجر... وفيها خذول أيضا!

بدأنا بشقة فوق السطوح. كانت أزمة المساكن خانقة. لم نجد إلا غرفا فوق السطوح ندخلها بسلم حديدي كسلم المطبخ. الشقة فيها ١٤ غرفة لأننا لم نجد شقة من غرفتين! أغلقنا ١٢ غرفة وفتحنا غرفتين!

كان عددنا ٨ محررين. الرسام رخا ومحمد علي غريب وحسين فريد ورمسيس نصيف وعبدالصبور قابيل وتوفيق بحري وعلي أمين وأنا! كان مجموع مرتبات المحررين مائة جنيه في الشهر! كانت أحلامنا أن نصدر جريدة كبيرة، وكان الناس حولنا يضحكون ساخرين! بعضهم يشفق علينا، وبعضهم يرثي لنا، وبعضهم يتصور أن ما نفعله هو محاولة الانتحار من سطح عمارة شرف والبنا ٤٢ شارع قصر النيل. حيث بدأنا!

كنا نحلم وعيوننا مغلقة. لو كنا فتحنا عيوننا لما أصدرنا «أخبار اليوم» أبدا. كانت أمامنا مصاعب وأهوال متاعب عملاقة، لم نرها لأننا كنا أقزاما! كان كل الخبراء يتوقعون لنا الفشل والسقوط. وكنا وحدنا الجهلاء! لم يكن معنا إلا إيماننا بالله وتفاؤلنا وعرقنا!

وكان حجم الجريدة الأسبوعية الذي اخترناه حجما غير مألوف، وكانت طريقة تحريرها جديدة، ولما رأى الرسام رخا البروفة الأولى من العدد الأول أغمي عليه، وراح يضرب كفا على كف يبكي الجريدة التي ستموت يوم مولدها.

.. كنا لا نملك مطبعة. كنا نحرر في شارع قصر النيل، ونجمع الحروف في مطبعة مصر بشارع مظلوم. ونجمع صفحة في مطبعة المصري بشارع ضريح سعد.. وكنا نكبس الصفحات في ادارة الأهرام بشارع مظلوم. ونطبع الجريدة في مطبعة الأهرام على الكورنيش.

وكنا نحمل صفحات العديد من مطبعة مصر، أنا أحمل من ناحية، وعلي أمين من ناحية أخرى وخلفنا المحررون يحملون الأطراف ونسير على أقدامنا إلى مطبعة الأهرام. لم يكن لدينا سعاة أو عربات تحمل صفحات الجريدة. كنا نجد لذة في هذا الشقاء. لم نكن نشعر بخجل خشية أن يرانا الناس ونحن نقوم بمهمة السعاة، كنا نشعر أن هذا فخر لنا وشرف. وفي تلك الليلة كان سابا حبشي وزير التجارة السابق يركب سيارته في شارع الدواوين. ورآنا نحمل الصفحات بأيدينا فأوقف سيارته ونزل يحمل الصفحات معنا وهو يمسح عرقه ويقول: إن المشروع الذي يبدأ وأصحابه يحملونه بأيديهم سوف ينجح.. وأنا يسعدني أن أحمل معكم هذا النجاح...

ولكن هذا النجاح لم نصنعه وحدنا. صنعه معنا ألوف المحررين والعمال والموظفين وصنعه ملايين من القراء الذين استطعنا بفضلهم أن نحول الحلم إلى حقيقة أجمل كثيرا من الأحلام!

في استطاعة أي شاب مصري أن يعمل أكبر كثيرا مما عملنا لو عشق عمله. لو تفانى فيه. لو عرف أن النجاح هو مئات المرات من الفشل

والخيبة، وبعد كل مرة تحاول أن تقف على قدميك وتبدأ من جديد.

الفشل الأول ليس نذير الهزيمة بل هو بشرى النجاح!

دخلت الجنة قبل أن تموت!

أجمل وجه في الدنيا هووجه إنسان قنوع. وإذا كانت القناعة كنزا لا يفنى، فان الجشع هو صندوق زبالة!

وعندما أرى إنسانا جشعا أحس بنفور عجيب منه. الأسنان اللؤلؤية تبدو كالأنياب. الأصابع الجميلة تبدو كالمخالب. الفم الصغير يتسع حتى يصبح كالبالوعة!

وكثيرا ما يحدث لك أن تقرر أن تعطي إنسانا شيئا، فلا تكاد ترى في عينيه نظرات الطمع حتى تجد كفك تنقبض، و يدك ترتد، فالوجه القنوع يشجعك على الخير، والوجه الجشع يحولك من كريم إلى بخيل!

ولقد رأيت أمس سيدة جميلة جدا في السبعين من عمرها. كانت تقيم مع أولادها الخمسة في غرفة واحدة. لا مطبخ فيها ولا حمام ولا دورة مياه. كانت لها دورة مياه ومطبخ وحمام مشترك مع أربع أسر أخرى تقيم في نفس الشقة. ولم يكن في بيتها كهرباء.. وسمع رجل طيب بأمرها فأعطاها شقة من غرفتين! ودخلت الشقة الجديدة وكأنها دخلت الجنة! ورأيتها بعد شهر من انتقالها إلى هذه الجنة المكونة من غرفتين فوجدتها قد صغرت ثلاثين سنة، كانت سعيدة بأنها استطاعت لأ ول مرة أن تذهب إلى الحمام بقميص النوم كانت كل يوم تضطر في غرفتها السابقة أن ترتدي كل ملابسها حتى تذهب إلى الحمام. إنها تستطيع أن تطهو الفول النابت لغداء أولادها إذا لم يكن معها ثمن خضروات أخرى، ولا تخجل من نظرات جيرانها الذين كانوا يشاركونها في نفس المطبخ. إنها فتحت التليفزيون لأ ول مرة في حياتها! كان ابنها قد اشترى تليفزيونا منذ ثماني سنوات ولم تفتحه لأن الغرفة ليس فيها كهرباء! استطاعت لأ ول مرة أن تتكلم مع أولادها بصوت عال، فقد كانت تضطر قبل ذلك إلى الهمس حتى لا يسمعها الجيران. وأغرب من هذا أن صحتها تقدمت تقدما عجيبا، وذهبت إلى المستشفى الذي يعالجها وما كاد الطبيب يكشف عليها حتى ذهل. ضغطها العالي أصبح عاديا. نبضها المضطرب عاد إلى الانتظام. وسألها الطبيب: أي دواء أخذت؟ قالت: لم آخذ دواء، كل ما حدث أنني أصبح لي حمام ومطبخ ودورة مياه لأ ول مرة منذ عشر سنوات! وهذه ظاهرة خطيرة تقتضي اهتمام وزارة الصحة في مصر، وتجعل بناء المساكن في مصر من بين الأدوية التي يجب توافرها في البلاد!

وسألت السيدة السعيدة: ماذا تريدين من الله؟

قالت: لا أريد شيئا! كل ما أريد هو أن أشكر الله انه أدخلني الجنة قبل أن أموت!

عجبت أن أرى هذه القناعة الحلوة في عيني هذه المرأة العجوز، وتذكرت آخرين يقيمون في شقق من غرف كثيرة ولا يحمدون الله!

وهذا هو الفرق بين القبح والجمال!



خرجت حية من تحت الأنقاض

خفق قلب كل إنسان أمس في مصر، وهو يرى صورة الطفلة نهلة محمود، البالغة من العمر ثلاث سنوات، والتي أخرجوها حية من تحت الأنقاض، بعد ٢٦ ساعة من انهيار منزل الظاهر على أسرتها الصغيرة. كانت تصيح وهم يشدونها من الأحجار والترب «ماما نائمة هناك».

ولم تكن ماما نائمة إنما ماتت هي وأبوها تحت الأنقاض!

ونجت شقيقتاها، نيرمين محمود التلميذة بالمدرسة الالهامية الخاصة والبالغة من العمر تسع سنوات ومنال محمود التلميذة البالغة ثماني سنوات. كانتا في المدرسة عندما انهار البيت على أمهما وأبيهما وأختهما الصغيرة نهلة!

رأت ليلة القدر أن تتبنى الطفلات الثلاث وتدفع لهن خمسين جنيها كل شهر حتى ينتهين من الدراسة.

ولكن ماذا يحدث لهن بعد أن نذهب؟ تذكرنا قصة الطفل فتح الله أحمد عبدالعزيز!

كان واصف غالي باشا أحد أبطال ثورة ١٩١٩ وحكم عليه الإنجليز بالاعدام وصادروا أمواله، ثم استبدل الحكم بالأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات. وكان متزوجا من سيدة فرنسية كانت ترتدي برقعا أبيض وحبرة سوداء وتمشي في مقدمة مظاهرات الثورة متحدية حراب الإنجليز. ومات واصف غالي وورثته زوجته ولم تنجب أولادا فأوصت لهذا الطفل اللقيط بكل ما تملك وهو مائة فدان، وأهمية هذه الوصية أن السيدة فرنسية والطفل مصري، والسيدة مسيحية والطفل مسلم. ولكنها كانت تعبر بهذه الوصية عن روح الثورة التي جمعت بين الصليب والهلال!

ثم جاءت لجنة تصفية الاقطاع وأمرت بحرمان هذا الطفل مما أوصت به السيدة، وقررت اللجنة أن تصرف له وزارة الشؤون الاجتماعية عشرين جنيها كل شهر! ما الذي يضمن ألا يجيء الذين بعدنا و يستكثرون على نهلة ونيرمين ومنال الخمسين جنيها، و يدخلونهن ملجأ من الملاجيء، و يدفعون لهم اعانة خمسين قرشا!

اتصلت بي المطربة فايزة أحمد وقالت انها مستعدة أن تتبنى نهلة، ولكن الذي نريده أن لا نفرق بين الأخوات الثلاث.. نريد أن نبعث لهن عن أم وأب يعطيانهن بعض الحنان وبعض الحب و بعض الثقة الذي فقدنه في هذه الكارثة!

كل أموال الدنيا لا تستطيع أن تعوض نهلة الصغيرة عن حنان أمها!

خبر سيئ للطلبة!

وأنا تلميذ، كنت أشعر أن أيام المدرسة هي أحلى أيام الحياة. وكان لا يعكر صفوها إلا أيام الامتحانات، وكنت أتمنى لو كانت الدراسة بلا امتحانات..

ثم لم ألبث أن علمتني الحياة أن الامتحانات هي مرة كل يوم، وليست مرة كل عام. وفي كل يوم نصادف أشكالا وألوانا من الامتحانات القاسية، حتى أصبحت امتحانات الدراسة تبدو بجوارها امتحانات بسيطة سهلة!

وحدث من بضع سنوات أن قررت الصين إحداث ثورة في التعليم، وقررت إلغاء الامتحانات في المدارس والجامعات، و يومها تمنيت لو كنت تلميذا في الصين، لاستمتع بحلاوة أيام الدراسة بغير امتحانات، و بغير نجاح وسقوط!

وأخيرا اكتشفت الصين أن إلغاء الامتحانات كان سببا في انهيار مستوى التعليم، وعادت وقررت إعادة الامتحانات.

وعقدت امتحانات لطلبة كليات الرياضة وفوجئت بأن بعضهم يجهل القواعد الأولى لعلم الحساب! وظهرت نتائج في بعض الكليات فظهر أن مستوى بعض طلبة الجامعة أقل من مستوى طالب ثانوي في عصر الامتحانات..

واتفق أساتذة الجامعة أن لا سبيل إلى رفع مستوى خريجي الجامعة إلا بعودة نظام الامتحانات كما كان في الماضي، بعد أن فشل الاعتماد على ضمير التلميذ الثوري وعلى اعتناقه مبادىء ماوتسي تونج، ليؤمن بضرورة استذكار دروسه وعدم الوقوف في النافذة لمعاكسة بنت الجيران!

ومما يذكر أن بعض كبار رجال التربية في أوروبا وأمريكا كانوا ينظرون باعجاب واكبار للتجربة الصينية، و يطالبون بادخال نظام إلغاء الامتحانات في جامعات ومدارس أوربا وأمريكا.

ولكن بعدالقرار الذي صدر في الصين باعادة الامتحانات، قرر هؤلاء العلماء الاحتفاظ بالنظام القديم، و بشعاره «عند الامتحان يكرم المرء أو يهان»!!

وأعتقد أن هذا خبر سيىء جدا لإخواني الطلبة والطالبات!



رقم قياسي

نزل الشاب المصري القادم من الطائرة، ودخل إلى جمرك مطار القاهرة، وفوجىء بأنه خرج من الجمرك هو وأمتعته في خمس دقائق فقط لاغير! لم يصدق عينيه، عاد أدراجه بأمتعته إلى موظف الجمرك وقال له: أنا راكب قادم بالطائرة من الكويت وهذه أمتعتي! وقال له الموظف: اتفضل؟! وفتح الشاب فمه في دهشة وقال للموظف: أتفضل ازاى؟ ألا تنوي أن تشتمني وتسخر مني وتشخط في؟ قال موظف الجمرك: اتفضل على الرحب والسعة!

وتسمر الشاب المصري في مكانه. خيل إليه أن الطائرة أخطأت ونزلت في مطار غير مطار القاهرة! لابد أن هذا مطار زيورخ أو مطار لندن أو مطار باريس! ولكن الموظفين يتكلمون اللغة العربية. والبناء هو بناء مطار القاهرة... ماذا حدث في الدنيا؟ هذا الشاب سافر إلى الكويت منذ عشرين سنة، واعتاد أن يحضر إلى القاهرة مرة كل عام. واعتاد أن يمكث في جمرك القاهرة أكثر من المدة التي يمضيها في الطائرة من الكويت إلى القاهرة. واعتاد على العبث بحقائبه، وعلى سماع الكلمة السمجة التي يظنها البعض منا خفة دم وهي تدخل فيما لا يعنيهم، كان يشعر أن بعض الموظفين يعقدون له في كل مرة محكمة يحاكمونه فيها، وهم يفترضون أن كل راكب لص أو مهرب أو تاجر حشيش. وكان في كل مرة يحضر إلى القاهرة يقسم أن لا يعود إليها. ثم يضطر أن يعود لأن أمه في مصر ولا يستطيع أن يبتعد عنها أكثر من عام. وكان لهذا يتحمل البهدلة والإهانة، وكان يعجب أنه يمر بعشرات المطارات في أنحاء العالم ولا يلقى هذه الاهانات، ولا يقابل هذه الوجوه العابسة وهذه العيون المفترسة وهذه الأيدي التي تعبث بمحتويات الحقائب ولا تفكر في إعادة ترتيبها من جديد كما يحدث في كل جمارك الدنيا. وفي هذه المرة الأخيرة تغير كل شيء، كأن عصا سحرية حولت عربة كارو إلى عربة رولزرويس. معنى ذلك أننا نستطيع أن نصلح بلدنا. معنى ذلك أنه لا يوجد مستحيل لا نستطيع أن نصنعه! وإننا إذا وضعنا الرجل المناسب في المكان المناسب يمكنه أن يحول الفسيخ إلى شربات وصندوق القمامة إلى مطار!

ومعنى ذلك أيضا أنه لولا النقد الذي نشرته الصحف لبقى حال المطار كما كان، ولما صدرت القرارات التي اكتسحت الروتين. ليس معنى هذا أن المطار وصل إلى الكمال المنشود، ولكن معناه أننا نتحرك إلى الأمام..

وهذا يجب أن يحدث و بنفس السرعة في كل مرفق من مرافق البلاد.



مطلوب أم!

الطفلة نهلة محمود التي نجت من تحت الأنقاض تقلق منامي! إنها أمضت ٢٦ ساعة تحت الأنقاض، أما أنا فأشعر من يوم أن رأيت صورتها المؤلمة، أشعر بأنني مازلت أنا تحت الأنقاض. وسوف أبقى تحت الأنقاض إلى أن نحل مشكلتها هي ونيرمين ومنال.. عيناها الحزينتان الخائفتان الحائرتان تتبعاني إلى كل مكان!

مئات من السيدات والرجال يتصلون بي، و يقولون انهم يرغبون في تبني الطفلات الثلاث. وليس مهما أن ليلةالقدر قررت أن تتبنى الطفلات الثلاث وتدفع لهن خمسين جنيها كل شهر حتى ينتهين من الدراسة، المهم أن نجد أما وأبا لهؤلاء الأطفال! أمّا تعطي قلبها وحبها وحنانها واهتمامها لهن.

ونحن نفضل أن الأم التي تتبنى هؤلاء الأطفال لا يكون لها أولاد آخرون، حتى تتمتع الطفلات الثلاث بكل الحب الذي حرمن منه! ولو أنهن عشن مع أبناء حقيقيين فسوف يشعرون بمرارة التفرقة بين الابنة الحقيقية والابن بالتبني! أسوأ عذاب يحس به الطفل الصغير عدم المساواة. إنها تجعله يكره الدنيا و يكره الناس!

ونحن نفضل أن تكون الأم الجديدة قادرة على الانفاق على هؤلاء الأطفال، بحيث لا يكون معاش ليلة القدر مصدر إيراد، تأخذه الأم لنفسها، وتجعل البنات الصغيرات يعملن في خدمتها! بل نفضل أن نجد أما توفر هذا المعاش للبنات الثلاث ليتزوجن به عندما يكبرن!

وليست نهلة وحدها هي التي تحتاج إلى الحب. توجد فتيات كثيرات يتامى الأ بو ين، تحتاج كل واحدة منهن إلى رعاية وحنان وحب واهتمام. وقصة نهلة هي مثل لهؤلاء الأطفال الضحايا. وكل واحد منا ممكن أن يحدث لطفلته ما حدث لنهلة. وهذا هو السبب في الاهتمام العجيب بها، وفي أن كثيرين من الأطفال اتصلوا بي يعرضون أن يأخذوا نهلة كشقيقة صغيرة لهم. هذا الشعور الجميل من الأطفال الأ برياء أسعدني. زاد إيماني أن مصر بخير اليوم.. وستكون بخير غدا إن شاء الله!

أجمع كل الأطباء أنه سيموت!

قال لي الاطباء انه لن يعيش. ولم أصدق أن شابا في ريعان الشباب مثله يمكن أن يموت، فاستدعيت أكبر الأطباء في المدينة فأجمعوا أنه لن يعيش إلا شهورا معدودات. وتصادف أن جاء طبيب عالمي إلى القاهرة، وشاهد صور الأشعة، وقرأ تقارير الأطباء، ثم هز رأسه أسفا وقال إن معجزة لا يمكن أن تنقذ حياته..

وجاءني أصدقاؤه يقترحون عليّ أن نمنحه أجازة سنة بمرتب كامل حتى يستمتع بالحياة. لا نرهقه بمواعيد الحضور والانصراف.. لا نضايقه بالعمل المرهق الشاق. ورفضت هذه الرحمة. وقلت إنني لو كنت مكانه لتمنيت أن أموت وأنا أعمل. الموت على المكتب ألذ ألف مرة من الموت في حديقة غناء!.. قالوا يجب أن نخبره بأن حالته الصحية سيئة حتى يقلل من المجهود. قلت: لا! سأعطيه عملا أكثر!.. لو شعر لحظة أننا نشفق عليه فسوف ينهار، وبدل أن يموت في ستة أشهر سيموت في شهرين!

ومرت عشرون سنة!

والتقيت به أمس. لم يمت.. بل ازداد صحة وشبابا.. كذبت نبوءة أعظم أطباء العالم.. كذب العلم وصور الأشعة وجميع التحليلات! لا أحد يعرف كيف حدث هذا! ليس هو دواء معينا، ولا علاجا معينا ولم يسافر إلى أوربا ويدخل أعظم المصحات. ولم يداوه الأطباء بالذرة! الأطباء الذين يعالجونه في دهشة وذهول،

ويقولون ان ما رأوه في هذا المريض الغريب لم يروه من قبل، لقد تدهورت صحته في الشهر الخامس كما حدد الأطباء تماما، ثم توقف التدهور فجأة بعد أن أجمع الأطباء أن لا فائدة، ونصحوا بوقف الدواء، ثم بدأ التحسن شيئا فشيئا، وقال الطبيب الذي يعالجه: هذه أول مرة أرى فيها ميتا يعود من الحياة!

لا تيأس من رحمة الله.. لا تصدق الذين يقولون لك ان زمن المعجزات انتهى، بالرغم من كل ما لدينا من علوم ومخترعات، فكثيرا ما تحدث أشياء لا نستطيع تبريرها أو تحليلها!

لا تفقد الأمل أبدا.. حتى ولو أجمع كل أطباء العالم أن لا أمل في الشفاء!

الله هو أكبر طبيب في العالم.



يوم في الرياض

أمسك ضابط الجوازات في مطار القاهرة جواز سفري بيده، ثم راح يقلبه في دهشة بين يديه، كيف أسافر من القاهرة إلى الرياض في يوم الاثنين ٥ ديسمبر وأعود من الرياض إلى القاهرة في يوم الاثنين ٥ ديسمبر!

ولكننا في عصر السرعة. ولقد رأيت أن أعرف أخبار الرياض بنفسي دون أن أعتمد على برقية مراسل أو حديث تليفون. فغادرت مطار القاهرة في الساعة الأولى والنصف بعد ظهر الاثنين، وعدت إلى مطار القاهرة في الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم الثلاثاء! ولم أكن أحتاج إلا لبضع ساعات لأعرف حقيقة شعور السعوديين نحو مصر.

السعوديون لم يتغيروا، وعلاقتهم بمصر لم تتغير، وحبهم لمصر لم ينقص، وهم يعتقدون أن مساعدتهم لمصر ليس واجبا عليهم يؤدونه، بل هو حق لمصر عليهم. وهم سوف يستمرون في تعاونهم مع مصر وصداقتهم لمصر ومساعدتهم لمصر. وهم يشعرون أن علاقتهم بمصر هي علاقة دائمة ومحبة دائمة.. لا تتأثر ولا تتغير بتغير الظروف.

والذين لا يدافعون منهم عن زيارة السادات للقدس يقولون ان من حق أي عربي أن يختلف مع السادات، ولكن ليس من حق أي عربي أن يشتم السادات أو يسب المصريين أو يقاطع المصريين.

حتى الذين يخالفوننا منهم في الرأي يتألمون لكل كلمة تقال ضد مصر، وكأنها تقال ضد السعودية.. وسمعت أحدهم يقول: ما كدنا نحمد الله على أن مدرسة السب والاهانة توقفت بعد أن أوصلتنا إلى ٥ يونيو حتى نفاجأ بنفس المدرسة تعود من جديد، ولا نعرف إلى أين ستقودنا هذه المدرسة مرة أخرى!

لاأحد ينكر على عربي حقه في المعارضة، بل لقد كان يمكن أن تخدم المعارضة المفاوض المصري وتقوي يده في المفاوضات مع اسرائيل، كما يفعل الإسرائيليون عندما يقسمون أنفسهم إلى حمائم تقبل وإلى صقور تعارض، ولكن هذا شيء وتهم الخيانة والعمالة شيء آخر لانسمعه في أي بلد يحترم عقول مواطنيه.

الدول المتحالفة في العالم تختلف فتتناقش.. ولكنها لا ترمي الذين يخالفونها في الرأي بالطين وهذا الطين لايوسخ مصر وإنما هو يوسخ الذين يلعبون به، أو يلعبون فيه.

سمعت أن الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية قال لأولاده: أوصيكم بمصر إن الصداقة مع مصر والمصريين هي أساس سياسة المملكة وكل فرد في السعودية يؤمن بوصية هذا العاهل العظيم عندما قال لأولاده «كونوا دائما مع مصر» وستكون مصر دائما مع السعودية.



شارلي شابلن

مات شارلي شابلن المهرج الذي كان في مرتبة الملوك. الذي أضحكنا ونحن صغار، وأبكانا ونحن كبار. الضعيف الذي هزأ بالأقوياء. المتشرد الذي سخر من أصحاب الملايين!

لم يحدث في التاريخ أن استطاع رجل واحد أن يضحك كل الناس من كل الأعمار وفي كل بقاع الأرض وكل الأزمان كما حدث لشارلي العجيب. لقد منع ماوتسي تونج كل الأفلام الأجنبية من أن تعرض في الصين، وحرمها على الشعب، ولكنه استثنى شارلي شابلن، بل كان إذا تكاثرت حوله الأزمات والأهوال جلس يتفرج على أحد أفلام شارلي لينسى هموم ٨٠٠ مليون من البشر!

ولم يكن شارلي بهلوانا كما كان يظهر في الأفلام. كان فيلسوفا. كانت في نكاته حكمة، وفي عبثه جد، وفي ضحكاته دموع! كان أول أمريكي سخر من الحياة المادية التي تعيشها أمريكا، رفس الدولار التي كانت تعبده أمريكا، ثم رفس أمريكا نفسها التي كانت تغمره بملايين الدولارات. كان أول فنان هزأ بديكتاتورية هتلر، في عصر امتلأ رعبا من الطاغية الذي كان ينتصر في كل معركة، وكان يسحق كل جيش يجرؤ على الوقوف أمامه. ركل بقدمه أصحاب الملايين في ظهورهم في عالم جعل من الأثرياء آلهة وجبابرة!

لم يكن ممثلا فقط. كان مؤلفا، ومخرجا، وملحنا للموسيقى. كان هو كل شيء في الفيلم. حتى بطلة الفيلم اما يعشقها واما يتزوجها.. وإما يهرب منها فتطارده أمام القضاء!

وفي أفلامه كانت أجمل النساء تعشقه في أول الفيلم وتهجره في نهاية الفيلم! يعاملونه كملك في الصباح وكمتسول في المساء! يبدأ قصته يرى الأحلام و ينتهي بالكابوس! كانت الناس تضحك من خيبته، وقد قال لي مرة إنه يفضل أن تنتهي قصصه بالهزيمة، لأن الناس تغار من العاشق المنتصر، وترثي للعاشق المهزوم. المتفرج يشعر بلذة عندما يشعر أنه أقوى من البطل الذي يشهده على الشاشة، ولكنه إذا رأى بطل الفيلم يقبل البطلة الجميلة في نهاية القصة يخرج من الفيلم وهو يشعر بحسرة لأنه لم يخرج هو مع البطلة الجميلة، و يشعر بغيرة عمياء من الممثل الذي أخذ منه الممثلة الحسناء التي كان يتمناها طول الفيلم! إنها فلسفة غريبة، ولكن هذه الفلسفة جعلت شارلي يمثل ٨٠ فيلما ناجحا من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩٦٧ تدر عليه الملايين.

وذات يوم وجد أغلبية الشعب الأمريكي ضده. هو يريد محاربة هتلر، ولم يكن الشعب وقتها مستعدا للحرب — ورفض أن يسكت واستمر ينادي برأيه. وتعالى الهجوم ضده وتدخلت الصحف في حياته الشخصية و بدأ الشعب يطالب بطرد البطل الذي أحبه عشرات السنين. وانتشرت هستيريا الغضب وخضعت حكومة أمريكا وقررت نفي أعظم ممثل في العالم من أمريكا لأنه أجنبي، فقد احتفظ دائما بجنسيته الانجليزية رغم أن أمريكا هي التي أعطته الشهرة والمال والمجد.

وهاجر إلى سويسرا وعاش فيها ٢٥ عاما، ورفض أن يعود إلى أمريكا وأصر أن يدفن في سويسرا حيث فقد الملايين.. وربح الحرية!

مسئولية الجامعة !

قامت أسرة «أحباء مصر» بكلية التجارة بجامعة القاهرة برحلة إلى السويس وعين السخنة على شاطىء البحر الأحمر، وأشار المشرفون على الرحلة إلى مكان على الشاطىء وطلبوا من الطلبة أن يستريحوا فيه . وقام عدد من الطلبة لالتقاط صور أمام فندق، وتبعهم الطالب حاتم عبدالرحمن سليم، البالغ من العمر ١٩ سنة، والطالب بالسنة الثانية. وفجأة انفجر لغم في الشاب الأسمر الجميل. و بتر اللغم يده اليمنى وقدمه اليمنى، وأصابت شظية الحنجرة فعجز عن النطق، وأصيب بجروح في عينه اليسرى !

ولم ينبه أحد الطلبة إلى أن هذه منطقة عسكرية، وأن فيها ألغاما . وعندما وقع الحادث لم يتحرك أحد لنجدة الشاب المصاب لمدة ثلاث ساعات، إلى أن جاء خفير المنطقة وجذبه بحبل خشية أن يصاب الخفير، لو دخل إلى المكان وحمل المصاب.. وقد كان من المفروض أن يجيء خبير الألغام على الفور، فقد كان من الممكن أن ينفجر لغم آخر أثناء جذب الطالب الجريح..

ونقل الشاب إلى مستشفى جاردن سيتي في حالة سيئة بين الحياة والموت . والمطلوب أن تتحرك الجامعة وتعالج هذا الطالب على نفقتها، وترسله إلى الخارج لانقاذ عينيه ولتركيب أطراف صناعية .

الجامعة مسؤولة عن كل طالب يشترك في أي رحلة جامعية . وليس مهمة إدارة الجامعة أن تنتظر حتى ترسل مندوبا يسير في جنازة الطالب، أو تضع باقة من الورد على قبره..

وعندما تقرر أسرة من طلبة الجامعة أن تقوم برحلة فهذه مسؤولية إدارة جامعة القاهرة وليست مسؤولية الآباء الذين توهموا أن أولادهم إذا اشتركوا في رحلة جامعية فانهم سيكونون في حماية الأساتذة والمشرفين !

ومادامت هذه المناطق خطرة، فبأي حق يسمح للمدنيين بالدخول إليها ولماذا لا تعلق عليها لافتة تحذر الناس من الاقتراب منها أو يوضع عليها سلك شائك ؟!

إن حاتم عبدالرحمن سليم هو مسؤولية الجامعة.. فاذا تخلت الجامعة عن هذه المسؤولية، فاننا ندعو كل رجل وامرأة في مصر ليقوم بما كان يجب أن تقوم به الجامعة !

زوجة المستقبل

سألتني طالبة في مدرسة حدائق القبة الاعدادية للبنات عن رأيي في الزوجة المصرية العاملة، وعن الاقتراح بأن تدفع الحكومة نصف المرتب لكل موظفة لتبقى في البيت! وقد أمضيت عمري أطالب بدخول الفتاة المصرية إلى الجامعة شأنها في ذلك شأن الشاب، وأطالب بحقها في العمل، وفي تولي جميع مناصب الدولة حتى منصب رئيس الجمهورية، وغير معقول أن أوافق اليوم على أن تعود المرأة اليوم إلى البيت وتعيد عصور الحريم!

لا أتصور أن بعد عشر سنوات ستوجد امرأة مصرية لا تعمل. ولن يستطيع الزوج وحده أن يفتح بيتا، ولابد من اثنين لفتح بيت سعيد. وفي الماضي كانت المرأة المصرية تمضي بضع ساعات كل يوم في طهو الطعام، وكانت تخصص يوما للغسيل، و يوما للمكوى، و يوما لتنظيف البيت. والاختراعات الحديثة ستجعل في متناول الزوجة العادية أن تشتري الآلات التي تطهو الطعام في دقائق. وسوف يذهب إلى الأبد العصر الذي كانت فيه تمسك يد الهون وتدق الكفتة، أو تمضي الساعات في صنع الطعام المسبك... الأطباء الآن يقولون إن الطعام المسبك هو الذي يقصر عمر المصريين، وإنما الطعام السريع هو الذي أصبح يطيل عمرهم!

وسوف تدخل الغسالات الكهربائية في كل بيت وكذلك المقشات الكهربائية... و يوجد الآن اختراع حديث في بعض بيوت أمريكا، فتدوس على زر، فيوضع الشاي على النار، ثم يتم قلي البيض وتسخين العيش واعداد الجبن، و وضع كل هذا فوق صينية تتحرك أوتوماتيكيا من المطبخ وتدخل غرفة نومك وتتقدم إلى فراشك وتقف أمامك لتتناول طعامك وأنت في الفراش كأنك ملك من الملوك!

و يوجد أيضا اختراع جديد إذا أقفلت باب بيتك أطفأ كل الأنوار أوتوماتيكيا، وإذا فتحت الباب أضاءت كل الأنوار، وفي الوقت نفسه إذا أقفلت باب الشقة أغلقت كل الأبواب وراءك! و يوجد اختراع ثالث تدوس على زر فيتحرك جهاز يكنس البيت ويمسحه و يلمعه.. كل ذلك في بضع دقائق!

و بعد سنوات قليلة ستكون هذه الأجهزة رخيصة، وستباع في أول الأمر بسعر التليفزيون، ثم تباع بعد ذلك بسعر الراديو، وسوف تستطيع الزوجة أن تشرف على التدبير المنزلي كله في خمس دقائق وهي جالسة في مكانها! فماذا تفعل الزوجة بباقي الأربع والعشرين ساعة؟

ولا أستبعد أن يخترع العلماء جهازا يقوم بدور النائب العام في البيوت الزوجية فاذا تأخر الزوج في العودة إلى بيته عن ساعة معينة انطلق صوت كالمدفع الرشاش يسأله أين كان ولماذا تأخر وهل هذا بيت أو لوكاندة.. كل ذلك دون أن تفتح الزوجة فمها أو تحرق أعصابها أو تغير دمها!

وسوف يكون من الصعب جدا على الزوجة التي لا تعمل أن تجد زوجا... تماما كما يحدث اليوم عندما ترفض الفتاة أن تتزوج من عريس عاطل!

باعت كل شيء!

ماتت أرملة ونستون تشرشل العظيم . ماتت أرملة أعظم حاكم وأقوى حاكم في تاريخ بريطانيا في شقة متواضعة في لندن. عجزت عن دفع ايجارها ، لأن معاشها كان ٦٠ جنيها في الشهر فقط لاغير! واضطرت أن تبيع فضياتها وأثاث بيتها والصور الزيتية التي رسمها زوجها ، لتسدد الإيجار البسيط وتدفع ثمن الدواء!

وعندما سمع الشعب البريطاني بأن أرملة أعظم رجل في تاريخ بريطانيا تبيت الليالي أحيانا جائعة لأنها لا تجد ثمن العشاء، تقدم كثيرون يعرضون قصورهم و بيوتهم على أرملة الحاكم الشريف، وبدأت التبرعات تنهال عليها.

ورفضت ليدي تشرشل القصور وأعادت عشرات الألوف من الجنيهات إلى المتبرعين ، وقالت إن زوجة تشترشل لا تقبل صدقة! ومادام في بيتها كرسي فسوف تبيعه لتأكل وتعيش.

وكان مجلس العموم قد أصدر قانونا بمنح معاشات كبيرة لأ رامل رؤساء الوزارات والوزراء وأعضاء البرلمان!

وحرمت ليدي تشرشل وحدها من تطبيق هذاالقانون ، لأنه نص على ألا يطبق على أرامل الرؤساء الذين تركوا الخدمة قبل عام ١٩٧٢ .

وكانت ليدي تشرشل هي وحدها التي لا يطبق عليها قانون المعاشات السخي!

وتقدم بعض أعضاء مجلس العموم بمشروع قانون يطلبون فيه استثناء أرملة تشرشل من القانون ومنحها معاشا كبيرا كسائر أرامل رؤساء الوزراء والنواب!

ورفضت مسزتشرشل ، وقالت إن زوجها كان دائما ضد أن يصدر قانون من أجل فرد واحد!

وعدل النواب عن هذا القانون!

وفي يوم السبت الماضي توجهت ليدي تشرشل إلى محل للفضيات في لندن و باعت عددا من الشوك والسكاكين!

كانت آخر ما عندها من الشوك والسكاكين الفضية!

وفي يوم الاثنين أسلمت الروح!

باعت كل شيء.. ولكنها لم تبع ذكرى زوجها العظيم!

كوهين يستقبل السياسة

كان الخواجا كوهين نائما في فراشه، يغط في نومه، ورأى في الحلم ملاكا يهبط عليه من السماء، يحمل صرة من النقود الذهبية، وفتح الملاك الصرة، ومد الخواجه يده في لهفة، و بدأ الملاك يضع في يد الخواجا كوهين جنيهات ذهبية، و يعدها واحدا بعد واحد، ورنين كل جنيه في أذن كوهين كالموسيقى العذبة، و وصل عدد الجنيهات الذهبية إلى تسعين في كف الخواجا كوهين. ثم توقف الملاك عن العطاء..

وصاح الخواجا كوهين محتجا: خلليهم مائة جنيه!

ورفض الملاك أن يعطي جنيها واحدا زيادة عن التسعين جنيها. وعاد الخواجا كوهين يلح: خلليهم خمسة وتسعين!

ورفض الملاك. وعاد الخواجا كوهين يفاصل و يساوم و يلح و يرجو: طيب خليهم واحد وتسعين!

ورفض الملاك...

وفتح الخواجا كوهين عينيه فوجد كفه خالية. لم يجد التسعين جنيها التي رفضها. وعاد الخواجا كوهين يغلق عينيه و يقول في حسرة:

طيب زي بعضه! هات التسعين جنيه!

ولم يجد الخواجا كوهين شيئا!

طيب هات ثمانين.. هات سبعين.. هات ستين.. هات خمسين.. هات ثلاثين.. هات عشرة!

ولكن الملاك اختفى، ولم يترك في كف الخواجا كوهين مليما واحدا!

واليوم يحدث للخواجا كوهين ما هو أجمل من الأحلام، يفتح عينيه فيرى أمامه ملاك السلام يعطيه في يده قرارا بأن لا حرب بعد اليوم و يعطيه في يده الاعتراف باسرائيل.

فاذا أصر الخواجا كوهين اليوم أن يأخذ فوق هذا شبرا واحدا من الأرض العربية التي احتلها في حرب ١٩٦٧ وإذا أصر أن ينتقص من حقوق شعب فلسطين، فانه بذلك يفعل ما فعله مواطنه الخواجا كوهين في الماضي.

لن يجد في يده تسعين جنيها.. ولا ثمانين جنيها.. ولا عشرين جنيها.. ولا مليما.

ولن يجد ملاك السلام أيضا!

دعاء ليلة رأس السنة

يا رب! أعطني قلبا كبيرا يتسع للناس جميعا، لا قلبا صغيرا املؤه بشخصي! اعطني قلما يكون سيفا أرفعه في وجه الظالم، و يكون درعا أحمي به المظلوم. اعطني لسانا يرق مع الضعفاء ولا يتزلف للأقو ياء. اعطني صدرا يتسع لقبول الرأي الآخر ولا يضيق بآراء المخالفين والمعارضين.. اعطني شجاعة لأقول الحق ولا أرهب من الباطل. اعطني رأسا يتفتح للفكر الجديد، ولا يتحجر و يتجمد مع الجامدين. اعطني عينا ترى محاسن الناس وتغمض عن عيو بهم، واعطني عينا ثانية ترى أحلام الغد ولا ترى خرائب الماضي!

يا رب اعطني القوة لأصمد أمام ضربات الطغاة ولا تعطني الجبروت لأسحق المستضعفين. اعطني يدا أمدها للواقعين على الأ رض، لا لتصفق في مواكب المنتصرين. اعطني أصدقاء يحيطون بي في أيام الرخاء، أصدقاء يواجهونني بأخطائي و يصارحونني بأغلاطي، لا يفرشون أمامي الأ رض بالملق والرياء! اعطني أعداء أقو ياء، فان صراع الأقو ياء متعة ومحار بة الضعفاء هوان.

يا رب! علمني أن أحترم الرجل ولا أحترم الكرسي الذي يجلس عليه وأن أخاف منك ولا أخاف الحاكم. وأن أحني رأسي للحق، وأرفع رأسي أمام القوة. علمني أن هذه الدنيا فانية وأنها تدور. وأن العزلا يقف أمام بيت واحد إلى الأ بد.

أسياد اليوم هم خدم الغد. وفقراء الحاضر هم أغنياء المستقبل. علمني أن رصيد الإنسان ليس الأموال التي يملكها في البنوك، وإنما الحب الذي يملأ به القلوب. وأن المنصب الكبيرلا يرفع الرجل، وإنما العمل الكبير هو الذي يرفعه، والعمل الصغير هو الذي يهوى به إلى الحضيض..

يا رب علمني أن أحب الناس كما هم لا كما أريد أن يكونوا! أنا لست إلها حتى أخلق الناس على مزاجي، وأن أشكلهم كما أهوى وأن أجعلهم يعشقون ما أعشق و يكرهون ما أكره! الله خلق الناس أشكالا وألوانا، فعلمني أن أرى أجمل ما في الناس.. فكل واحد فينا فيه جزء جميل وجزء قبيح... اجعلني يا رب أنظر في المرآة قبل أن أرى القبح في الآخرين!

يا رب.. زدنا حرية وزدنا ديمقراطية واعطنا السلام!

هذا هو دعائي!

يارب املأ قلوبنا بالإيمان ..

يارب !

يارب اعطني قوة البصر لأ رى اخطاء نفسي ، كما اعطيتني حدة البصر لأ رى اخطاء الآخرين !

يارب اعطني قوة السمع لاسمع أنين الضعفاء الخافت الذين ليس لهم القدرة على رفع اصواتهم .. اجعل همس المظلومين كالرعد في اذني ، حتى اهب لنجدتهم ، ولا اغفووانا اسمع اصوات استغاثتهم !

يارب اعطني حاسة شم اضعف مما عندي ، حتى لا اشم رائحة المجاري ورائحة أكوام القمامة في الشوارع ! لقد اصبح الزكام الملعون نعمة في هذه الأ يام !

يارب اعطني حاسة ذوق اضعف لكيلا افرق بين رغيف الخبز المغشوش والمخلوط بالتراب ، ورغيف العيش النظيف المخلوط بالدقيق !

يارب اعطني حاسة لمس اضعف ، حتى لا المس الاهمال في الخدمات ، ولا المس الفوضى في المرور،ولا تتعب اصابعي وانا ادير قرص التليفون فيجيء بارقام خطأ ، أو لايجيء بحرارة على الاطلاق !

يارب اعطني عقلا اصغر حتى اصدق البيانات التي تنشرها المرافق المختلفة ، على ان كل شيء على ما يرام ، وان اصدق ان مياه المجارى هي مياه كولونيا وروائح عطرية ، وان اكوام القمامة هي ورود ورياحين وتماثيل فنية تزين بها المحافظة شوارع المدينة ، وان القطاع العام مشغول ببناء قصور لنا في الجنة ولهذا لم يجد وقتا ليبني لنا شققا نسكن بها في العواصم ! وان المقصود برفع سعر كيلو اللحم هو المحافظة على صحة الشعب المصري بعد ان تبين ان احد سكان الاتحاد السوفيتي بلغ من العمر مائة وخمسين سنة فلما سئل عن سبب طول عمره قال انه لم يذق اللحم مرة واحدة طوال حياته !

يارب اعطني ذاكرة اضعف حتى انسى الوعود التي اعلنها المسؤولون في الصحف بان ازمة التليفونات ستحل عام ١٩٧٤ ، وأزمة المساكن ستحل في سنة ١٩٧٣ ، وأزمة المواصلات ستحل سنة ١٩٧٢ .

يارب ابق لنا قدرتنا على الضحك وعلى الصبر وعلى النسيان ..

يارب املأ قلوبنا بالايمان فاننا بالايمان نضحك ونصبر وننسى ونعيش ..

هذا دعائي لعام ١٩٧٧ .



عذاب البنوك

شيء غريب ان تصرف بصعوبة من بنك مصري شيكا بعشرة جنيهات، وان تختلس بسهولة من نفس البنك مليون جنيه!

إذا اردت ان تصرف هذاالشيك من أي بنك من بنوك العالم استغرقت المدة بين دقيقة ونصف دقيقة!

اما في بلادنا حيث الدقة والرقابة والحرص فإن البنك لايصرف الشيك إلا اذا اقنعوك بأن تقسم بالطلاق الا تتعامل بالشيكات بعد الآن!

والغريب العجيب ان هذه الدقة المتناهية والحرص المتزايد لايظهر «ولا يبان» عندما يحدث اختلاس!

والذين عاصروا البنوك في مصر منذ انشائها يقولون انه لم تحدث اختلاسات وعمليات نصب كما تحدث اليوم. وانه إذا حدث احصاء دقيق لظهر أن مجموعة الاختلاسات خلال الخمسين سنة قبل تأميم البنوك لا تتجاوز واحدا من عشرة من الاختلاسات في عام واحد بعد التأميم. مما يدل على ان بعض المشرفين على البنوك فهموا ان سياسة الانفتاح مقصود بها فتح خزائن البنوك للمختلسين واللصوص!

و يقولون ان السر في هذه الفوضى هو القرار الاحمق بضم البنوك إلى بعضها، ذلك ان مصر تحتاج إلى مائة بنك جديد لا إلى خمسة أو ستة بنوك. وان التعيينات في البنوك كانت تتم للاقارب والمحاسيب والمتزلفين والذين يقبلون ايدي ولاة الأمور حتى ان عددا من خيرة الشبان المصريين طفش من بنوك مصر، ولمع في عدد من بنوك العالم الكبرى.

و يقولون ان بنك الاسكندرية مثلا عندما تم انشاؤه بتمصير بنك باركليز، وعينت الدولة على الجريتلي رئيسا لمجلس ادارته، جاء بعد اعوام وفد من بنك باركليز وزار البنك ليرى حالته بعد تأميمه، فدهش عندما وجد نظاما لايقل كفاية عن بنك باركليز في انجلترا. وهذا يؤكد ان المصري قادر ان يدير اكبر المصارف بكفاية عالمية.. ثم حدث ان اصبحت تدار البنوك المصرية بعقلية اقلام الكوبيا وصراف زاوية ابوالشمامق!

بعض الذين يعملون في البنوك يتعاملون مع الزبائن كأنهم اعداء الشعب، وهم يتصورون انهم إذا لم يضربوهم قبل ان يصرفوا الشيك أو يقبضوا المبلغ المطلوب ايداعه، فانهم بذلك يثبتون انهم يذوبون رقة وانسانية ولطفا وذوقا في حسن المعاملة!

وليس هذا ذنب الموظفين، وانما هو ذنب سنوات كان الشعب فيها يفضل ان يضع نقوده تحت البلاطة على ان يضع نقوده في بنك، وكان الناس يعتبرون المودع مغفلا، والساحب ذكيا، و يتصورون ان أي مبلغ يوضع في البنك انما يوضع في جيب الحاكم بطريق المصادرة والحراسة.

كل هذا يجب ان ينتهي اليوم ويجب ان يعود البنك و يصبح صديق الزبون وناصحه ومستشاره العزيز فلا يتصور الزبون ان البنك انشىء «لتطليع دين» زبائنه الكرام.

نادي محمد علي

كان نادى محمد على بالقاهرة اعظم نــاد اجتماعي في الشرق .. وكان اسمه التاريخي يتردد على لسان الساسة والكبراء واعضاء النوادي الكبيرة في العالم باعتباره من اقدم واعرق النوادي في العالم. وفي هذا النادي تألفت وزارات، وسقطت حكومات، وضاعت ثروات، واطلق الأمير احمد سيف الدين الرصاص على الملك فؤاد!

وخرج محمد على في حركات التطهير عندما حذف اسمه من كتب التاريخ واطلق على نادي محمد على اسم نادي التحرير تيمنا بهيئة التحرير التي كانت قائمة قبل الاتحاد القومي وقبل الاتحاد الاشتراكي!

وقد نجا هرم خوفو باعجوبة فلم يحاول احد تغيير اسمه، أو تغيير موعد اقامته!

ما علينا ..

وجرت عادة الدولة على اقامة مآدبها الرسمية في نادي محمد على.

وحدث ان قررت وزارة الخارجية اقامة حفل لتكريم ديبلوماسي روسي يشغل منصب السكرتير العام المساعد للشؤون السياسية في الأمم المتحدة.

وتقرر ان تقام المأدبة في نادي التحرير. ثم فوجئت وزارة الخارجية بالمجاري تطفح على النادي وتغرق السجاجيد، فتتلف النادي الذي تكلف من عام آلاف الجنيهات لاصلاحه! وتقرر نقل المأدبة إلى فندق هيلتون تفاديا للفضحية!

وقرر وزير الخارجية اقامة مأدبة لتكريم وزير خارجية فنلندا في النادي. ونظرا لتعذر وصول المدعوين إلا بعد ان يشمروا بنطلوناتهم تقرر نقل المأدبة إلى فندق شيراتون!

وإذا استمرت مشكلة المجاري بلا حل سريع، فسوف تحيط المجاري بفندق شيراتون وهيلتون كما احاطت في وقت من الأوقات بفندق شبرد، وسوف تضطر وزارة الخارجية إلى اقامة مآدبها الرسمية في لوكاندة الكوارع بشارع الصحافة.

ان العناء الذي يعيش فيه الشعب المصري لا مثيل له في الدنيا.

لم يحدث في التاريخ الحديث ان شعبا عاش في حرب ٢٩ سنة بغير انقطاع. لايوجد شعب في المنطقة العربية كلها يعاني كما يعاني شعب مصر. نحن الشعب الوحيد الذي يأكل الخبز الأسود! الشعب الوحيد الذي يسكن في القبور. الشعب الوحيد الذي يفقد اعصابه كلما طلب محادثة تليفونية. الشعب الوحيد الذي يتشعلق كالبهلوان في كل اتوبيس أو قطار. الشعب الوحيد الذي يستنشق المجاري بدلا من الورود والازهار والرياحين!

وسوف تستمر مصر في طريقها حتى ولو اضطرت ان تقيم مآدبها الرسمية فوق الرصيف!

النار التي أشعلوها

كل مصري التقى به يريد ان يفعل شيئا ليعيد بناء مصر..

هذا نقاش يقول لي انه يريد ان يتبرع بأجر اربعة ايام من كل شهر ليشارك في اعادة ما خربه اعداء مصر.

هذا طفل صغير جاء بحصالته الصغيرة يقدمها لي وهو يتصور ان الثلاثة والاربعين قرشا التي اقتصدها طوال تسعة اشهر سوف تساهم في تعويض مخزن الورق المحروق في دار اخبار اليوم.

هذه سيدة تستوقفني وتحاول ان تخلع سوارها الذهبي لتعطيه لي لاعطيه إلى جمعية الاسعاف لإصلاح إحدى السيارات التي حطمها المخربون.

هذه أم جاءت تقول لي ان ابنها الذي يبلغ من العمر ١٤ سنة اعترف بانه حطم زجاج واجهة محل احمد عبدالشهيد للسندوتش بشارع ٢٦ يوليو من ناحية بولاق، وانها كانت بين نارين ان تبلغ عنه قسم بولاق ليسجنوه مع الاولاد المخربين او ان ترغمه على ان يدفع ثمن الزجاج الذي حطمه. ولم يطاوعها قلبها ان تبلغ ضد ابنها، فانتزعت ساعته الذهبية و باعتها بعشرين جنيها، وجاءت تقدمها لي لا تولى دفعها بنفسي لصاحب المحل التجاري الذي حطمه هذا الولد المعتوه.

الرسائل التي اتلقاها من كل فئات الشعب تجمع على امر واحد هو ان الاعتداء على اي مال عام او أي مال خاص هو عدوان على كل مصري. هو اشبه بالقاء الطين على علم مصر لتشويه الراية التي مات الالوف دفاعا عنها. هو تهديد لحرية كل فرد منا، فالذين سرقوا ونهبوا ارادوا ان يسرقوا و ينهبوا الحرية والديمقراطية وسيادة القانون، والذين خربوا ودمروا ارادوا ان يخربوا سمعة مصر في العالم لتعود سياسة القهر والاستبداد وتكميم الأفواه وقطع الألسن والمشانق ومعسكرات الاعتقال.. حنينهم إلى حكم الكرباج هو الذي جعلهم يحطمون كل علامة للحضارة.

النار التي اشعلوها جعلت المصريين يرون من خلال ألسنة اللهب اولئك الذين اشعلوا النار والذين دبروا الفتنة، والذين أرادوا ان يجعلوا من الشوارع حمامات دم، ومن العمارات خرائب وانقاضا.. ومن الشوارع المليئة بالحياة قبورا واشلاء.

كل مصري يعتبر كل اوتوبيس خربوه هو سيارته الخاصة، وكل محل تجاري نهبوه هو تجارته هو، وكل زجاج حطموه هو زجاج بيته. هذا الانتماء لمصر هو شيء جديد.

هو عودة للشهامة المصرية وللمروءة المصرية ولحب المصريين للمصريين، ولشعور كل واحد منا بمصاب اخيه وصديقه وجاره وابن بلده

أحسست ان كل مصري يتبرع بقرش لاعادة بناء مصر يشعر ان هذا القرش هو طوبة يرجم بها اعداء مصر. احسست ان الجرح الذي اصاب مصر ايقظ اجمل ما فيها وهو الحب والتضامن.

هذه هي مصر التي احبها!



أم تعاقب ابنها!

كل مصري يريد ان يضمد جرح مصر، يريد ان يمسح دموعها. يريد ان يعيد الابتسامة إلى شفتيها. يريد أن يملأ قلبها ايمانا بانها القلعة التي ستتحطم على ابوابها سهام اعدائها.

كل مصري يفرق بين حق الشعب في ان يعارض، وحق اعداء الشعب في ان يخربوا و يدمروا، و يشعلوا النار في المال العام والمال الخاص.

كل مصري يشعر بأن هذه ليست محنة دولة أو ازمة حكومة، بل يشعر انها محنة الشعب كله وازمة الشعب كله. يشعر ان واجبه ان يحرس الحرية من اعداء الحرية، ويحمي الديمقراطية من خصوم الديمقراطية، و يدافع عن القانون ضد الخارجين على القانون.

كل مصري يريد ان يشارك. برأي أو بعمل أو بمال أو بكلمة حب. فنحن لن نصلح الزجاج المكسور بالمال فقط، بل نحن نحتاج إلى عاطفة الحب لتقاوم الجحود والحقد والضغينة والرغبة في تدمير كل شيء جميل في هذا البلد.

قلاع الاوطان لا تبنى بالاسمنت والصخور والحديد والسلاح فقط، بل ان من اهم القلاع التي تحمي الوطن روح المحبة والتعاون والترابط والوحدة الوطنية.

وذهبت مع صديقي سعيد سنبل مدير تحرير «اخبار اليوم» إلى محل احمد عبدالشهيد للساندو يتش في شارع ٢٦ يوليو ببولاق، وقدمت له العشرين جنيها التي سلمتها لي الأم التي حطم ابنها البالغ من العمر ١٤ سنة، ارغمته ان يبيع ساعته الذهبية ليعوض بثمنها ما خربته يداه.

وأبى الحاج احمد ان يتسلم المبلغ، واعاده لي، وقال انه يكفيه الروح الوطنية التي ابدتها الأم، وانه يرجوها ان تستعيد ساعة ابنها وتعيدها إليه.

ورفضت الأم ان تأخذ العشرين جنيها، او تستعيد ساعة ابنها التي باعتها، وقالت انها تريد ان يعاقب ولدها بحرمانه من الساعة حتى يشارك في آلام المصريين الذين خسروا في هذه الحوادث، وحتى يعلم كل زميل له في المدرسة ان كل ام في المستقبل سوف تفعل بابنها ما فعلته هذه الام التي اصرت ان يدفع ابنها ثمن ما ارتكبه من جريمة تخريب ضد بائع ساندو يتش عصامي، يعمل هو واولاده في محله، و يقف الساعات ليخدم الناس!

قلت لها ان الحاج احمد صاحب المحل سامح ابنك!

قالت يكفي انني لم اسلم ابني للشرطة لتضعه في ملجأ الاحداث.
قلت: خذي اذن المبلغ لك!

قالت الأم: انا لااستحقه. لانه يجب ان اعاقب ايضا لانني لم اعرف كيف اربي ابني، واجعله لايرمي الطوب على الأبرياء! واعادت لي الأم العشرين جنيها لندفعها لطالبين في الجامعية يشتريان بها الكتب التي يحتاجان إليها. وقالت وهي تبتسم:

ــ لعل الكتب تعلمهما ألا يضربا بالطوب!

قلت ان ما تريدينه ليس موجودا في الكتب انما هو موجود في البيوت!

لاشيك .. على باقي

الشعب المصري لايصدق بسهولة! علمته المحن ان يتشكك في كل شيء. علمته الأيام ان يستريب في كل وعد، وان يقلب كل كلمة وان يتمعن في كل رأي.. ما اكثر الذين خدعوه وضللوه ونصبوا عليه، وباعوا له الترام!

الذي وقع ضحية القروش المزيفة يشك في كل قرش جديد يرنه على البلاط قبل ان يتسلمه يضغط عليه بأسنانه حتى يتأكد من معدنه.

يتأمله بامعان لكي يكتشف الزيف فيه. حتى يتأكد أن القرش صحيح، وليس قرشا «براني».

وما اكثر النقود المزيفة (البراني) التي خدعتنا. كم من مرات اشترينا ماسا فإذا به زجاج، أو اقتنينا ذهبا واكتشفنا انه نحاس كم من وعود مفضضة كانت تلف بها اعمال بشعة، وشعارات حلوة تخفي حقائق مرة، وطبول نصر يضيع في ضوضائها انين الهزيمة! كم من مرات اغلقوا يد الشعب على ما وصفوه بأنه مكاسب، وعندما فتح الشعب قبضته لم يجد فيها إلا الهباء!

لهذا يجب ان نعذر هذا الشعب إذا رفض ان يقبل كمبيالات من الوعود او شيكات من الأحلام. انه يريد ان يرى حقائق ملموسة، يلمسها بيده، و يعايشها، و يراها بعينه. فاذا قلت له انك ستنظف القاهرة، لا تكتف باطلاق الوعد غير المحدود، بل يجب ان تحدده بموعد معين. كان تقول انك في الاسبوع القادم ستنهي اكوام القمامة من الشارع الفلاني. وتحدد اليوم والساعة والدقيقة التي ستتم فيها عملية التنظيف. فإذا ذهب الشعب إلى هذا الشارع في هذا اليوم فسيجد الشارع نظيفا لأول مرة، وسوف يصدقك، و يثق بك، ولا يعلن عن هذا القرار إلا بعد ان تكون جندت الكناسين اللازمين واشتريت لهم المقشات، واعددت السيارات التي ستنقل بها القمامة من الشارع.. فلا أحد يعذرك اذا اعلنت البشرى! ثم جئت بعد شهر واعتذرت بأن وزارة المالية لم تفتح الاعتماد! وان البنك ليس لديه عملة صعبة لشراء سيارات القمامة، او ان الكناسين مشغولون باقامة حفلة تكريم للوزير الذي أصدر القرار!

اننا نريد عملا جادا في كل مكان.. نريد عملا سريعا، نعوض به ما فات من بيروقراطية ولف ودوران وعدم مبالاة. نريد ان تتحول الدولة إلى خلية نحل. كل فرد فيها يعمل. ومن ليس له عمل ينقل فورا إلى امكنة في حاجة قصوى إلى عاملين. نريد ان نكسب معركة الانتاج، فاننا إذا كسبناها بالعمل المتواصل فسوف نحل كل مشاكلنا، وسوف نثبت للدنيا أن هذاالشعب قادر ان يفعل ما يقولون انه مستحيل..!

ان هذا العمل المستمر سوف يعيد ثقة العالم بنا!

جروح الطوب لن تضمد إلا بالانتاج في كل ميدان!

يجب ان نستفيد من المحنة التي مرت بنا.



سياسة النعامة

قالت لي طالبة في كلية البنات في الزمالك انه ليس من رأيها ان تنشر الصحف أي شيء عن أكوام القمامة في الشوارع والميادين خشية ان يقرأ السياح هذه الانباء فلا يزوروا مصر وان من رأيها ألا تنشر الصحف أي شيء عن الاخطاء في بلادنا حتى لايعرف بها العدو. وان من رأيها ان ما يحدث في مصر هو من الشؤون العائلية فلا يجوز نشرها حتى لا تصل اخبارها إلى الجيران!

وهذا رأي له احترامه، وقد جربناه عشرين سنة، وأخفينا عن الناس ما يحدث في قيادة الجيش حتى فوجيء الشعب بهزيمته في ٥ يونيو.

واخفينا عن المصريين انباء الوحشية والتعذيب والسرقة والنهب حتى فوجئنا بالافلاس! واخفينا عن الشعب سيطرة الاتحاد السوفيتي على مرافق البلاد حتى اكتشف الشعب ان مصر كانت محتلة تماما بالروس كما كانت محتلة بالانجليز من قبل، وان السفير الروسي كان له نفوذ المندوب السامي البريطاني في مصر! واخفينا عن الناس خسائر المصانع وفوضى الشركات التي ادارها أهل الثقة حتى توقفت المصانع وهبط الانتاج!

سياسة النعامة التي تخفى رأسها في الرمال لم تفدنا وانما هوت بنا إلى حضيض الهزيمة والافلاس.

وكان يقال لنا ان المقصود باخفاء ما يحدث ألا يعرف الاعداء، ثم اكتشف المصريون انهم هم المقصودون بالاعداء الذين تخفى عنهم الدولة كل شيء.. اما الاعداء الحقيقيون فكانوا يعرفون أدق اسرارنا! ولو كنا نعرف اخطاءنا أولا بأول ونناقشها ونعلنها لما حدثت لنا كل تلك الكوارث.

السائح الأجنبي ليس محتاجا ان يقرأ صحيفة ليعرف ان ما يراه في الشارع هو اكوام زبالة! وليس محتاجا لمقال في جريدة مصرية ليعرف ان ما يشمه هو رائحة المجاري! والشعب المصري ليس في حاجة إلى صورة كاريكاتورية ليعرف انه في ازمة مساكن. ولو ان الصحف امتنعت عن ذكر كلمة واحدة عن ازمة المواصلات والتليفون فلن يؤدي ذلك إلى وجود محلات خالية في الاتوبيس او عودة الحرارة إلى التليفونات.

اننا جربنا سياسة الاظلام التام عشرين سنة، وفقدنا الرؤية، ولم يحدث في هذا الظلام إلا كل ما كان لا يمكن ان يحدث في النور.

الظلام يشجع على الظلم، ويشجع على ارتكاب الجرائم. وخير لي أن أعرف امراضي وأعالجها، من أن اخفي هذه الأمراض حتى لا يشمت الجيران، ثم يتفاقم المرض الذي يمكن علاجه الآن، ويتحول في المستقبل إلى مرض لا علاج له!

الحقيقة لا تسيء إلى سمعة البلد!

الذي يسيء إلى سمعة البلد هو ان نخفى الحقائق عن الشعب.



الشعب يفعل المعجزات

من اكبر اخطائنا اننا اعتمدنا على الحكومة في كل شيء.. وبعد سنوات اكتشفنا ان الحكومة ليست قادرة على ان تفعل كل شيء. وفي البلاد الديمقراطية يقوم الشعب بما تعجز عنه الحكومة.

وفي تاريخنا الطويل كان هذا الشعب يصنع المعجزات التي تعجز الحكومة عن القيام بها. ولعل شباب هذه الأيام لايعرفون مثلا ان الشعب المصري مكث سنوات طويلة يطالب بانشاء الجامعة المصرية. وكان الانجليز المحتلون يعارضون في انشائها. وكانوا يمنعون الحكومات من ان تعتمد في الميزانية المال اللازم لقيامها. وإذا بسعد زغلول المستشار في محكمة الاستئناف يوجه في عام ١٩٠٦ دعوة للاجتماع في بيته لانشاء الجامعة، وإذا بالشعب يتحمس و يتبرع. وقامت الجامعة برغم الانجليز. وبقي الشعب يمولها إلى ان قامت ثورة ١٩١٩ ونالت مصر استقلالها الداخلي واصبحت الجامعة حكومية.

وبعد ذلك عجزت الحكومات عن انشاء مصنع واحد. إلى ان انشأ طلعت حرب بمساعدة عشرات الألوف من المساهمين، مصانع المحلة الكبرى.

وما فعلناه من سبعين سنة، ومن خمسين سنة. يمكن ان نفعله اليوم في كل ميدان نجد الحكومة عاجزة عن القيام به. بدلا من ان نضيع وقتنا في مطالبة الحكومة ان تفعل لنا ما نريد..

ما دامت الادارة عجزت عن تنظيف المدن فلماذا لايتولى الشعب مهمة النظافة! لماذا لا تتألف في كل شارع وكل حارة في الجمهورية لجان من السيدات والآنسات تتولى نظافة كل حى.. انني رأيت في بعض مدن امريكا عندما كانت تسقط الثلوج وتسد الشوارع وتمنع المرور رأيت سيدات كل شارع يخرجن في الصباح المبكر. كل واحدة تحمل جاروفا. وتزيل الجليد وتفتح الطريق المقفول. لم تكن المرأة تنتظر حتى تتحرك البلدية أو ترسل المحافظة سياراتها.

لماذا لا نعلن الحرب على القذارة في بلادنا؟ لماذا لا يشترك كل واحد فينا في اعلان الحرب على القذارة؟ لماذا لا يعطي كل واحد منا لوطنه ربع ساعة كل يوم!

ان ربع الساعة كافية لتنظيف بيوتنا وشوارعنا ومكاتبنا.. وان ديننا اعتبر النظافة من الايمان!

ومصر اليوم محتاجة إلى وضوء خمس مرات كل يوم.



القنبلة دمرت الذين ألقوها

ماذا كسب العقيد معمر القذافي من القنبلة التي وضعها في غرفة في فندق بالاسكندرية! ما هو الانتصار الذي حققه من كسر عظام الترقوة في عايدة مرسي السيد البالغة من العمر عشرين سنة؟! لم تكن عايدة تهاجم القذافي وانما كانت تشتري شنطة حريمي من المعرض المواجه للفندق! عايدة خسرت الشنطة الحريمي التي اشترتها بستة جنيهات وباقي الجنيهات العشرة! احترقت الشنطة وباقي الجنيهات العشرة ولكن لم تحترق مصر، ولم تشوه! وسوف يشترى المصريون لعايدة شنطة جديدة وسيقولون لا، ان كل واحد منا احس ان هذا الكسر في ابنته او اخته!

ماذا كسب القذافي من القنبلة التي اصابت فوزى ابو الصفا عثمان البالغ من العمر ٢٣ سنة الذي اصيب بكدمات كثيرة، وفقد النطق تماما واصبح يتحدث بالاشارة، واصيب بصدمة افقدته صوته! ان هذا لم يجعل مصر تفقد النطق، ولن يجعلها تتحدث بالاشارة. صوت مصر سوف يعلو على الوف القنابل. وسوف يضيع في دو يه كل انات المصابين وصرخات المجروحين وعو يل النساء والاطفال!

القنبلة استطاعت ان تدمر بعض غرف في فندق صغير، ولكنها لم تدمر روح مصر. إنها استطاعت ان تحول جدران غرفة إلى انقاض، ولكن مصر التي خرجت من انقاض الحكم الديكتاتوري وحكم الرجل الواحد وحكم الحزب الواحد لن تعود إلى تحت الانقاض من جديد، مهما القيت عليها من قنابل، ومهما حاول عملاء الظلام ان يدسوا من ديناميت!

ان هذه القنبلة لم تخف الطفل محمد احمد شبل العامل في محل الأصواف الذي وجد نفسه تحت الانقاض ونقلوه إلى المستشفى بلا حراك! ان هذا الطفل يعاقبونه على غير جريمة ارتكبها! ما هي جريمة هذاالطفل! انه لم يطرد الخبراء الروس من الجيش المصري! انه لم ينتصر في معركة ٦ اكتوبر. انه لم يغلق المعتقلات. انه لم يلغ الحراسات. انه لم يرتكب واحدة من هذه الجرائم التي تستحق ان يغضب لها القذافي ومن وراءه!..

ملايين الاطفال المصريين أحسوا ان هذه القنبلة موجهة إلى كل واحد منهم! آخر قنبلة يذكرونها هي القنبلة التي هدمت مدرسة بحر البقر على تلاميذها الاطفال! الفرق ان الجاني في قنبلة بحر البقر كان اسرائيليا، وقنبلة الاسكندرية كانت بيد عربية!

لم تخرج المظاهرات تهتف بحياة الرئيس القذافي. لم يطالب الشعب المصري بضم مصر إلى ليبيا تحت حكم الامبراطور الجديد! لم يطالب احد ببيع مصر لليبيا في مقابل بضعة قروش! لم يحدث شيء من هذا لان القنبلة دمرت الذين القوها ولم تدمر الذين القيت عليهم. نعم ان قطرات من الدم سقطت من طفل مصري ولكنها لوثت حكومة بأسرها!

الشجعان لايحاربون في غرف الفنادق، وانما يقاتلون في ميدان القتال!



الأشقاء لا يتآمرون

يجتمع مؤتمر القمة الافريقي العربي بعد غد. وهو مؤتمر تاريخي يؤكد اصرار هذه الشعوب على مواجهة كل ما امامها من تحديات وايمانها بضرورة التصدي لها.

ان من أهم مشاكلنا ان بعض اراضي هذه الشعوب محتلة بالاجنبي فيجب ان نعمل على تطهير ارضنا من كل احتلال.

ومن اهم مشاكلنا، ان بعضنا فقير، بسبب ان الاستعمار امتص دمنا ووقف في طريق تقدمنا، وواجب الغني فينا ان يساعد الفقير، والقادر منا ان يمد يده ليساعد شقيقه ليقف على قدميه!

ومن اهم مشاكلنا ان بعضنا يحارب بعضه بدل ان يحارب العدو المشترك! و ينسى ان قابيل عندما قتل هابيل لم يرثه وانما نال لعنة التاريخ طوال الزمن!

فإذا وضعت دولة قنبلة في غرفة فندق دولة شقيقة وقتلت احد المواطنين، وجرحت بعض النساء والاطفال فانها لا تحقق نصرا بل هي تلقي بنفسها في مستنقع من العار.

ان الاشقاء لا يتآمرون على بعضهم! ولا يستفيدون من هذه المؤامرات، وانما يستفيد منها الأجنبي الطامع في كل واحد منا، الذي يريد ان يضعف كل دولة من دولنا ليأكلها أو ليمتص دمها.

هذه الدول الستون التي ستجتمع بعد غد كانت كلها محتلة في يوم من الأ يام. عرفت مرارة الاستعمار، وعاشت في ذله، وماتت من هوانه وطغيانه... وهي تعلم تماما ان الاستعمار لم يجد طريقه إلى السيطرة إلا من خلال الخلافات بيننا، وإلا بالدس بيننا فلعل كل واحد منا لا ينسى هذا الدرس، و يعلم ان العالم لم يحسب لنا حسابا إلا عندما تضامنا وإلا عندما وقفنا معا وقفة واحدة.

اننا نتمنى ان يصدر المؤتمر ميثاقا لحقوق الانسان في افريقيا والبلاد العربية. فهذا النوع من الرق السياسي يجب ان ينتهي كما انتهى سوق الرقيق! نريد ميثاقا يمنع تدخل أي دولة من دول اعضاء المؤتمر في شؤون أي دولة اخرى. يمنع أي دولة من ان تهاجم في اذاعتها أي دولة اخرى. الأشقاء يحلون خلافاتهم بالنقاش لا بالشتائم ولا بالمؤامرات ولا بالقنابل!

أهلا بالمؤتمر.



فندق للمؤتمرات

قلنا لهم: لا تعقدوا المؤتمرات في القاهرة لانها تختنق بسكانها واعقدوا المؤتمرات في الاسكندرية.

قالوا اطلعوا من البلد!

ولم نطلع من البلد، و بقينا في القاهرة نرى سكان المدينة وقد انحشروا في الشوارع لايستطيعون حراكا. السيارات متجمدة.. الاتوبيسات واقفة. المارة بلا حراك.. المرور معطل.. استاذ في كلية الطب يصل من بيته في المعادي إلى كلية الطب في خمس ساعات! الاف من المواطنين والعمال والطلبة عجزوا عن الوصول إلى مكاتبهم ومصانعهم ومدارسهم، لان شوارع المدينة الرئيسية اصيبت بالشلل.

الفنادق الآن خالية في الاسكندرية. الشوارع هناك تتسع لمرور مواكب الرؤساء.. المدينة على استعداد لتوفر كل الراحة لاعضاء المؤتمر دون ان تزحم الطريق أو تتعطل الأعمال.

ولو كان البهوات الذين ينظمون المؤتمرات، لايريدون أن يتعبوا أنفسهم بالسفر إلى الاسكندرية، ليوفروا العناء والمشاق والوقت لعشرة ملايين مواطن فلماذا لانفكر في تحويل فندق هليو بوليس إلى فندق للمؤتمرات وان نبحث للوزارة المركزية عن عمارة، أو قصر من القصور المصادرة، هذا الفندق الذي نضيعه في مكاتب يساوي مائة مليون جنيه!.. النقوش العربية التي تزينه لا تقدر بثمن.. انقرض العامل الذي يستطيع الآن تكرار هذا الفن الأصيل الذي يذهل العالم.. من العجيب ان نركب رأسنا ولا نستفيد من هذه الملايين في السياحة من اجل ان نخصص هذه الغرف الفاخرة لمكاتب الموظفين وللمخازن ولغرف توضع فيها الجرادل والمقشات! ان مكتب الدكتور حسن صبري الخولي عندما كان المبعوث الشخصي لرئيس الجمهورية كان في بار الفندق! ان مئات الألوف انفقت لتحويل هذا الفندق العالمي إلى مكاتب خالية، ولو اننا اعدنا هذا البناء الضخم ليكون فندقا للمؤتمرات فان الوفود والرؤساء لن تعطل المرور في المدينة، سيكون المطار قريبا من الفندق، ولن يصاب وسط المدينة بالشلل، ولن تعطل الملايين عن اعمالها.. ولن يفقد الناس اعصابهم وهم ينتظرون الساعات الطوال حتى يستطيعوا ان ينتقلوا من شارع إلى شارع أو من رصيف إلى رصيف.

المصريون سعداء بانعقاد المؤتمر الكبير، فرحون باكبر لقاء عربي افريقي، ولكنهم يعرفون ان اعضاء الوفود يعانون من الزحام وفوضى المرور كما يعاني اهل المدينة، ولهذا فنحن لا نفكر في انفسنا فقط، وانما نفكر في راحة كل ضيوفنا.. عندما نستطيع ان نجعل الرحلة في شوارع القاهرة ليست قطعة من العذاب.

نبدأ بشارع واحد!

الذين يقولون انني انفخ في قربة مقطوعة لايعرفون بلادي كما اعرفها. لايعرفون ان المصري يغمض عينيه ولا ينام. يجلس مسترخيا ثم يتحرك فجأة و يقف و ينقض! تحسبه غافلا وهو يرى كل شيء. تظنه كسلان وتنسى انه بنى الهرم عندما كانت الدنيا تغط في نوم عميق. تتوهم انه مستسلم مقهور مهزوم ثم يفاجئك بنصر ٦ اكتوبر!

انا اعتقد ان نغمة يعزفها فلاح على الناي ممكن ان توقظ هذا الشعب. كلمة صادقة مؤمنة ممكن ان تحركه. صيحة فى نفير الوطن ممكن ان تحول القطط فيه إلى اسود. حضارة سبعة آلاف سنة في هذا الشعب قد تختفي تحت تراب الزمن، ولكنها لا تموت!

ولهذا فانا مؤمن اننا نستطيع ان نتغلب على كل الصعوبات التي امامنا. نستطيع ان نقفز باحلامنا فوق العقبات الهائلة، نحول ما نتوهم انها جبال شاهقة من الموانع إلى علب كبريت تمر فوقها!

وعندما دعوت إلى تحديد يوم للنظافة في جميع انحاء الجمهورية كنت اعلم ان الفكرة ليست سهلة، وانما هي تحتاج إلى مؤمنين ومؤمنات بأن النظافة من الايمان. وعندما اخترت يوم ٨ ابريل ليكون عيدا للنظافة لم أكن افرض يوما، وانما كنت اقترح يوما. والذين يقومون بهذا العمل الكبير من حقهم ان يختاروا أي يوم يريدون.

قالت لي زوجة وزير سابق عاشت في الولايات المتحدة سنوات طويلة انها رأت كيف كان كل شارع يهتم بأن يتولى شؤونه بنفسه. لايهم ان تجتمع لجنة الشارع. ممكن ان تجتمع في بهو العمارة. ممكن ان تجتمع في ناصية شارع. ممكن ان تجتمع امام دكان! المتحمسون للفكرة لا يريدون رئاسات. يريدون ان تكون لجنة كل شارع أو لجنة كل حارة مستقلة بنفسها. هي التي تفكر. هي التي تضع الخطة. هي التي تنفذ. لانريد ان نملأ الصحف والمجلات بصور القائمين والقائمات بالمشروع بينما الزبالة مكدسة في الشوارع والميادين. نريد ان نرسم صورة الحارة التي استطاع اهلها ان ينظفوها. نتمنى ان يعطى البيت الذي ينظف الامتار التي امامه اكثر من أي بيت آخر شهادة تقدير يوقعها أهل الحارة جميعا. نحن نريد ان نفكر بعقلية جديدة. نستفيد من طاقات هذاالشعب الهائلة. ولو ان كل مصري ومصرية، بل كل مواطن في مصر اعطى لنظافة مصر خمس دقائق لأصبحت مصر أنظف بلد في العالم.

من الممكن ان تتكاسل احياء وشوارع عن التنفيذ، مكتفية بالنقد والفرجة — كعادة البعض منا — ولكن يكفينا ان نستطيع هذه المرة ان ننظف شارعا في كل مدينة وقرية. وفي المرة القادمة سننظف شارعين.. وفي المرة الثالثة سننظف مصر كلها!

المهم ان نبدأ.



بواب العمارة

سكان العمارة التي أسكن فيها يعاملونني كانني بواب العمارة!

إذا توقف المصعد دقوا عليَّ الباب لاطلب إلى الشركة إرسال عامل يصلح المصعد!

إذا انقطعت المياه اتصلوا بي لاطلب من هيئة المياه ان توصل الماء!

إذا توقف النور لجأوا إلى لأتصل بهيئة الكهرباء لتعيد لهم النور.

انهم يتصورون ان لي كلمة مسموعة عند كل الهيئات والوزارات ما أكاد اطلب وزيرا حتى يقول لي شبيك لبيك عبدك بين يديك!

وأثقل الأمور على قلبي ان ارجو احدا في أمر يتعلق بشخصي. فأنا اتصور ان مهمة الكاتب ان يدافع عن الناس لا ان يدافع عن نفسه! ولكن لا أكاد اضع قدمي على باب العمارة حتى تفتح الشبابيك وتطل على عيون الجيران، وكأنها تقول «ياعيب الشوم»! صحفي طويل عريض لا يستطيع ان يحرك قلب رئيس مجلس ادارة شركة التأمين الأهلية فيعيد المياه الساخنة للعمارة! وقد مضى على سكان العمارة اكثر من شهر لايستطيعون ان يستحموا! وكثيرا ما انقطع الماء البارد مع الماء الساخن، وكثيرا ما رأيت سيدات يخرجن من العمارة ليذهبن إلى بيوت اقاربهن للاستحمام فيها!

وأذكر ان سفارة كولومبيا كانت تسكن فوقنا، وانقطعت المياه عدة أيام، وإذا بالسفير الكولومبي يرسل خطابا إلى الرئيس جمال عبدالناصر رحمه الله يقول فيه انه اصبح مضطرا ان يأخذ اسرته كل يوم و يذهب إلى سفارة كندا الموجودة قبالة العمارة ليستحم هو وأفراد اسرته في حمام العمارة، وان كل السفراء يتحدثون عن فوضى الحراسة وجهل الحارس الذي أدى إلى توقف المياه، وما كاد يصل هذا الخطاب إلى رئيس الجمهورية حتى تم الاستغناء عن الحارس وعادت المياه بانتظام إلى سفير كولومبيا!

ومما يؤسف له ان سفير كولومبيا عزل من الشقة، وحلت مكانه منظمة تابعة للجامعة العربية والموظفون فيها لايستحمون في مكاتبهم للأسف الشديد! وإلا لتقدمت الدول العربية باحتجاج إلى شركة التأمين الأهلية، لعل وعسى يستيقظ كبار موظفيها من نومهم العميق و يصلحون مواسير المياه!

كانت العمارات التي تملكها شركات التأمين مملوكة لأفراد، وكانت انظف العمارات في مصر، وكانت تدار بمصاريف زهيدة، وعندما تولتها شركات التأمين اصبحت أقذر «وأبوظ» عمارات في مصر! واكتفت شركات التأمين بأن حصلت على هذه العمارات بأسعار حددها قطاع الطرق الذين كانوا يتولون حراسة أموال الاعداء (أي الشعب المصري) وأصبحت هذه العمارات تخسر، واصبحت مصاعدها تتوقف واصبحت احجارها تتساقط..

وكل ما حدث هو ان بعض المرتبات ارتفعت، و بعض شركات التأمين اوفدت كبار موظفيها إلى لندن و باريس ونيو يورك للتفرج على آخر المصاعد المتوقفة عن العمل هناك!



لا تكذبي !

لانريد ان يتعود بعض رؤساء مجالس ادارة الشركات و بعض المسؤولين على أن يكذبوا على الشعب متوهمين انه ممكن نفي كل حقيقة وتكذيب كل واقعة، معتقدين أن الشعب الطيب سوف يصدقهم إذا اصدروا بيانات أو بلاغات تغير وجه الحقيقة!

وفي بلاد اخرى يفقد صاحب المنصب الكبير وظيفته اذا كذب على الشعب. ولعل هؤلاء لا يعرفون ان نيكسون رئيس جمهورية امريكا السابق فقد منصبه العظيم لأنه كذب على الشعب ونفى وقائع صحيحة.. وانني اليوم اختار مثلا صغيرا جدا لدلالته الكبيرة جدا.

منذ أيام كتبت «فكرة» عما يجرى في عمارة تابعة لشركة التأمين الأهلية في القاهرة، وأشرت إلى كثرة توقف مصاعدها، وورد على رئيس مجلس الادارة ببيان جاء فيه «اما فيما يختص بمصاعد العقار المذكور، فانها تعمل بكفاءة تامة ولم تتوقف، وكما تعلمون سيادتكم فان الشركة لم تتلق أي شكوى في هذا الشأن لانها تجري الصيانة لمصاعد عقاراتها أولا بأول ونرجو نشر هذا الايضاح ليقف الجميع على حقيقة الأمر..».

وما دام رئيس مجلس الادارة يريد ان يقف الجميع على حقيقة الأمر، فالحقيقة ان بيان رئيس مجلس الادارة كذب في كذب!! وسكان العمارة جميعا بحت اصواتهم من توقف المصاعد، ولا يتحرك مصعد حتى يتوقف مصعد أو يتوقف المصعدان معا!.. هذه حقيقة يشهد بها سكان العمارة و بينهم الوزير السابق محمود محمد محمود والوزير السابق سمير حلمي وكيل ديوان المحاسبات ووكيل وزارة الأوقاف محمود حسن والسفير السابق حسن محرم والسفير السابق مصطفى الصادق والدكتور صادق فودة الاستاذ بكلية الطب والدكتور يوسف رزق الله الاستاذ بكلية الطب ومدير شركة رويتر والسفير شامل فتحى ومائة موظف في منظمة الجامعة العربية. كل هؤلاء كاذبون لأنهم رأوا المصاعد تتوقف. ورئيس مجلس الادارة صادق لأنه يقرر ان المصاعد تعمل بكفاءة تامة ولم تتوقف!

ولا أريد ان أظلم رئيس مجلس الادارة واتهمه بأنه يتعمد الكذب وانما اتصور انه لا يعرف ما يجري في العمارات التي تتبع شركته، أو ان أحد موظفيه خدعه وأعطاه بيانات غير صحيحة. وكيف يصدق بعد ذلك الجمهور أي بيانات تصدر إذا كان رئيس مجلس الادارة يوقع على بيان دون ان يتثبت مما فيه، أو يعرف ما يحدث في العمارات التابعة له أو يسأل واحدا من خمسين شخصية معروفة تسكن العمارة.

اننا نريد ان يحقق الوزير المسؤول عن شركات التأمين في هذا البيان الكاذب، وليس الغرض عقاب أحد أو توبيخ أحد وانما نحن نريد ان يفهم الذين يصدرون بيانات غير صحيحة و يكذبون وقائع صحيحة، بأن هذه جريمة في كثير من البلاد المتمدينة! وان ما سكت عليه الناس بالأمس لن يسكتوا عليه اليوم.

حبذا لو اضفنا إلى قانون العقوبات مادة تعاقب كل مسؤول يكذب في بيان يصدره! وعندئذ سوف يباح للصدق ان يدخل كثيرا من الأماكن التي منعوه من دخولها!

آن الآوان لبعض البلاغات والبيانات ان تحترم هذا الشعب!

التمثال المسجون!

هل يفرج عن تمثال سليمان باشا المسجون! و يطلق سراحه أسوة بالمسجونين السياسيين!!

ذات يوم صدر قرار بالقبض على تمثال سليمان باشا والقائه في أحد المخازن، وحذف اسم شارع سليمان باشا وميدان سليمان باشا وتسميتهما شارع طلعت حرب وميدان طلعت حرب.

وطلعت حرب يستحق الف شارع والف ميدان والف تمثال.. فقد دخل تاريخ مصر من اوسع ابوابه عندما انشأ بنك مصر وأنشأ صناعاتها التي نفاخر بها حتى الآن.

ولكن سليمان باشا الفرنساوي هو بطل كبير من ابطال مصر، كان ضابطا من ضباط نابليون، وكان اسمه الكولونيل سيف، واحب مصر، وتجنس بالجنسية المصرية واسلم، وتزوج من سيدة مصرية مسلمة، وتولى تدريب جيش محمد علي، حتى جعل منه اكبر جيش في الشرق الأوسط، وحقق انتصارات تاريخية، وانشأ امبراطورية، ووصل إلى حدود استانبول! هذا الرجل العظيم لم يرتكب جريمة، ولم يسيء إلى مصر، ولم ينضم إلى الاستعمار ولم يتاجر في السوق السوداء ولم يشترك في الصفقات المريبة!

ولكنها كانت موضة في ايام مراكز القوى ان يلغى كل رجل من تاريخ مصر، وان يهدم كل صرح وتمزق كل صفحة، ولولا بقية من حياء لهدموا هرم الجيزة وردموا نهر النيل حتى لايبقى شيء من الماضي البغيض! والغريب انهم لايعلمون ان في اكبر ميدان في مدينة ليننجراد يوجد تمثال القيصر بطرس الأكبر.! ولم تفكر الثورة الشيوعية في انزاله عن صهوة جواده الضخم، ولا في نفيه إلى أحد المخازن، ولا إلى هدمه وتحويل الحجر إلى بناء المساكن الشعبية.

ما ذنب تمثال سليمان باشا حتى يشرد! انني اقترح ان نجيء بالتمثال ونضعه في أحد الشوارع من جديد، ونطلق اسم سليمان باشا على أحد الشوارع أو احد الميادين. وبذلك لانعيد الاعتبار لسليمان باشا، وانما نعيد الاعتبار للتاريخ.

وزارة الأشغال في حاجة إلى المجلس الحسبي!

اذا اشتريت سيارة ودفعت قسطا واحدا ثم عجزت عن دفع باقي الاقساط فسوف تفقد السيارة وتفقد نقودك. وإذا صرفت الوف الجنيهات على بناء أساس عمارة ثم عجزت ان تدفع مصاريف اقامة باقي الطوابق فستتحول العمارة إلى انقاض! وإذا ذهبت إلى الترزي وفصلت بدلة ودفعت ثمن التفصيل فستضيع عليك البدلة! وسوف تكون اضحوكة الناس لانك لم تحسب حسابك، وسيتهمك بعض الناس بالسفه و يقترحون على المجلس الحسبي ان يحجر عليك لأنك سيء التصرف!

ومن حسن حظ بعض الوزارات والمصالح في مصر ان المجلس الحسبي يحكم فقط على الأفراد بالسفه وقلة العقل وسوء التدبير.. كثير من الوزارات تبدأ مشروعات ثم تتوقف لأنه ليس لديها اعتمادات لاتمامها! بل بعضها يترك المشروعات القديمة متوقفة و يبدأ في مشروعات جديدة لا تلبث ان تتوقف بعد ذلك و يكفي مثلا ان نرى البطء الشديد في اتمام كوبري ٦ اكتوبر ثم يقال لنا ان السبب في هذا البطء الشديد هو عدم وجود اعتمادات! اذن لماذا هدمتم الارض وسددتم الشوارع ولخبطتم نظام المرور إذا كنتم لاتملكون المبلغ الكافي لاتمام كوبري! ولماذا تبدأون المشروع ما دام ليس في جيبكم اعتماد المشروع! أليس من الاجدى ان لانبدأ المشروع الجديد إلا بعد ان نوفر له المال، ثم نبدأ بعد ذلك في المشروع التالي؟

منذ ثلاث سنوات بدأت وزارة الري في بناء هويس على ترعة الاسماعلية امام قرية المنير مركز بلبيس شرقية. و بدأ العمل بهمة استولت الوزارة على ٣٠ فدانا. اخرجت منها الفلاحين الذين يعملون فيها، ووسعوا الترعة، ونحتوا الارض لتحويل مجرى القناة لعمل الهويس المطلوب، واحضروا كمية هائلة من الحديد. ومنذ سنة توقف العمل! وانسدت الترعة مرة اخرى، واصيب الحديد بالصدأ! وسأل الفلاحون ماذا جرى؟ فقيل لهم مفيش ميزانية! سأل الفلاحون إذا لم تكن لديكم ميزانية فلماذا بدأتم المشروع! لماذا اخرجتم الفلاحين من الأرض؟ لماذا قطعتم الشجر؟

المجلس الحسبي تائه عن بعض الوزارات!



وحِّدوا الضرائب

إذا كنت تملك بيتا في حي مهجور في لندن تدفع ضريبة صغيرة وإذا حدث وشقت الحكومة شارعا واسعا امام بيتك، واستفدت من مشروعات التحسين التي قامت بها الحكومة فسيرتفع ثمن بيتك عدة اضعاف.. هنا تفرض عليك الحكومة ضريبة كبيرة على مقدار استفادتك من مشروعات الحكومة!

وفي العراق إذا كنت تملك قطعة ارض مباني وتركتها بلا بناء فوقها، فإنك تدفع ضريبة سنوية على الارض الخالية.

ولكنك في مصر تستفيد دون ان تدفع شيئا! بعض الناس اشترى قطعة من الارض بألف جنيه وباعوها بعد سنوات بمليون جنيه. ولم يدفعوا مليما للحكومة.

ولو ان لدينا مثل القانون العراقي لتردد كثيرون في ان يتركوا ارضهم في وسط المدينة بغير بناء! ولما تضاعف عدد الخرائب في مدينة القاهرة واصبحت صفيحة زبالة ضخمة في وسط العاصمة تمتلىء بالجراثيم وتتوالد فيها الامراض!

فليس الغرض من الضرائب عقاب العارقين العاملين المجدين، بل الغرض الأكبر منها ان تشارك الحكومة في الارباح التي لم يتعب اصحابها في الحصول عليها.. فمن غير المعقول ان افرض ضريبة على موظف أو عامل يشقى ويتعب ويبذل دمه واعصابه، ولا افرض ضريبة على رجل يمتلك قطعة ارض فضاء وتتزايد قيمتها كل عام عشرة الاف جنيه.. او ربما مائة الف جنيه!

وليس الغرض من الضريبة ان نذبح الفرخة التي تبيض ذهبا، بل الغرض ان نشجع الفرخة التي تبيض البيض الذهبي على ان تضاعف انتاجها لتضاعف الضريبة المفروضة عليها!

وبعض قصار النظر من الذين فرضوا الضرائب في الماضي طاردوا احسن ما في بلادنا من فراخ تبيض ذهبا حتى اضطروها إلى الهرب والهجرة إلى بلاد اخرى. وبعضهم اقام صناعات كبيرة. وبعضهم شيد عمارات ضخمة، وبعضهم تولى اكبر المؤسسات المالية في العالم.. ولم تقبض مصر مليما من الضرائب الباهظة التي فرضتها وتصورت بها انها تعصر المولين فإذا بها تعصر الشعب المصري!

ثم هناك سؤال لماذا لا توحد كل الضرائب في ضريبة واحدة، وبهذا نسهل المهمة على الجابي ودافع الضريبة معا، بدل جدول اللوغاريتمات الذي يجب ان يحفظه كل واحد منهما حتى يعرف كيف يسدد ضرائبه!

في انتظار الوزارة

كان عاقلا، او كان يبدو كذلك وهو في مقعد الحكم والسلطان. ثم دارت عليه الدائرة، وفقد الهيل والهيلمان، وفقد النفوذ والصولجان، واصبح بشرا كسائر الناس! وجن جنونه! لم يعد يطيق ان يعود آدميا بعد ان كان إلها .. يده تأكله ليقطع رقاب الناس فلا تطاوعه ذراعه. لسانه يتشوق لينطق بالحياة والموت فيجده أخرس ابكم. نظراته التي كانت تصعق وتخيف فقدت بريقها وسحرها. يمشي في الشوارع فلا يقف الناس لتحيته، ولا يهرع كبار الموظفين لعناقه، ولا تتوقف السيارات المنطلقة لتشير إليه. انه اصبح واحدا من الناس لا ينفع ولا يضر، لايكافىء ولا يعاقب، ولا يرضى ولا يغضب. لايسعد ولا يشقى! أين ذهب الاجلال والتبجيل! اين اختفى الملق والاعجاب!

لم يعد يستطيب الحياة في هوان الرجل العادي بعد ان ذاق ابهة الرجل الحاكم! وهداه تفكيره إلى انه يشيع انه قادم! و يؤكد ان الحاكم سأل عنه، وأن الكبراء يستشيرونه، وان المسولين طلبوا منه ان يستعد للقيام بدور كبير، وانه احيانا يأبى وأحيانا يعتذر. و يوما يفكر و يوما يقبل.

و يسرع الذين يعبدون الشمس يلتفون حوله! يتملقونه من جديد. يؤكدون له ان الاشاعة اصبحت حقيقة، وان الحلم الجميل في طريقه إلى ان يكون واقعا اجمل من الأحلام! و يصدق الرجل ان السراب الذي يراه هو واحة، والاكذوبة التي اخترعها هي مرسوم جمهوري، ويجلس ليضع برنامجا، و يستشير في اختيار معاونيه الذين سيشاركونه مسؤولية المهمة الجليلة!

وتمر الأيام، و يبدأ الحواريون في الانفضاض عنه من جديد، فيتناقصون كل يوم و يضطر إلى أن يؤلف قصة جديدة، فيصدقها البعض و يكذبها البعض!

و يزداد جنونه! ويحس كأنه فقد منصبه مرة اخرى! فيقيم في قلبه مأتما، و يتولى تقديم العزاء لنفسه!

ثم يدق جرس التليفون.. و يسرع إلى التليفون لاهثا! لابد ان احد الحكام يستدعيه ليتولى المنصب الهام الذي يحلم به!

و يفاجأ بأن التليفون فقد حرارته! و يهوى على مقعده! يندب سوء حظه ويحاول ان يقنع نفسه بأنه لولا ازمة التليفونات واختلاط الخطوط لاستدعاه الحاكم ليتولى المنصب الكبير الموعود.



الحرية !

انتهى الفصل الأخير من المسرحية الرائعة، واسدل الستار، ودوت قاعة الصالة بالتصفيق الذي يصم الآذان، ورفع الستار من جديد، ووقف الممثلون والممثلات ينحنون للجمهور المتحمس شاكرين، ثم اسدل الستار مرة ثانية، واستمر التصفيق وتضاعف، ورفع الستار مرة ثانية، وعاد الممثلون يردون على تحية الجمهور، وللمرة الثالثة اسدل الستار، واستمرت الجماهير تصفق حتى خرج لهم الممثل الكبير «يول براينر» وإذا بكل من في الصالة من رجال ونساء يقفون مصفقين تحية للممثل العظيم!

ولم تكن هذه ليلة الافتتاح لمسرحية «الملك وأنا» على مسرح بوريس في نيو يورك، فقد بدأ تمثيل هذه المسرحية في ٢٩ مارس سنة ١٩٥١ ومضى عليها الآن اكثر من ٢٦ سنة ولا تزال تمثل، على المسرح وفي التليفزيون وفي السينما، ولا يزال «يول براينر» ينتزع التصفيق والهتاف كانها ليلته الأولى!

من الطريف ان «يول براينر» كان يمثل دور ملك سيام، وكان يتصرف طوال الرواية كملك فعلا، وعندما خرج ليشكر الجمهور لم ينحن له كما فعل الممثلون والممثلات بل رد التحية بأصبعه كأنه فعلا ملك من ملوك القرون الوسطى!

وقد دهشت عندما قال «يول براينر» انه غير امريكى، وانه من مواليد جزيرة سخالين في شمال اليابان، وانه عاش في الصين، ثم ذهب إلى باريس ليتم دراسته وفي باريس انضم إلى فرقة للغجر كانت تغني في الاندية الليلية، ثم عمل بهلوانا في سيرك لمدة خمس سنوات. وسقط وهو يقوم بالعاب بهلوانية واصيبت سلسلة ظهره الفقرية، فاشتغل بلياتشو. وفي نفس الوقت التحق بجامعة السوربون وحصل على بكالوريوس في العلوم والفلسفة ثم بعد ذلك سافر إلى انجلترا واشتغل بالتمثيل ومنها إلى امريكا حيث تألق في المسرح والسينما.

ومسرحية «الملك وأنا» تتلخص في ان ملك سيام رزق ٨٨ ولدا و بنتا، واحضر مدرسة اجنبية من سنغافورة لتعليمهم، وحبها الملك، ولكنه اختلف معها في طريقة التربية، هويريد ان يجعل اولاده يركعون له و يسجدون، وهي تريدهم يصافحونه بغير ركوع ولا سجود!

والمسرحية تختلف عن الفيلم السينمائي بأن الملك يموت، ولكن بعد ان يجيء ولي عهده الطفل ويمنع شعبه من الركوع والسجود.. فلا يجوز ان نركع لغير الله ولا نسجد لغير الله.

إن جريمة الشعوب تبدأ من اللحظة الأولى التي تحني فيها رأسها!

ولقد صفقت مرة للممثل العظيم ولكني صفقت الف مرة للمعنى العظيم!



موت عاشقة

منذ سنوات كنت أتناول طعام الغداء في فندق سافوى في لندن.. ورأيت في المائدة التي بجوار مائدتي سيدة في الستين من عمرها صبغت شعرها بلون احمر وغطت تجاعيد وجهها بمساحيق مختلفة، ولكن رأيت حقيقة عمرها في عروق يديها. ووجدتني أحملق في هذا الوجه كأنني اعرفه جيدا.. وحاولت ان امسح من فوق ذاكرتي تراب السنين، وتذكرتها، فقد جاء وقت كانت صورتها تحتل الصفحات الاولى من جرائد العالم.. انها المرأة التي اسقطت ملكا وأثارت شعبا وحكمت دولة من وراء الستار، وقضت على مملكة.

كانت وهي في الثلاثين من عمرها من اجمل فاتنات اوربا، وكانت زوجة لضابط روماني.. وفي حفلة ساهرة رآها ولي العهد الشاب الامير كارول وتقدم يطلبها إلى الرقص، وعزفت الموسيقى وطوقها بذراعيه ليرقص معها بضع دقائق، ولكنه بقى يطوقها بذراعيه ٢٨ سنة! فقد جن ولي العهد باليهودية ذات الشعر الأحمر. وكان متزوجا من الاميرة هيلانة اجمل اميرة يونانية في تلك الأيام. وهجر ولي العهد زوجته واصبح لا يطيق فراق ماجدالايسكد، واستدعاه والده الملك فرديناالد ملك رومانيا ان يختار بين عرش رومانيا أو عرش الحب.. فاختار عرش الحب، وتنازل عن العرش، وتنازل عن لقب الامارة، وصحب المرأة التي يحبها إلى الريفيرا الفرنسية.. ومات الملك فرديناالد، واصبح حفيده الطفل وابن الملك كارول الامير ميشيل ملكا على رومانيا، وبعد عامين بدأ الشعب يضيق بأن يحكمه ملك طفل، وارتفعت الأصوات تطالب بعودة كارول.. واصبح كارول ملكا نزولا على ارادة الشعب. وتصور الشعب ان الملك الجديد سيضحي باليهودية ذات الشعر الأحمر، ليعود إلى زوجته وام ولده، وإذا بالملكة تفجع والشعب يفجع معها عندما اصر الملك على انه يريد ان يجمع بين عرش الملك وعرش الحب! وعادت ماجدا ولكنها لم تكتف بان تكون حبيبة الملك، بل اصرت ان تحكم رومانيا من وراء ستار.

وثارت نساء رومانيا ضد اليهودية ذات الشعر الأحمر.. وكان ابوها مهاجرا المانيا، يعمل تاجررو بابيكيا،ثم اصبح مرابيا ثم اصبح من كبار رجال الأعمال! ثم انضم الرجال إلى النساء في السخط على الملكة غير المتوجة، وإذا بماجدا تقنع كارول ان يحل البرلمان و يكون ديكتاتورا، وتصورت انها إذا كممت الأفواه فسوف تمنع نساء رومانيا من السخرية بها واطلاق الاشاعات عليها، ولكن الضغط يولد الانفجار، وإذا بالشعب والحكومة ينقضان على الملك و يرغمانه على التنازل عن العرش بعد ١١ سنة.

وعاش العاشقان بين اسبانيا والبرتغال وكوبا والمكسيك، وفي سنة ١٩٤٧ مرضت ماجدا، وقال الاطباء للملك انها ستموت خلال ثلاث سنوات. وقالت ماجدا للملك انها تتمنى ان تتزوجه قبل ان تموت، وتزوجها واغمى عليها في اثناء حفلة الزفاف، وحملتها عربة الاسعاف في نقالة إلى المستشفى، وانتظر الملك ان تموت حبيبته في يوم عقد زفافها! ولكنها لم تمت إلا في الاسبوع الماضى، أي بعد زفافها بثلاثين سنة، و بعد ان مات حبيبها بأربع وعشرين سنة!

ولكنها ماتت وهي لا تزال تحبه.

وكان عمرها ٨١ سنة!

عودة المظلوم

الذي يحدث في الصين الآن هو شيء جديد لم يحدث من قبل في أي بلد شيوعي.

فمن التقاليد الشيوعية انه إذا سقط حاكم من مقعد الحكم لايعود إليه ابدا، البعض منهم يعترف كذبا انه خائن وعميل و يعدم رميا بالرصاص، والسعداء منهم يذهبون وراء الشمس و يدفنون أحياء.

مالنكوف مثلا خليفة ستالين انزلوه من منصب حاكم الاتحاد السوفيتي إلى وظيفة ناظر محطة كهرباء في سيبيريا. بولجانين رئيس جمهورية الاتحاد السوفيتي وصاحب الانذار المشهور فوجئنا به عند سفرنا إلى موسكو مع الرئيس جمال عبدالناصر وقد اصبح مدير بنك — وعندما تمشينا معه في الكرملين فوجئنا بهم يضعون بولجانين هذا بعد الصاغ محمود الجيار ياور الرئيس في الترتيب على مائدة العشاء!

ونسمع اليوم عن تنج هستد بنج الذي كان أحد زعماء الصين الكبار وكان من اقرب الزعماء إلى ماو تسى تونج. ثم قامت الثورة الثقافية، وقبضت عليه الجماهير الثائرة، ووضعت على رأسه طرطورا. ومشت تزفه في الشوارع. تهتف بسقوطه وتسبه وتلعنه وتصفه بأحقر الصفات والنعوت!

وكانت مدام شانج شينج زوجة الزعيم ماو تسى تونج هي التي اعدت موكب العار هذا، وهي التي حرضت الزعيم الكبير على الاطاحة بواحد من أكفأ أنصاره وأخلص رجاله، والجماهير احيانا تندفع فتردد ما تسمعه، فإذا بها ترمى هذا الزعيم بالتراب والطين.

وعاش المطرود عشر سنوات في ظلام النسيان والجحود ونكران الجميل ولعنات المنافقين، ثم استطاع ان يسترد مكانته في عام ١٩٧٥ ونجح شواين لاى رئيس الوزراء في ازالة آثار الدسائس والمكائد من قلب الزعيم الكبير!

ولكن دهاء زوجة زعيم الصين كان اقوى من ذكاء كل الرجال، واستطاعت عصابة الأربعة مرة اخرى ان تقلب ماو تسى تونج من جديد على معاونه المخلص ورفيقه في معركة التحرير.. وصدر قرار بتجريد تنج المسكين من جميع القابه ومناصبه ووجد نفسه في الشارع من جديد.

ثم مات الزعيم ماو تسى تونج وارادت ارملته ان ترث الحكم والسلطان. ورفض زعماء الصين ان يجعلوا الصين عزبة ترثها الأرملة والأولاد والمحاسيب. وقبض الزعماء على الأرملة وعصابة الأربعة التي ارادت ان تضع على رأسها التاج وفي يدها الصولجان!

وخرجت مظاهرات الشعب تنادى بعودة تنج المظلوم! وسار في نفس المظاهرات الذين رموه بالطوب وهتفوا بسقوطه وزفوه في موكب العار!

وصدر قرار بتعيين تنج نائبا لرئيس الوزراء ونائبا لزعيم الحزب ورئيسا لهيئة اركان حرب الجيش!

وخرجت المظاهرات تهتف بسقوط الأرملة الطاغية وبحياة الرجل المظلوم.



الحب هو صاحب الجلالة

صحف العالم مشغولة بالبحث عن عروس لولي عهد انجلترا الشاب. وفي كل يوم يختارون له اميرة اوربية أو ابنة لورد عريق لتجلس معه على عرش سان جيمس.

وآخر المرشحات هي الأميرة الفاتنة مارى استريد ابنة دوق لكسمبرج اصغر مملكة في العالم.

وإذا بالأميرة تثير مشكلة لم يتوقعها الخطاب الذين تقدموا لخطبتها إلى ولي العهد الشاب. وهي ان الأميرة تعمل ممرضة في أحد المستشفيات، وهي متمسكة بوظيفتها، ولا تريد ان تتركها لتكون ملكة!

وقال الناس انها مجنونة! كيف تكون وظيفة الممرضة اعظم من وظيفة الملكة! كيف ترفض هذه الفتاة الصغيرة! ان تضع على رأسها التاج، لتضع فوق رأسها قبعة الممرضات البيضاء! كيف تفضل الأميرة الشابة ان تسمع تأوهات المرضى وصراخهم على ان تسمع النشيد الملكي يعزف لها كلما خرجت أو دخلت، وكلما قامت أو قعدت!!

والمحاولات مستمرة لاقناعها ان تنزع من رأسها قبعة الممرضة وتضع التاج. وولي العهد سيزورها هذا الأسبوع ليحاول اقناعها!

ولو ان الأميرة الصغيرة اصرت على رفض التاج فسوف تثبت انها اعقل من كل المجانين الذين يحاولون اقناعها ان تقبل ان تكون ملكة!

صحيح الأمير شارل ولي عهد انجلترا شاب ممتاز، أنيق جميل، خفيف الدم، متعلم، محبوب من الشعب البريطاني. ولكن التاريخ قال لنا ان اشقى نساء المملكة هي الملكة! القصر يتحول إلى سجن والحاشية تتحول إلى جواسيس تتعقب خطوات الملكة وتكتب التقارير والحراس لايحرسون الملكة، وانما هم سجانون يمنعونها من الفرار عرفت ملكات كثيرات يبتسمن في القصور وقلوبهن تبكي.. فوق رءوسهن التاج وفي داخل رءوسهن كل الهموم والأحزان.. تتمنى الواحدة منهن أن تعيش في كوخ مع زوج عادي لتستمتع به كما تستمتع أي زوجة عادية. كل خطوة تخطوها بحساب. كل كلمة تتفوه بها يجب أن توضع في ميزان قبل أن تنطق بها. ليست حرة في اختيار صديقاتها. ليست حرة في اختيار خادماتها.. في بعض القصور الملكية كانت الجارية أقوى نفوذا وسلطانا من الملكة!



انه بجانبك ولاتراه

قد تلتقي بانسان لأ ول مرة في حياتك، و بعد دقائق تشعر انك عرفته العمر كله. وقد تعيش طول حياتك مع انسان في بيت واحد، ثم تكتشف بعد سنوات طو يلة انك لم تعرفه ابدا.

الانسان الغريب ليس هو الانسان الذي لم تقابله من قبل، وانما هو الانسان الذي قابلته ولم تعرفه. وتحدثت معه ولم تفهمه، وعشت معه فازددت به جهلا!

والزمن لايحل الغاز البشر ولا يكشف سرهم. ربما يزيدها تعقيدا وغموضا وابهاما، بعض الناس يضع قناعا على وجهه فإذا نزعت القناع رأيت وجهه الحقيقي وآخر يضع عدة اقنعة، فإذا نزعت قناعا وجدت قناعا!

ويحدث ان ترى انسانا تختلف معه في كل شيء و بعد دقائق من اللقاء تذوب كل هذه الفوارق وتختفي، وتحس انك تقترب منه وهو يقترب منك. فكرا ومسافة وشعورا وفهما. تسمع الكلمة قبل ان ينطق بها. تضحك للنكتة قبل ان يقولها. تقتنع بالرأي قبل ان يشرحه. ثم لاتصدق عينيك ان هذا أول لقاء بينكما. لايمكن! هذا الوجه ليس غريبا عني! هذا الصوت مألوف على اذني. هاتان العينان اعرف لونهما من قبل! وتتوهم انك رأيت هذا الانسان في عالم قبل هذا العالم. ولابد ان صداقة بينكما نشأت في الحياة الاخرى، وانه جاء ليستأنف هذه الصداقة.. الأ رواح تتصافح قبل الأ يدى وقبل العيون!

وقد لاتكون هناك حياة اخرى قبل هذه الحياة، ولكن قد يوجد تشابه بين ارواح الناس. قد تجد انسانا لايشبهك في مظهرك الخارجي، ثم تعجب عندما تجد انه يشبهك من داخلك شبها مذهلا. فيه مزاياك وله عيوبك. يحب ما تحب و يكره ما تكره، يعشق نفس الموسيقى ويمقت نفس المطربة! يشاركك الرأي في الناس والاحداث والافكار وكأنه كان ظلا لك لم يفارقك طول حياتك.. واجمل شيء في الحياة ان تجد من يفهمك. من تجامله فلا يتصور انك تشتمه، ومن تقبله فلا يتألم وكأنك تعضه. ومن تمنحه قلبك فلا يرميه في صندوق القمامة او سلة المهملات! من تسعده كلمة منك كأنها مليون جنيه!

وكل انسان له شبيه روحي. خلق من نفس الاحساس والعواطف والاحلام. في دمه نفس الكرات الحمراء والبيضاء. في قلبه نفس النبضات!

وإذا لم تلتق به اليوم، فسوف تلتقى به غدا!...

وقد يكون جالسا بجانبك ولا تراه!



الابنة العاقة

اقشعر المتفرجون على التليفزيون البريطاني وهم يشهدون على الشاشة الصغيرة حوارا بين ابنة وامها. كان الحوار في يوم عيد الأم.

الابنة عمرها ستون سنة والام عمرها ٨٧ سنة.

الابنة تحاول ان تقنع امها بان تنتحر.. سمعوا صوت الابنة ورأوا صورتها وهي تقول لامها: بحق السماء! هذا ليس جبنا ابدا، لو كان لديك كلب وهو في هذه الحالة لارسلته إلى المستشفى ليقتلوه!

وتعترض الأم على اقتراح ابنتها وتقول لها: ولكن الكلب له روح! اخشى ان يعاقبنى الله إذا انتحرت!

وتشجعها الابنة وتقول: لا تصدقي ان الله يعاقبك لأنك قتلت نفسك، لايكون عندك شك في ذلك ياأماه! لا ترددي ياأمي! لا تعقدي الأمور.. هيا انتحري!

ثم يرى المشاهدون الابنة وهي تضع اقراصا من السم في كوب امها وتقدمه لها لتنتحر وتموت!

هذا ليس منظرا في مسرحية يعرضونها في مسلسلات رمضان في التليفزيون البريطاني. انها فيلم حقيقي استطاعت عدسة مختفية وضعها البوليس الانجليزي في غرفة نوم امرأة عجوز تحاول ابنتها اقناعها أن تنتحر، لترثها الابنة وتبلغ قيمة الثروة سبعين الف جنيه تسدد بها الابنة ديونها!

وتدخل البوليس في الوقت المناسب ومنع الابنة من ارتكاب جريمتها وقبض عليها وقدمت للمحكمة، واستند البوليس في أدلته على هذا الفيلم المصور، وحكمت المحكمة بحبس الابنة العاقة عامين لانها حرضت امها على الانتحار، ولم تقع الجريمة لأسباب خارجة عن ارادتها!

وقامت قيامة الرأي العام البريطاني، وقال الناس ان هذا الفيلم ما كان يجوز ان يعرض لانه يسجل ما وصلت اليه ابنة من العقوق والضعة والحقارة.. وزاد في بشاعة الجريمة ان الابنة حاولت ان ترتكب جريمتها في عيد الأم الذي تقدم فيه كل ابنة هدية لأمها، واذا بهذة الابنة المجرمة تقدم لها السم!

وكانت ثورة الرأي العام الكبرى على البوليس كيف يضع ميكروفونا في غرفة نوم امرأة، ليسمع حديثا بين ام وابنتها، حتى ولو كان هذا ليمنع جريمة وقال اصحاب هذا الرأي ان من واجب البوليس ان يمنع ارتكاب جريمة بشرط الا يعتدى على حرمة البيوت، وان وضع الميكرفونات سرا للتسمع على ما يجرى في مخادع الناس لا يحدث إلا في البلاد الشيوعية والبلاد الديكتاتورية.

واعترض الكثيرون ان يسمح البوليس بعرض هذا الفيلم في التليفزيون، وقالوا انه قد يمكن التسامح بأن يقدم الفيلم إلى المحكمة كدليل، ولكن عرضه في التليفزيون هو اعتداء على حرية صاحبة البيت حتى ولو كانت مجرمة.

وقال البوليس انه اراد بعرض الفيلم ان يعلم الجميع ان البوليس يحمي حياة امرأة في التسعين من عمرها كما يحمي ملكة انجلترا، وانه يريد ان يلقى بهذا الفيلم عظة على كل ابن وابنة يصاب بالجشع فيحاول ان يتخلص من والده العجوز أو من امه العجوز من اجل المال.

ومن سخرية القدر ان الأم العجوز ماتت بعد ذلك بثلاثة شهور موتا طبيعيا. وبوفاتها ورثت الابنة السبعين الف جنيه.

ولكنها ورثت معها لعنات كل ام في العالم!



دعاء ليلة القدر

يارب!

اعطني القوة، لأقف مع الضعفاء، واعطني الصمود، لأ واجه الظالمين.. واعطني الايمان لأقهر به الطغيان.. واعطني الشجاعة، لاقول ما اعتقد، ولا أتردد ولا اتراجع، ولا أخاف!

يارب!

املأ قلبي بحب كل الناس.. لا تترك فيه مكانا لحقد أو كراهية أو بغضاء أو انتقام، اجعلني كبيرا حتى اعفو، ولا تجعلني صغيرا حتى لاابطش! علمني القناعة لارضى بما تعطي، وارضى بما تأخذ!

يارب!

اعطني قلما ادافع به عن الحق واقاوم به الباطل.. لا تعطني سيفا اقطع به الرؤوس، وانما اعطني صوتا يهز المتجبرين. اعطني اليد التي اساعد بها الواقعين على الارض، ولا تعطني اليد التي ادفع بها المساكين ليقعوا على الارض راكعين!

يارب!

افسح لي مكانا في الصف الأول من الضحايا والمساكين، ولا تترك لي مكانا في صفوف جامعي الاسلاب والمنتفعين، لاتجعلني ارتفع فوق جثث اصدقائي واخواني بل اجعلني امشي بجوارهم اشاركهم الحلو والمر واقاسمهم النصر والهزيمة. لاتجعلني انانيا اتصور ان القمة لا تتسع إلا لفرد واحد، بل ارفع الغشاوة عن بصري لاعلم ان الوقوف وحدي فوق القمة هو بداية السقوط، وان القمة الحقيقية تتسع لكثيرين.. وان الذين يقفون وحدهم فوق القمة يموتون من الوحدة والبرد الشديد!

يارب!

بارك في بلادي. حرر كل شبر من ارضها من الاحتلال. ارفع الاعباء الثقيلة التي تطحن شعبها.. اجعلها منارة الديمقراطية وكعبة الأحرار. اجعلها أمة المؤمنين لا كهف المتعصبين. اضيء لها الطريق للتقدم نحو الامام، بلا جمود ولا رجعية ولا الحاد. ضاعف عدد الذين يحملون المشاعل. قلل عدد الذين يحملون معاول الهدم. احمها من الرجوع إلى الوراء. انقذها من العقول الضيقة والصدور الضيقة. وسع صدور اهلها لتقبل كل رأى وافتح عقول أهلها لمناقشة كل فكر.. اعطنا اعلاما ولا تعطنا مشانق! اعطنا جامعات ولا تعطنا معتقلات! اعطنا صحفا جديدة واحزابا جديدة وحوارا بناء لا تقاذفا بالطوب!

اجعلنا نحب بلادنا ونعشقها، لانسألها ماذا ستعطينا، بل نسأل انفسنا ماذا سوف نعطيها. اجعلنا نحرسها بحبنا ونرويها بعرقنا، ونبنيها بجهدنا، اعطنا الصبر لنحتمل اعباءنا، واجعلنا نثبت للدنيا اننا اقوى بلا سلاسل.. وأصلب بلا قيود!

هذا هو دعائي في ليلة القدر يارب.

نجمٌ هوى

كان شابا جميلا.. عيناه باسمتان.. وجهه جذاب. فيه ذلك السحر الغريب الذي تجده في بعض الناس كأنه يقول لك انا ابنك.. انا صديقك.. انا اخوك الصغير!

ولا اذكر انني صافحته، أو تحدثت إليه، أو جلست معه في مكان، ومع ذلك كنت احس دائما انه يجلس معي في بيتي كل ليلة!

وقد كان مذيعا في التليفزيون!

ولمع ونجح وفوجئت بالمخرج كمال الشيخ يختاره ليمثل في فيلم! واشفقت على الشاب.. خشيت ان ينطفىء كممثل، وان يفشل على الشاشة الكبيرة بعد ان نجح على الشاشة الصغيرة!

ورأيته في فيلم ميرامار لنجيب محفوظ، وإذا به عملاق بين عمالقة الممثلين في الفيلم. فرض هذا الشاب الصغير المبتدىء نفسه بين النجوم الكبار.. احس به المتفرج.. احس ببراءته التي تشبه الاطفال.. احس بصدقه وحيرته. وكان دور «منصور باهي» من اجمل الأدوار الثانوية التي رأيتها في الأفلام المصرية.

وهوى النجم كما صعد! اصيب بمرض عضال.. انطفأت الأضواء. انحسرت الشهرة.. سكتت الطبول.. ماتت صيحات الاعجاب. المرض التهم كل هذا.. حول الشاب إلى حطام. امتص النضارة إلى نحول!.. اصبح اقصر مما كان! ما العن المرض، انه أشد هولا من الموت! في المرض نموت كل يوم، وفي الموت نموت مرة واحدة!

ومكث سنوات يعالج من المرض.. وشخصوا مرضه في البداية على انه سرطان الدم ثم اخذوا يعالجونه على انه صفرة، والاطباء يأملون في ان يشفى بعد سنوات من الغربة والعذاب والنسيان! وقد جاء إلى مصر! ومشى فيها كالشبح.. لم يعرفه احد! لم يتصور الذين رأوه ان هذا الشاب الصغير الضئيل كان من المع نجوم التليفزيون، ولولا مرضه فربما كان انور وجدي الجديد!

ولكن ليتأكد عبدالرحمن على ان مصر لم تنس الشاب الجميل الصغير الذي أسعدها ساعات في تليفزيون القاهرة! الرجل الذي اسعدنا ساعة واحدة يستحق ان نذكره العمر كله!

ولندع لهذا الشاب الصغير بالشفاء! ملايين الدعوات إلى الله قد تصنع لهذا الشاب اكثر مما يستطيع اعظم اطباء الدنيا!

حب الملايين يعيد الشباب!



٦ أكتوبر

٦ اكتوبر هو الذي اعاد الاعتبار للشعب المصري والجيش المصري والقيادة المصرية، بعد سنوات من الذل والقهر والهزيمة والهوان.

هو الذي انهى شعار «لاصوت يعلو على صوت المعركة.. إلا صوت الحاكم!» وهو الذي قضى على خرافة ان سقوط ثلث مساحة ارض مصر لايهم، وانما المهم انه لم تسقط حكومة مصر.

هو الذي اعاد للشعب العربي كرامته بعد ان مرغت هزيمة ٥ يونيو هذه الكرامة في الوحل والعار، ورفع رأس المواطن العربي الذي عاش سنوات الهزيمة منكس الرأس مقهورا مغلوبا تدوسه اقدام الغزاة.

هو الذي اظهر للدنيا قدرة الامة العربية على ان تتحد وتضرب ضربتها، فتهز الدنيا، وتثبت ان سلاح البترول لا يقل خطورة عن القنبلة الذرية.

وهو الذي أكد ان الجيوش العربية قادرة ان تقضي على خرافة الجيش الاسرائيلي الذي لايهزم ابدا، واوضح ان الجيوش العربية عندما تسلح لتدافع عن الحاكم تعجز ان تدافع عن الوطن، ولكنها عندما تسلح لتدافع عن الوطن تستطيع ان تحرر ارضه المحتلة والمغتصبة.

هو الذي جعل الاقتصاد العربي المنهوب ملكا خالصا للعرب، وهو الذي جعل رأس المال العربي يلعب دورا رئيسيا في اقتصاد العالم.. وجعل سياسة عداد العرب مرادفة للبطالة وللأزمة المالية العالمية ولاهتزاز الاقتصاد الدولي.

هو الذي حطم خط بارليف وحطم قلاع الاستعباد والاستبداد وأضاء الأنوار بعدالظلام الدامس. واطلق سراح الأسرى المصريين الذين أسرهم الارهاب والطغيان.

وهو الذي فتح الابواب المغلقة فرأينا العالم ورآنا العالم بعد ان عشنا طويلا في السجن الكبير.

تحية لكل شهيد مات لتحيا مصر. ولكل من فقد ساقيه لتقف مصر على اقدامها. ولمن شوهته القنابل ليعيد لمصر جمالها. ولمن اصيب بالعجز لتنطلق مصر وتحطم سلالها وقيودها.

تحية للذين رووا ارض سيناء بدمهم، وعطوها بعظامهم وجثثهم، وحملوا اعلامها وعبروا وهم يهتفون الله أكبر.

تحية لكل جندي وضابط، لكل عامل في مصنع اشترك في صنع معدات العبور، ولكل بناء بنى قواعد الصواريخ. تحية لطائرات قليلة قديمة هزمت طائرات كثيرة وجديدة.

تحية لشبان استوعبوا التكنولوجيا وجددوا فيها وابدعوا وأذهلوا الدنيا.

تحية لهذا الشعب الصابر الذي تحمل ما لم يتحمله البشر، والابتسامة لم تفارق شفتيه ابدا.

مع رجال الأعمال الألمان

زارني عدد من رجال الأعمال الألمان الغربيين. عزفوا لي الموسيقى التي احب ان اسمعها.. موسيقى تطربني وتشجيني. قالوا لي ان العالم الاقتصادي اصبح يتحدث عن مصر انها منطقة المستقبل. ما دامت ستكون منطقة الحرية والديمقراطية والقانون. وكل هذا يؤدي إلى الاستقرار والامان والاطمئنان. يتحدثون عن حجم سوق الاستهلاك في مصر. عن الثروة الضخمة التي حولها. عن عدد السكان الكبير. عن ذكاء العامل المصري وسرعة التقاطه للآلة الحديثة. عن التأكيدات التي تعلن ان لا مصادرة ولا حراسة ولا تأميم!

وزارني رجال أعمال ألمان يمثلون ٦ شركات صناعية وزراعية ومجموعة كبيرة من الشركات المساعدة وحدثوني عن المشروعات التي يريدون القيام بها في مصر وانهم اشتركوا في المعرض الصناعي الدولي في ارض المعارض من ١٧ إلى ٢٨ اكتوبر.. وانهم تاهوا وهم يبحثون عن مسؤول يتحدثون إليه، وتعبوا في ان يجدوا من يتصلون بهم.. وخطر ببالي ان ننتهز هذا المعرض ونقيم مكتبا مشتركا من وزارات الاقتصاد والصناعة والزراعة. فيه عدد من الموظفين يجيدون اللغات الاجنبية لديهم السلطة في توجيه اصحاب المشروعات. وبذلك نوفر عليهم اللف والدوران ولعبة «دوخيني يالمونة» في الوزارات والمصالح المختلفة.

هذه الادارة الصغيرة لاتحتاج إلى مكتب ضخم ولا إلى سعاة وحجاب، ولا إلى تكييف هواء ممكن ان نضعها في كوخ من الخشب.. يجلس ثلاثة من الموظفين على مكاتب ايديال بسيطة، حتى نشعر المستثمر الاجنبي بجديتنا. يجب ان تكون لدينا مجموعات من اللائحة التنفيذية لقانون الاستثمار مترجمة بالانجليزية والالمانية والفرنسية لنقدمها للعارضين الاجانب الذين يريدون استثمار اموالهم في مصر. من الممكن ان يكون هذا المكتب مصغرا لمكتب خدمات الاستثمار الذي انشأته هيئة الاستثمار.

ان كثيرين من رجال الأعمال يرغبون في الاتصال مباشرة بأجهزة الدولة بغير سماسرة او وسطاء. تجربتهم في بلاد اخرى علمتهم ألا يثقوا كثيرا بالسماسرة.. وهم لايثقون كثيرا بالسماسرة الذين يذهبون إلى فنادق القاهرة الكبرى و يقولون للزبائن «استثمار ياخواجة» كما يمر ماسح الأحذية على القهاوي و يقول للجالسين، «تمسح يابيه»!



لاتخف!

دخل إلى المؤسسة التي يعمل بها، في كل غرفة عدد من الموظفين لايعملون شيئا. كلهم يهمسون بالشكوى. يتحدثون عن أخطاء تحدث.. عن جرائم ترتكب عن اموال تهدر. هذه الهمسات تتكرر كل يوم. تبدأ من ساعة دخول الموظفين، وتنتهي عند انصراف الموظفين.

قالوا له: لافائدة! قال لهم: ان الحل ان يكتب كل واحد منا شكواه و يتقدم بها إلى الوزير!

قالوا: وماذا يحدث لورآنا المدير ونحن ندخل إلى مكتب الوزير.. سوف يقطع رقابنا!

قال لهم: الحل ان ترسلوا شكوى إلى الوزير ونص الشكوى إلى المدير.كل واحد منا يتحدث عن الأغلاط التي يراها، و يقترح الحلول لملافاة هذه الأخطاء!

سألوا: ماذا يحدث لنا لو لم يفعل الوزير شيئا، لو تدخل المدير والقى الشكاوى في سلة المهملات؟

قال: اكتبوا إلى الصحف.

قالوا: وإذا رفضت الصحف ان تنشر السلبيات لانها لا تنشر إلا الايجابيات!!

قال: اذهبوا إلى مجلس الشعب.. ستجدون ولو نائبا واحدا يتقدم بسؤال واستجواب! ليس من حق أي مواطن ان يغمض عينيه عن تصرف غير سليم. أي مال يسرق من مصلحة هو مال يسرق من جيبي وجيبك. وإذا سكت عن رشوة فانا شريك فيها، وانا مشجع عليها. ولو ان كل مواطن منا اعتبر نفسه خفيرا على هذا البلد لانتهى كل اللصوص. ولو ان كل واحد منا اعتبر نفسه شريكا للدولة وليس تابعا لها، لعرف ان واجبه ان يراقب كل عمل، وان يكشف كل خطأ، وألا يغمض عينيه عن أي سلب ونهب، مهما يكن السلب صغيرا. لايكفي ان نجلس في اماكننا ونهمس، بل يجب ان يتحول الهمس إلى عمل. ان نكتب ما نراه.

ان احدا لن يستطيع ان يحمى منحرفا، والذي يحمي المنحرف هو شريك اصلي في الانحراف. ولكن الأمر يحتاج إلى شجاعة واقدام. وقد انتهى عصر الارهاب، وليس من حق أحد ان يبطش بانسان لانه قال الحق، أو اشار إلى مكان الانحراف!

من بقايا عصر العبودية انه اذا غضب رئيس عمل على موظف لأنه اختلف معه في الرأي، نقله من وظيفته بغير تحقيق، وارسل محاسيبه ينقبون خلفه، و يلفقون له التهم، و يبحثون له عن شهود الزور ليدعي انه ابعد الموظف لأنه لص، لا لأنه قال لا.. في زمن أصبح من حق كل انسان ان يقول فيه لا.. حتى لرئيس الجمهورية.

وهذا أيضا يجب ان يتوقف. يجب ان نقول الحقيقة، ولا نعاقب أي شجاع يبدي رأيه.

انتهى عصر قطع الألسنة وانتهى ايضا عصر تلفيق التهم!

قل يارب!

لا تيأس من رحمة الله، انا ذقت الذل وعرفت الهوان. عشت منبوذا لايجرؤ أحد على الاقتراب مني، أحرقتني مرارة الظلم. رأيت الدنيا وهي تدير ظهرها لي.. أصحابي ينكرونني.. بعض الذين خدمتهم يغمدون خناجرهم في ظهري.

اسمي يحذف من الصحف التي أسستها. مالي يوضع تحت الحراسة. لايجرؤ أحد ان يذكر اسمي. مهندسان في شبرا الخيمة يذكران اسمي، فيقبض عليهما و يوضعان في نفس السجن. محررة ترفض ان تشهد زورا ضدي فتفصل وتحرم من العمل في الصحافة. سكرتيرتي تسلم لي جريدة اثناء المحاكمة فيصدر قرار بفصلها من اخبار اليوم وبالتنبيه على لجميع المؤسسات في مصر وجميع الشركات الأجنبية بأن ترفض استخدامها، والمدير الذي يعطيها وظيفة سيوضع في المعتقل. التهم تنهال على رأسي.. الأكاذيب تلفق ضدي. القرار صدر بأن أموت وأنا على قيد الحياة. ان اوضع في قبر لايعرف الناس أين هو حتى لايزورني أحد و يقرأ على الفاتحة! الأمر صدر بأن يموت كل من يقف معي جوعا!

ما أقسى الوحدة على رجل تعود ان يعيش مع الناس! واقسى من الوحدة ان تتلقى الطعنات وانت مقيد لا تستطيع ان تدافع عن نفسك، وان توجه إليك الأكاذيب وان يقطعوا لسانك لكي لا تعرف الحقيقة، واقسى من هذا وهذا ان يتصور الضباع انك ميت فينهشوا جثتك، و يبيع كل واحد منهم قطعة من لحمك. الجوع مؤلم والعطش قاتل ولكن افظع منهما الجحود ونكران الجميل. أي انسان يصادف كل هذا يجب ان يموت، أو يجب على الأقل ان يصاب بالشلل، ولكن الغريب ان الله لايترك واقعا على الارض إلا و يساعده على الوقوف. لايترك مؤمنا في الظلام إلا و يبعث له شعاعا من نور. لايترك محطما إلا ويمنحه ايمانا يجعله يستطيع ان يجمع اشلاءه الممزقة.

رحمة الله قد تتأخر، ولكن لابد ان تجيء! احيانا تبدو المسافة طويلة بين السماء والارض، ولكنها دائما تحمل الترياق للمسموم وتجيء بالدواء للمريض، وتعطى الأمل لليائس، وتنتزع المرارة من الشفاه! كلما كان الظلام يحيط بي كنت أرى قبسا من نور الله. اذا صمتت الدنيا وأحست انني سأموت وحيدا طريدا شريدا محزونا مقهورا شقيا، وجدت يد الله تفتح طاقة لي في السماء أرى في نورها الأمل والحب. تجعل جسمي الذي يرتعش من البرد يحس بدفء عجيب.. تسري في قلبي الخائف كهرباء سحرية تقويني من ضعفي، وتجعلني أصمد بعد تخاذل، وأحلم بغد مشرق بعد ظلام طويل!

كل عداء من القلب يصل إلى السماء. وفي السماء عقول اشبه بالعقول الالكترونية تنظم الدعوات والطلبات والشكاوى، وتعطي الأسبقية لمن هم اكثر حاجة منك. لا تتصور ان عذابك اكثر من عذاب الآخرين فلو عرفت آلام الآخرين على حقيقتها لصبرت على آلامك بعض الوقت.

اجلس وانتظر..وسوف تدق رحمة الله بابك.

قل يارب!



فهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



كتب للمؤلف

● أمريكا الضاحكة

حياة طالب مفلس في أمريكا

الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ ــ (نفدت) .

الطبعة الثانية سنة ١٩٤٣ ــ (نفدت) .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤ ــ (نفدت) .

● فاطمة

مثلتها للسينما أم كلثوم وأنور وجدي سنة ١٩٤٧ .

● عمالقة وأقزام

ساسة مصر قبل الثورة .
سنة ١٩٥١ ــ (نفدت) .

● ليالي فاروق

قصة حياة الملك السابق

الجزء الأول سنة ١٩٥٤ ــ (نفدت) .
الجزء الثاني سنة ١٩٥٤ ــ (نفدت) .

● معبودة الجماهير

الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ ــ(نفدت) .

مثلها للسينما عبدالحليم حافظ وشادية .

● صاحبة الجلالة في الزنزانة

قصة الصحافة المصرية في الأغلال والصراع بين الصحافة والطغيان.

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ ــ (نفدت).

الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ ــ (نفدت).
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٥.

● سنة أولى سجن

الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٧٤ — (نفدت).
الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٧٤ — (نفدت).
الطبعة الثالثة يناير ١٩٧٥ — (نفدت).
الطبعة الرابعة فبراير ١٩٧٥ — (نفدت).
الطبعة الخامسة مايو ١٩٧٥ — (نفدت).
الطبعة السادسة يناير ١٩٧٨.
الطبعة السابعة أبريل ١٩٨١.

● الكتاب الممنوع

أسرار ثورة ١٩١٩.

الطبعة الأولى ١٩٧٤ ــ (نفدت).
الطبعة الثانية ١٩٧٥.

● سنة أولى حب

يناير ١٩٧٥.
مثلها للسينما محمود ياسين ونجلاء فتحي.

● ست الحسن

الطبعة الأولى ١٩٧٦ ـ (نفدت).
الطبعة الثانية ١٩٨١.

● من واحد إلى عشرة

الطبعة الأولى ١٩٧٧.
الطبعة الثانية ١٩٨١.

● سنة ثانية سجن

الطبعة الأولى ١٩٧٧.

● سنة ثالثة سجن

الطبعة الأولى ١٩٧٨.

● لا ..

الطبعة الأولى ١٩٧٧.

● لكل مقال أزمة

الطبعة الأولى ١٩٧٩.

● الـ ٢٠٠ فكرة

الطبعة الأولى ١٩٧٩.

● تحيا الديمقراطية

الطبعة الأولى ١٩٨٠.

● من عشرة لعشرين

الطبعة الأولى ١٩٨١.

● صاحب الجلالة الحب

الطبعة الأولى ١٩٨٠.

● من فكرة لفكرة (الجزء الأول)

الطبعة الأولى ١٩٨٣.

● من فكرة لفكرة (الجزء الثاني)

الطبعة الأولى ١٩٨٤.

● مسائل شخصية

الطبعة الأولى ١٩٨٤.



إصدارات: تهامة للنشر والمكتبات

سلسلة: الكتاب العربي السعودي

صدر منها:

العنوان	المؤلف
• الجبل الذي صار سهلا (نفد)	الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر	الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية (نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (نفد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• الظمأ (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• الدوامة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى (قصة طويلة) (نفد)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة	الدكتور علي بن طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين؟	الدكتور عبدالعزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية	الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين	الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل	الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة	الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نفد)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام (نفد)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• وقفة	الدكتور عبدالله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (نفد)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن	الأستاذ عبدالله الحصين
• كتاب في علم إدارة الأفراد (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• الإبحار في ليل الشجن (ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان	الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجها لوجه	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• الحضارة تحد (نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف (قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
• الرجولة عماد الخلق الفاضل	الأستاذ حمزة شحاتة
• ثمرات قلم	الأستاذ محمد حسين زيدان
• بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (تراجم)	الأستاذ محمد علي مغربي
• النجم الفريد (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مكانك تحمدي	الأستاذ أحمد محمد جمال
• قال وقلت	الأستاذ أحمد السباعي
• نبض	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• نبت الأرض	الدكتورة فاتنة أمين شاكر

- **السعد وعد** (مسرحية) — الدكتور عصام خوقير
- **قصص من سومرست موم** (مجموعة قصصية مترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- **عن هذا وذاك** (الطبعة الثالثة) — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- **الأصداف** (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- **الأمثال الشعبية في مدن الحجاز** (الطبعة الثانية) — الأستاذ أحمد السباعي
- **أفكار تربوية** — الدكتور ابراهيم عباس نتو
- **فلسفة المجانين** — الأستاذ سعد البواردي
- **خدعتني بحبها** (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبدالله بوقس
- **نقر العصافير** (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- **التاريخ العربي وبدايته** (الطبعة الثالثة) — الأستاذ أمين مدني
- **المجاز بين اليمامة والحجاز** (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالله بن خميس
- **تاريخ الكعبة المعظمة** (الطبعة الثانية) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- **خواطر جريئة** — الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
- **السنيورة** (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- **رسائل إلى ابن بطوطة** (ديوان شعر) — الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
- **جسور إلى القمة** (تراجم) — الأستاذ عزيز ضياء
- **تأملات في دروب الحق والباطل** — الشيخ عبدالله عبدالغني خياط
- **الحمى** (ديوان شعر) (الطبعة الثانية) — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- **قضايا ومشكلات لغوية** — الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
- **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة** — الأستاذ محمد علي مغربي
- **زيد الخير** — الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي
- **الشوق إليك** (مسرحية شعرية) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- **كلمة ونصف** — الأستاذ محمد حسين زيدان
- **شيء من الحصاد** — الأستاذ حامد حسن مطاوع
- **أصداء قلم** — الأستاذ محمود عارف
- **قضايا سياسية معاصرة** — الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
- **نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي** — الأستاذ بدر أحمد كريم
- **الإعلام موقف** — الدكتور محمود محمد سفر
- **الجنس الناعم في ظل الإسلام** — الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
- **ألحان مغترب** (ديوان شعر) (الطبعة الثانية) — الأستاذ طاهر زمخشري
- **غرام ولادة** (مسرحية شعرية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- **سير وتراجم** (الطبعة الثالثة) — الأستاذ عمر عبدالجبار
- **الموزون والمخزون** — الشيخ أبوتراب الظاهري
- **لجام الأقلام** — الشيخ أبوتراب الظاهري
- **نقاد من الغرب** — الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
- **حوار.. في الحزن الدافيء** — الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- **صحة الأسرة** — الدكتور زهير أحمد السباعي
- **سباعيات** (الجزء الثاني) — الأستاذ أحمد السباعي
- **خلافة أبي بكر الصديق** — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- **البترول والمستقبل العربي** (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
- **إليها ..** (ديوان شعر) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- **من حديث الكتب** (ثلاثة أجزاء) (الطبعة الثانية) — الأستاذ محمد سعيد العامودي

- أيامي — الأستاذ أحمد السباعي
- التعليم في المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
- أحاديث وقضايا إنسانية — الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة
- البعث (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي مغربي
- شمعة ظمأى (ديوان شعر) — الدكتور أسامة عبدالرحمن
- الإسلام في نظر أعلام الغرب (الطبعة الثانية) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- حتى لا نفقد الذاكرة — الأستاذ سعد البواردي
- مدارسنا والتربية (الطبعة الثالثة) — الأستاذ عبدالواهاب عبدالواسع
- وحي الصحراء (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالله بلخير، الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
- طيور الأبابيل (ديوان شعر) (الطبعة الثانية) — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- قصص من تاغور (ترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية) — الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
- زوجتي وأنا (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان — الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
- لن تلحد — الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري
- عمر بن أبي ربيعة (الطبعة الثانية) — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- رجالات الحجاز (تراجم) — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- حكاية جيلين — الدكتور عبدالله حسين باسلامة
- من أوراقي — الأستاذ محمد سعيد العامودي
- الإسلام في معترك الفكر — الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
- في رأيي المتواضع — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- العالم إلى أين والعرب إلى أين ؟ — الدكتور بهاء بن حسين عزي
- البرق والبريد والهاتف وصلتها بالحب والأشواق والعواطف — الأستاذ عبدالرحمن المعمر
- محمد سعيد عبدالمقصود خوجة (حياته وآثاره) — الدكتور محمد بن سعيد بن حسين
- إليكم شباب الأمة — الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول

تحت الطبع :

- ديوان حسين عرب — الأستاذ حسين عرب
- خواطر مجنحة — الأستاذ محمد حسين زيدان
- ماما زبيدة (مجموعة قصصية) — الأستاذ عزيز ضياء
- وجيز النقد عند العرب — الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
- هكذا علمني ورد زورث — الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري
- الطاقة نظرة شاملة — الدكتور عبدالهادي طاهر
- لا رق في القرآن — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- من مقالات عبدالله عبدالجبار — الأستاذ عبدالله عبدالجبار
- جزء من حلم — الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- التنمية قضية (الطبعة الثانية) — الدكتور محمود محمد سفر
- قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (الطبعة الثانية) — الدكتور سليمان بن محمد الغنام
- غداً أنسى (قصة طويلة) (الطبعة الثانية) — الدكتورة أمل محمد شطا
- تاريخ عمارة المسجد الحرام (الطبعة الثانية) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة

- الحضارة تحد (الطبعة الثانية) — الدكتور محمود محمد سفر
- الجبل الذي صار سهلا (الطبعة الثانية) — الأستاذ أحمد قنديل
- خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ أحمد السباعي

سلسلة : الكتاب الجامعي

صَدرمنها :

- الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — الدكتور مدني عبدالقادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فؤاد زهران، الدكتور عدنان جمجوم، الدكتور محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة (الطبعة الثالثة) — الدكتور محمد جميل منصور، الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا — الدكتور عبدالمنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره — الدكتور أحمد رمضان شقلية
- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج — الأستاذ سيد عبدالمجيد بكر
- علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية) (الطبعة الثانية) — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- مبادىء القانون لرجال الأعمال (الطبعة الثانية) — الدكتور محمد ابراهيم أبوالعينين
- الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
- قراءات في مشكلات الطفولة (الطبعة الثانية) — الدكتور محمد جميل منصور
- شعراء التروبادور (ترجمة) — الدكتورة مريم البغدادي
- الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- النظرية النسبية — الدكتور عبدالرحمن فكري، الدكتور محمد عبدالهادي كامل
- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية) — الدكتور أمين عبدالله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- الوحدات النقدية المملوكية — الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
- الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية) — الدكتور عبدالوهاب علي الحكمي
- هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم — الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر
- التجربة الأكاديمية لجامعة البترول والمعادن — الدكتور خضير سعود الخضير
- مبادىء الطرق الإحصائية — الدكتور جلال الصياد، الدكتور عبدالحميد محمد ربيع
- مبادىء الإحصاء — الدكتور جلال الصياد، الأستاذ عادل سمرة
- المنظمات الاقتصادية الدولية — الدكتور حسين عمر

- التعلم الصفى — الدكتور محمد زياد حمدان

تحت الطبع :

- الاقتصاد الاداري — الدكتور فرج عزت
- الاقتصاد الصناعي — الدكتور سليم كامل درويش
- دراسات في الإعراب — الدكتور عبدالهادي الفضلي
- أحكام تصرفات السفيه في الشريعة الإسلامية — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- أحكام تصرفات الصغير في الشريعة الإسلامية — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- العلاقات الدولية — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي

سلسلة : رسائل جامعية

صدر منها :

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزّي
- الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن (الطبعة الثانية) — الأستاذة أميرة علي المداح
- القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبدالله باقازي
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- النظرية التربوية الإسلامية — الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
- نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي (تحقيق ودراسة) — الدكتور نايف بن هاشم الدعيس
- الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية — الأستاذة ليلى عبدالرشيد عطار
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبدالحي رضوان
- دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام — الأستاذة فتحية عمر حلواني
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام — الأستاذة نورة بنت عبدالملك آل الشيخ
- دراسة اثنوغرافية لمنطقة الاحساء (باللغة الانجليزية) — الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية انثروبولوجية حديثة) — الأستاذ أحمد عبدالاله عبدالجبار
- افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبدالكريم علي باز
- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- تقويم النمو الجسماني والنشوء — الدكتورة ظلال محمود رضا
- العقوبات التفويضية وأهدافها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
- العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي

تحت الطبع :

العنوان	المؤلف
• تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن الثالث عشر	الأستاذ محمد فهد عبدالله الفعر
• التصنيع والتحضر في مدينة جدة	الأستاذة عواطف فيصل بياري
• الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار	الدكتور فاروق صالح الخطيب
• تعليم اللغة الإنجليزية (باللغة الإنجليزية)	الأستاذ مأمون يوسف بنجر
• التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة	الأستاذة سارة حامد محمد العبادي



صدر منها :

العنوان	المؤلف
• حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح ابراهيم
• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية)	الدكتور محمود الشهابي
• التخلف الإملائي	الأستاذة نوال عبدالمنعم قاضي
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	إعداد إدارة النشر بتهامة
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودي (باللغة الانجليزية)	إعداد إدارة النشر بتهامة
• تسالي (من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية)	الدكتور حسن يوسف نصيف
• كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني	الشيخ أحمد بن عبدالله القاري .
(دراسة وتحقيق)	الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
• النفس الإنسانية في القرآن الكريم	الأستاذ إبراهيم سرسيق
• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية)	الدكتور عبدالله محمد الزيد
• صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الإنجليزية)	الدكتور زهير أحمد السباعي
• مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد منصور الشقحاء
• النبش في جرح قديم (مجموعة قصصية)	الأستاذ السيد عبدالرؤوف
• الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام	الدكتور محمد أمين ساعاتي
• الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك	الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
• الدليل الأبجدي في شرح نظام العمل السعودي	الدكتور عاطف فخري
• رعب على ضفاف بحيرة جنيف	الأستاذ شكيب الأموي
• العقل لا يكفي (مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي الشيخ
• أيام مبعثرة (مجموعة قصصية)	الأستاذ فؤاد عنقاوي
• مواسم الشمس المقبلة (مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي قدس
• ماذا تعرف عن الأمراض ؟	الدكتور اسماعيل الهلباوي
• جهاز الكلية الصناعية	الدكتور عبدالوهاب عبدالرحمن مظهر
• القرآن وبناء الإنسان	الأستاذ صلاح البكري
• اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية	الأستاذ علي عبده بركات
• الطب النفسي معناه وأبعاده	الدكتور محمد محمد خليل
• الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح ابراهيم

• **مجموعة الخضراء** (دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• **خطوط وكلمات** (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ علي الخرجي
• **ديوان السلطانين**	الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• **الامكانات النووية للعرب وإسرائيل**	الدكتور صدقة يحيى مستعجل
• **رحلة الربيع**	الأستاذ فؤاد شاكر
• **وللخوف عيون** (مجموعة قصصية)	أحمد شريف الرفاعي
• **البحث عن بداية** (مجموعة قصصية)	الأستاذ جواد صيداوي
• **الوحدة الموضوعية في سورة يوسف**	الدكتور حسن محمد باجودة
• **المجنونة اسمها زهرة عباد الشمس** (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)	الأستاذة منى غزال
• **من فكرة لفكرة** (الجزء الأول)	الأستاذ مصطفى أمين
• **رحلات وذكريات**	الأستاذ عبدالله حمد الحقيل
• **ذكريات لا تنسى**	الأستاذ محمد المجذوب
• **تاريخ طب الأطفال عند العرب**	الدكتور محمود الحاج قاسم
• **مشكلات بنات**	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
• **دراسة في نظام التخطيط في المملكة العربية السعودية**	الأستاذ يوسف ابراهيم سلوم
• **نفحات من طيبة** (ديوان شعر)	الأستاذ علي حافظ
• **الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية**	الأستاذ أبو هشام عبدالله عباس بن صديق
• **الماء ومسيرة التنمية** (في المملكة العربية السعودية	الأستاذ مصطفى نوري عثمان
• **الدليل لكتابة البحوث الجامعية**	الدكتور عبدالوهاب ابراهيم أبوسليمان
• **القطار والحبل** (مجموعة قصصية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ السيد عبدالرؤوف
• **المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية**	الدكتور علي علي مصطفى صبح
• **مسائل شخصية**	الأستاذ مصطفى أمين
• **مجموعة النيل** (دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• **الزكاة في الميزان**	الدكتور محمد السعيد وهبة الأستاذ عبدالعزيز محمد رشيد جمجوم
• **عام ١٩٨٤ لجورج أورويل** (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• **من فكرة لفكرة** (الجزء الثاني)	الأستاذ مصطفى أمين

تحت الطبع:

• **سرايا الإسلام**	الشيخ أبو تراب الظاهري
• **قراءات في التربية وعلم النفس**	الأستاذ فخري حسين عزّي الدكتور لطفي بركات أحمد
• **الحجاز واليمن في العصر الأيوبي**	الدكتور جميل حرب محمود حسين
• **ملامح وأفكار**	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
• **النظرية الخلقية عند ابن تيمية**	الدكتور محمد عبدالله عفيفي
• **الكشاف الجامع لمجلة المنهل**	الأستاذ عبدالله سالم القحطاني
• **ديوان حمام** (ديوان شعر)	الأستاذ محمد مصطفى حمام
• **رحلة الأندلس**	الدكتور حسين مؤنس
• **فجر الأندلس**	الدكتور حسين مؤنس
• **قريش والاسلام**	الدكتور حسين مؤنس
• **الدفاع عن الثقافة**	الدكتور عبدالعزيز شرف

• في بيتك طبيب	الدكتور محمد عبدالله القصيمي
• مجموعة فاروق جويدة (دواوين شعر)	الأستاذ فاروق جويدة
• البسمات	الدكتور حسن نصيف
• نسيب الشريف الرضي: الحجازيات وقصائد أخر	الدكتور عاتكة الخزرجي
• مشكلات لغوية	الدكتور شوقي النجار
• دليل مكة السياحي	اعداد تهامة للنشر والمكتبات
• السبئيون وسد مأرب	الأستاذ محمود جلال
• الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث	الأستاذ علي مصطفى عبداللطيف السحرتي

سلسلة:

الكتاب العربي اليمني

تحت الطبع:

• تاريخ الأدب اليمني في العصر العباسي	الأستاذ أحمد الشامي
• بغية المريد وأنس الفريد	الاستاذ عامر بن محمد بن عبد الله تحقيق الاستاذ محمد محمد الشعيبي مراجعة وتعليق الاستاذ أحمد محمد الشامي

كتاب للأطفال

صدر منها :

مجموعة : حكايات للأطفال

ينقلها إلى العربية الأستاذ عزيز ضياء

- سعاد لا تعرف الساعة
- الحصان الذي فقد ذيله
- تورتة الفراولة
- ضيوف نار الزينة
- الضفدع العجوز والعنكبوت
- الكؤوس الفضية الاثنتا عشر
- سرحانة وعلبة الكبريت
- الجنيات تخرج من علب الهدايا
- السيارة السحرية
- كيف يستخدم الملح في صيد الطيور

تحت الطبع

- الأرنب الطائر
- معظم النار من مستصغر الشرر
- لبنى والفراشة
- ساطور حمدان
- وأدوا الأمانات إلى أهلها
- سوسن وظلها
- الهدية التي قدمها سمير
- أبو الحسن الصغير الذي كان جائعا
- الأم ياسمينة واللص

مجموعة : لكل حيوان قصة

للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- القرد
- الكلب
- السلحفاة
- الأسد
- الحمار الأهلي
- الفرس
- الغزال
- الوعل
- الضب
- الغراب
- الجمل
- البغل
- الفراشة
- الدجاج
- الحمار الوحشي
- الجاموس
- الثعلب
- الأرنب
- الذئب
- الفأر
- الخروف
- البط
- الببغاء
- الحمامة
- البوم
- البجع
- الهدهد
- الكنغر
- الخفاش
- النعام
- فرس النهر
- التمساح
- الضفدع
- الدب
- الخرتيت

مجموعة : حكايات كليلة ودمنة

إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- عندما أصبح القرد نجارا
- الغراب يهزم الثعبان
- أسد غررت به أرنب
- المكاء التي خدعت السمكات

تحت الطبع

- لقد صدق الجمل
- الكلمة التي قتلت صاحبتها
- سمكة ضيعها الكسل
- قاض يحرق شجرة كاذبة

مجموعة : التربية الإسلامية — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- الله أكبر
- قد قامت الصلاة
- الصــوم
- الصـــلاة
- الاستخارة
- صلاة الجنازة
- صلاة المسبوق
- صلاة الجمعة
- صلاة الكسوف والخسوف
- الشهادتان
- أركان الإسلام
- التيمم
- الوضـــوء
- الصدقات
- المسح على الخفين
- المسح على الجبيرة والعُصابة
- سجود التلاوة
- الزكاة
- زكاة الفطر
- زكاة النقدين
- زكاة بهيمة الأنعام
- زكاة العروض

قصص متنوعة :

• الصرصور والنملة	الأستاذ عمار بلغيث
• السمكات الثلاث	الأستاذ عمار بلغيث
• النخلة الطيبة	الأستاذ اسماعيل دياب
• الكتكوت المتشرد	الأستاذ عمار بلغيث
• المظهر الخادع	الأستاذ عمار بلغيث
• بطوط وكتكت	الأستاذ اسماعيل دياب

كتاب الناشئين

صدر منها :

مجموعة:وطني الحبيب

• جدة القديمة	الأستاذ يعقوب محمد اسحق
• جدة الحديثة	الأستاذ يعقوب محمد اسحق

مجموعة:حكايات ألف ليلة وليلة

• السندباد والبحر	الأستاذ يعقوب محمد اسحق

• الديك المغرور والفلاح وحماره	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• الطاقية العجيبة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• الزهرة والفراشة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• سلمان وسليمان	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• زهور البابونج	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• سنبلة القمح وشجرة الزيتون	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• نظيمة وغنيمة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• جزيرة السعادة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• الحديقة المهجورة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• اليد السفلى	الدكتور محمد عبده يماني
إعداد	الأستاذ يعقوب محمد اسحق
• عقبة بن نافع	الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي الدكتور سعد اسماعيل شلبي

Books Published in English by TIHAMA

- **Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.**
  By: F.M. Zahran/A.M.R. Jamjoom/M.D. EED
- **Zaki Mubarak: A Critical Study.**
  By: Dr. Mahmud Al Shihabi
- **Summary of Saudi Arabian Third Five Year Development Plan.**
- **Education in Saudi Arabia, A Model With Difference.** ***(Second Edition)***
  By: Dr. Abdulla Mohamed A. Zaid
- **The Health of the Family in A Changing Arabia. (*Third Edition*)**
  By: Dr. Zohair A. Sebai
- **Diseases of Ear, Nose and Throat.**
  By: Dr. Amin A. Siraj/Dr. Siraj A. Zakzouk
- **Shipping and Development in Saudi Arabia**
  By: Dr. Baha Bin Hussein Azzee
- **Tihama Economic Directory.** ***(Second Edition)***
- **Riyadh Citiguide.**
- **Banking and Investment in Saudi Arabia.**
- **A Guide to Hotels in Saudi Arabia.**
- **Who's Who in Saudi Arabia.** ***(Second Edition)***
- **An Ethnographic Study of Al-Hasa Region of Eastern Saudi Arabia.**
  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib.
- **The Role of Groundwater In The Irrigation And Drainage Of the Al-Hasa Of Eastern Saudi Arabia.**
  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib
- **An Analysis Of The Effect Of Capitalizing Exploration And Development Costs In The Petroleum Industry — With Emphasis On Possible Economic Consequences In Saudi Arabia.**
  By: Mohiadin R. Tarabzune
- **An Evolving Typology Of Constructs Of Critical Thinking, Curriculum Planning And Decision Making In Teacher Education Programs Based On The Islamic Ideology.**
  The Case Of Saudi Arabia.
  By: Ahmad Issam Al-Safadi
- **The Effect Of A Listening Comprehension Component on Saudi Secondary Students' EFL Skills.**
  By: Mamoun Yousef Banjar


مطابع
سحر